دكتور
يوسف عبد المقصود ابراهيم

جهود الإمام
محمد رشيد رضا
في خدمة السنة

الطبعة الأولى

١٣١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ٠

النساء (٦٥)

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » ٠

النساء (٨٠)

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » ٠

النحل (٤٤)

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ٠

النور (٦٣)

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ٠

الأحزاب (٣٦)



الإهداء

أوجب الله الاحسان إلى الوالدين فى أكثر من موضع فى كتابه ، وقرن الاحسان إليهما بعبادته وحـده ، **فقال تعالى** : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالولدين أحسانا) • الاسراء (٢٣)

ووفاء بحق والدى ، وعرفانا بفضل الله على ، **أهدى** ما بذلت من جهد فى هذا الكتاب إلى أرواحهما ، داعيا الله عز وجل لهما بالرحمة والرضوان وأن يجزيهما عنى **أفضل** وخير الجزاء إنه سميع مجيب •

مقدمة

الحمد لله الذى قال فى محكم كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (١) ، والصلاة والسلام على رسوله وخاتم أنبيائه ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعــــد ...

فقد هدانى الله إلى الانتساب إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكرمنى بالبحث فيها دراسة وكتابة ، ومن قبل ذلك فطرنى عليها دينا وعقيدة .

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى اصطلاح المحدثين هى : ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة (٢) .

وقد بدأ المشككون يوجهون سهامهم إلى هذه السنة من قديم ، لفشلهم فى توجيه هذه السهام إلى القرآن الكريم لثبوته بالتواتر الذى لا يمكن أن يجحده عاقل .

---

(١) الحشـــر : ٧ .

(٢) انظر الموافقات للشاطبى ٣/٤ وتوجيـه النظر ص ٢ وقواعـد التحديث ص ٣٥ — ٣٨ ، والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٥٩.

وقد عبر الدكتور مصطفى السباعى — رحمه الله — عن ذلك فقال : « لم يكد يطل القرن الثانى الهجرى ، حتى أمتحنت السنة بمن ينكر حجيتها كمصدرمن مصادر التشريع الإسلامى ، وبمن ينكر حجية غير المتواتر منها ، مما يأتى غن طريق الاحاد ، وبمن ينكر حجية السـنة التى لا ترد بيـانا لما فى القرآن أو مؤكـدة له ، بل تأتى بحـكم مستقل حتى أيصدق فيهم » (١) •

وأول من تصدى لهؤلاء وأبطل مزاعمهم الإمام الشافعى رحمه الله فى كتابيه الرسالة والأم (٢) •

وكان من أدلة تثبيت خبر الواحد عند الشافعى رحمه الله حديث (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه عنا كما سمعه ، فرب حامل فقه غير فقيه) • وفى رواية إلى من هو أفقه منه • وفى أخرى فرب مبلغ أوعى من سامع (٣) •

قال الشافعى : فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أستماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها ، والامرؤ واحد ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه (٤)•

كما أكثر من ايراد ادلة أخرى على ذلك •

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ١٥٣ •

(٢) انظر الرسالة ص ١٥٩ — ٢٠٣ ، والام ٢٠٥/٧ •

(٣) اخرجه ابن حبان فى صحيحه ٢٢٥/١ والترمذى فى جامعه ١٠٩/٢ وذكر أنه حسن وأحمد فى المسند ١٨٣/٥ ط الحلبى وابو داود فى سـننه ٤٣٨/٣ ، والدارمى فى سـننه ٧٥/١ وابن ماجـه ٨٤/١ وابن عبـد البر ٤٨/١ ، ٤٩ فى جامع بيان العلم والسخاوى فى فتح المغيث ص ٢١٧ والقاضى عياض فى الالماع ص ١٣ ، ١٦٣ •

(٤) الرسالة ص ١٧٥ ط ١ مصطفى البابى الحلبى •

وتعرضت السنة حديثا لموجات من التشكيك والتضليل ، وهى موجات لا تخرج فى أصلها ، عما عهد عند سابقيهم حتى ليصدق فيهم قوله تعالى : (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (١) .

وتميزت كتابة أعداء السنة والطاعنين عليها فى العصر الحديث باضفاء صفة البحث العلمى عليها ، ليخدعوا بذلك المسلمين ويضللوهم عن دينهم .

لقد بذل المحدثون جهدا ضخما فى نقل السنة إلينا نقية بعيدة عن الدخيل المتهافت والموضوع الساقط ، وترجموا للرواة ، وبينوا أحوالهم وبلدانهم ورحلاتهم وسماعهم وتاريخ وفاتهم الأمر الذى أدهش المستشرقين ، وانطقهم بالثناء على هذه الجهود حتى قال مرجليوث : «ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم » (٢) .

ومع مثل هذه الشهادة التى صدرت عن بعضهم لجهود سلفنا فى الحفاظ على السنة ، ودفع الشبهات عنها ، إلا أن هذا لم يمنعهم من تسديد أقسى الضربات إليها على يد متخصصين فى ذلك من باحثين ومستشرقين ومبشرين ، لأنهم يعلمون أن هذا جزء من الحرب الصليبية التى يشنونها ضد المسلمين ودينهم .

ولأنهم يعلمون مكانة السنة من كتاب الله ودين الإسلام . فاذا تم لهم الوصول إلى فتح ثغرة فى هذا الجدار المتين ، فسوف ينهار البناء الذى صمد وسيصمد فى وجه كل الاعاصير .

---

(١) الذاريات (٥٣) .

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لابن ابى حاتم عن المقالات العلمية ٢٣٤ — ٢٣٥ .

إن السنة بهذا هدف وجهت إليه السهام قديما ، ووجهت حديثا وستوجه إليها أيضا السهام فى المستقبل ، الأمر الذى يحتاج من المسلمين أن يرصدوا له ، وأن يرابطوا فيه لرد كيدهم إلى نحورهم .

وقد دفعنى حب الوقوف على هذه الحركة للمساهمة فى رصدها ، بجهد متواضع فى ردها — فى العصر الحديث إلى البحث عن شخصية حديثية تتمثل فيها صورة هذا الجانب من كفاح الباطل ورد السهام الموجهة ضد السنة فى العصر الحديث ، فانقدح فى ذهنى شخصية السيد محمد رشيد رضا عالما قائما على هذه الثغرة من ثغور المسلمين.

وكان هذا سبب اختيار موضوع البحث الذى سرت فيه على منهج علمى يعتمد المصادر الأصلية ، ويترك للبحث غايته للوصول إلى النتيجة الصحيحة ولم أكن أتدخل فى توجيه البحث إلى هدف أريده — وكم كان يشق على ذلك — ولكنى آثرت الحق على ما أهوى وأحب ، لأن هذا هو المنهج السليم .

ومن ثم كنت أعرض المسائل ، وأترك البحث يسير بها إلى غايتها ، ثم أعلق على ذلك موضحا موقفى ورأيى ، مع دعم ذلك بالحجة والدليل .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وخاتمة بينهما أربعة أبواب .

ففى هذه المقدمة بينت سبب اختيار الموضوع ، ومنهج البحث فيه

وفى الباب الأول : تحدثت عن عصر الشيخ محمد رشيد فى الفصل الأول منه ، وفى الفصل الثانى تحدثت عن حياته وتكوينه العلمى متجها فى ذلك كله إلى الناحية الحديثية ، لأنها هى التى تعنينا .

وفى الفصل الثالث قارنت بين الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد فى العلم والسنة ، وقد استلزم البحث عقد هذه المقارنة

لدفع ما قد ينشأ فى الذهن من أن هذه الأفكار الحديثة التى أتى بها التلميذ هى لشيخه وقد أدعاها لنفسه • نلزم تحديد مقدرة كل منهما على الاتيان بمثل هذه الافكار الحديثة لئلا يقع خلط يعكر على نسبة هذه الأفكار للشيخ محمد رشيد •

وفى الباب الثانى : تحدثت عن دفاع الشيخ محمـــد رشيد عن السنة وقسمته إلى فصلين ، الأول فى دفاعه عن الحديث ، وتصديه لطاعن المبشرين فى مجلتهم « الشرق والغرب » كقولهم بأنه إذا ارتاب أحد فى السنة ، ينتفى وجوب طاعة الشريعة ، فبين بطلان ذلك ، لأن الاطلاق فى جزاء الشرط لا يتم ، إذ أن ارتياب أحد فى السنة يلزم منه وقوع ذلك فى حق نفســـه هـــو ، لا فى نفس غيره ، وقد ارتاب كثيرون من علماء أوروبا فى وجود المسيح عليه السلام ، ولم يمنع هذا الارتياب مئات الملايين من مسلمين ونصارى من الايمان بوجود المسيح عليه السلام وهكذا تتبع الشيخ هذه المزاعم وأبطلها الواحـــدة بعـــد الأخرى •

والفصل الثانى فى ابطال مزاعمهم فى اتهام أبى هريرة رضى الله عنه كقول ابن عمر رضى الله عنه فى حديث « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب ماشية » قيل لابن عمر : ان أبا هريرة يقول : أو كلب زرع • فقال : ان أبا هريرة له زرع ، فقد زعم الطاعن أن هذا تقريع لطيف من ابن عمر لابى هريرة » •

والحق أن هذا تحكم لا دليل عليه فى فهم النص • كيف وقد ثبت أن ابن عمر رضى الله عنه ، كان يروى الحديث بعد ذلك فيذكر فيـــه كلب الزرع اعتمادا على أن أبا هريرة حدثه به ؟

وفى الباب الثالث تحدثت عن المعاصرين للشيخ محمد رشيد ممن عاشـــوا فى النصـــف الأول من القرن العشرين ، وجرت بينه وبينهم مناقشات حديثية ، أو نقلوا عنه ، أو تعقبوه فى آرائه الحديثية ، وذلك فى أربعة فصول ، الأول مع الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ، وما جرى بينه وبين الشيخ محمد رشيد من مناقشات حول حديث خطيئة آدم عليه السلام ، وحديث سجود الشمس .

والثانى مع أبى رية وما نقل عن الشيخ محمد رشيد من نصوص تعمد تحريفها أو بترها عن مقدمتها وخاتمتها لتؤدى المعنى الذى يريده.

والثالث مع الإمام الشهيد الدكتور محمد حسين الذهبى وما تعقب به الشيخ محمد رشيد من القول بأنه ينكر المعجزات الحسية وبيان وجه الحق فى ذلك وحديث أبى هريرة المنقطع فى صحيح البخارى « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ صدقة الفطر ... الخ وما جرى فيه من مناقشة .

والفصل الرابع مع الاستاذ الشيخ محمـــد محمد أبى زهو فى كتابة الحديث وبيان الصواب فى ذلك .

وتحدثت فى الباب الرابع عن اجتهاده فى فهم السنة وذلك فى أربعة فصول .

الفصل الأول عن نقده للحديث سندا ومتنا فى موضوع انشقاق القمر وموقف الشيخ محمد رشيد من حديث أنس رضى الله عنه المرسل فى الصحيحين : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر وما ورد على هذا الحديث من مناقشات .

وفى الفصل الثانى تناولت موقفه من محرمات الطعام فى ضـــوء أحاديث تحريم الحمر الأهلية يوم خيبر والآية الكريمة « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما ... الخ » (١) ، وقوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) (٢) ، وقوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) (٣) .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن جهده فى فهم الروايات ووضعها فى موضعها .

وفى الفصل الرابع تحدثت عن جهده فى التوفيق بين النصوص .

وفى الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التى توصلت إليها فى البحث.

وقبل أن أختم هذه الكلمة لا يفوتنى أن أشكر بلســـان صـــدق ما لقيته من عناية وتوجيه أستاذى فضيلة الدكتور موسى شاهين لاشين الذى قبل الاشراف على هذه الرسالة أول الأمر ، فقد شملنى بكل رعاية وبذل جهد ، ونظرة علمية ثاقبة مكنتنى من متابعة الكتابة والبحث ، وذللت لى كثيرا من المصاعب فيه وطوقنى بفضله حين قبل مناقشـــة هذه الرسالة .

ثم لما حالت كثرة مشاغله دون متابعة الاشراف تفضل أســـتاذى الدكتور محمد شوقى خضر بقبول الاشراف على هذه الرسالة من بعده، فكان ذلك زيادة فضل وبركة ، اعدهما من نعم الله على فى الوصول إلى إخراج هذه الرسالة الى حيز الوجود

---

(١) الانعام الآية ١٤٥ .
(٢) النحـل الآية ١١٥ .
(٣) البقرة الآية ١٧٣ .

كمـا أشـكر لفضـيلة الاسـتاذ الدكتـور أحمـد علوش عى تكرمه بقبول مناقشة هذه الرسالة كما أوجه الشكر لكل من ساعد من اخوانى فى تيسير الحصول على المراجع واسداء النصح وبذل المشورة وأسأل الله أن يثيب الجميع عنى خير الجزاء •

وأخيرا أقدم جهدى مقرونا بحمد الله تعالى على توفيقه ومعونته، وقد بذلت فيه ما أستطيع ، فان أصبت فالمنة لله وحده ، وان أخطأت فالتقصير منى ومن الشيطان •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

يوسف عبد المقصود إبراهيم

الباب الأول

عصر الشيخ محمد رشيد وحياته



الفصل الأول

عصـــــره

الجانب الســياسى [1] :

يعبر المؤرخون فى هذا العصر عن الجانب السياسى بالحديث عن المسألة الشرقية — التى تضرب بجذورها إلى القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى •

وقد مرت — المسألة الشرقية — فى تطورها بثلاثة أدوار يمثل كل دور منها طائفة من حياة الأمة فى جانبها السياسى •

المرحلــة الأولى :

لقد كان أول احتكاك بيننا وبين أوروبا فى الحروب الصليبية سببا فى معرفة أوروبا بغنى وكنوز بلاد المسلمين ، وحاولوا بعد هزيمتهم فى هذه الحروب الاستفادة بهذه الخيرات دون الاصطدام أو الدخول فى حرب جديدة الا بعد الاستعداد الكامل لضمان الانتصار ، والتفوق على دول هذه المنطقة ممثلة فى دولة الاتراك العثمانيين •

وبدأت محاولاتهم ، فاكتشفوا طريق الرجاء الصالح لتمر تجارتهم الى الهند لتقطع سفنهم مياه تلك المنطقة التى كانت الملاحة فيها مقصورة على المسلمين من العرب والفرس •

---

(1) اعتمدنا فى مصادر هذا الجانب على كتاب رشيد رضا الامام المجاهد وكتاب العقاد « الامام محمد عبده » تاريخ العرب الحديث والمعاصر، وتاريخ الأستاذ الامام .

وبعد اختبار قوة المسلمين البحرية فى هذه المنطقة انتصرت قوة البرتغاليين على المسلمين فى معركة « ديو » البحرية سنة ١٥٠٦ م ٠

وكان ينبغى أن يكون هذا انذارا للاتراك العثمانيين يحذرهم من تعاظم قوة البرتغاليين فى المنطقة وتهديد أمنها واستقلالها ٠

ولكن الاتراك شغلهم عن هـذا الخطر اتجاههم للاستيلاء على البلاد العربية التى تخضع للحكم الصفوى فى ايران ، لأنهم حماة السنة ، والحكم الصفوى فى ايران يقوم على أساس شيعى ٠

وهكذا استنفد الاتراك جهدهم فى صراع مذهبى وغفلوا عن الخطر الحقيقى الذى ينذر بشر خطير ٠

فلما أفاق العثمانيون من غفلتهم وتنبهوا للخطر المحدق بهم ، كان الزمام قد أفلت من أيديهم وصاروا يواجهون المشكلة التى أطلق عليها الأوربيوون « المسألة االشرقية » وكان معناها فى هذه المرحلة : نهب أوربا ثروات كل من العالمين العربى والاسلامى ٠

المرحلـة الثانية :

بدأ العثمانيون يفهمون الخطر الذى يهددهم ، ولكنهم لم يهتدوا الى كيفية مقاومة هذا الخطر ٠

ومن هنا لم يستعدوا لمقابلته عسكريا باعداد العدة وتقوية الجيش والاساطيل التى تلزم ذلك ٠

بل عمدوا إلى فرض نطاق عسكرى على البلاد العربية لتحـول دون امتداد المخالب الاوروبية إليها ٠

وادى هذا إلى عزلة العالم العربى والإسلامى ، والدخول فى دور خطير من الخمول والركود تحت سيادة الدولة العثمانية ٠

وبدخول العالم العربى والإسلامى فى هــذا الدور من الركود دخلت قوة العثمانيين فى الدور نفسه ، ولم يأت القرن الثامن عشر الميلادى ، حتى صارت المسألة الشرقية تعنى فى نظر الاوربيين ، اضمحلال القوة السياسية للإسلام ، لأنه لم تعد توجد أمامهم قوة إسلامية كبرى تستطيع الوقوف أمام مطامعهم الجشعة ، وتحد من توسعهم الاستعمارى (١) .

المرحلــة الثالثــة :

عم الركود والتأخر العالمين العربى والإسلامى ، وسار الاتراك العثمانيون فى نفس الطريق الذى فرضوه على شعوبهم فى الوقت الذى أفاقت فيه أوروبا من غفوة القرون الوسطى ، وفتح التقــدم العلمى أمامهم طريق التجارة لدعم مركزهم المالى ، وطريق التطور فى فنون الحرب وآلاتها لدعم سلطتهم العسكرية الاستعمارية .

وبدأ التنافس يعمل عمله فى الهند ، فانفردت انجلترا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر باستعمار الهند ، وطرد فرنسا منها . ثم أنزلت الهزيمة بالجيش الإسلامى الهندى عند بلاسى سنة ١٧٥٦م.

وظهر بهذه المعركة التفوق العسكرى للاوربيين ، وتطور فنونهم الحربية كما مهدت لهزيمة العثمانيين أمام روسيا ، وحملتهم على عقد معاهدة « كتشك كينارجى » سنة ١٧٧٤ م التى جاءت بمثابة الاعلان الرسمى لضعف الدولة العثمانية ، وتصدع زعامتها العالمية (٢) .

---

(١) رشيد رضا الامام المجاهد .
(٢) المصدر نفسه ص ١٢ .

وباهتزاز زعامة العثمانيين فى العالم ، انتقل التنافس الاستعماري من أطراف العالم الإسلامى فى الهند إلى قلب العالم العربى فأرسلت فرنسا حملة نابليون التى كان من أهدافها قطع الطريق على انجلترا إلى الهند •

وبهذا التنافس الذى رافقته المعارك الحربية ، انتقلت المسألة الشرقية من اضمحلال القوة السياسية إلى « تركة الرجل المريض » حيث تم الاتفاق بين هذه الدول الاستعمارية على تقسيم هذه التركة حسب مصالحهم التى يجرون وراءها •

فاستولت بريطانيا على عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج العربى وامتدت باطماعها إلى العراق ، ثم احتلت مصر والسودان • وانقضت فرنسا على الجزائر وتونس ، ورنت بأطماعها إلى سورية ولبنان ، واحتلت اسبانيا جزءا من المغرب ، فى حين وقعت ليبيا فى قبضة ايطاليا ، أما المانيا ، فقد قنعت بمشروعات التغلغل الاقتصادى •

وهكذا انقطعت اوصال العالم العربى ، وأصبح نهبا مقسما بين الاستعمار الاوربى بدوله المختلفة ، وبين الحكم الاستبدادى التركى ، ولم يكن للعرب بد من أن يعتمدوا على أنفسهم فى مقاومة طغيان الحكم التركى من ناحية ، والاطماع الأجنبية التى تحالفت عليهم وقامت تتربص بهم من ناحية أخرى ، ومن ثم قامت فى انحاء الوطن العربى حركات وطنية مباركة ، كانت تعبيرا قوميا صحيحا ، تفجر عن آلام الشعوب العربية وآمالها ، كما جاءت تمهيدا للحركة

القومية الكبرى التى نعيشها فى القرن العشرين وبخاصة فى النصف الثانى منه (١)

وخاض الشيخ محمد رشيد غمار هذه الاحداث قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها (٢) فحين اعتدت ايطاليا على طرابلس الغرب ١٩١٢ واستولت عليها ، كتب يقول : وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، فوجفت القلوب ، وامتدت الاعناق ، وشخصت الأبصار ، وعميت الأنباء على الناس ، فهم يتساءلون ، كيف قدمت ايطاليا على مفاجأة الدولة العثمانية بالعدوان • واغتصاب مملكة كبيرة وهى ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازى ، وإيذانها بالحرب من غير عداء سابق ولا خلاف بقى عليه هذا العدوان (٣) •

وكتب فى ذلك عشر مقالات عالج فيها المسألة الشرقية ، بما أثبت التاريخ حسن فهمه وتقديره للامور (٤) •

وليس هنا موضع عرض هذا ، وانما هى لمحة عن جهاد الشيخ الذى عاش حياته مدافعا عن دينه وأمته •

وبعد احتلال ايطاليا لليبيا توالت الاحداث فوقعت الحرب العالمية الأولى والثانية • وتحملت البلاد العربية عبء هذه الحروب بجانب

---

(١) تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، احمد عزيقة عبد الكريم وآخرون ص ١٤٥ .

(٢) بدأت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وانتهت ١٩١٩ وبدأت الثانية ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ م •

(٣) رشيد رضا الامام المجاهد ص ٢٣٨ •

(٤) انظر نفس المصدر السابق الفصل الثانى عشر •

عبء الاحتلال والسيطرة الأجنبية ، لاغراء الدول المتحاربة ، ووعود للشعوب العربية بحقها فى الحرية وتقرير المصير .

ورزحت مصر تحت الاحتلال فى ظل حكم وطنى فى الصورة لكن القيادة بيد المستعمرين ، الذين ألغوا النظام الدستورى الذى تمثل فى مجلس النواب ومسئولية الوزراء ، وانشأت بدلا من ذلك نظاما صوريا قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وكانتا هيئتين استشاريتين اجتماعاتهما غير علنية ، ولا سلطة لهما ولا نفوذ (١) .

ووصلت سلطة المستعمرين إلى احتكار الوظائف والمناصب الخطيرة لأنفسهم فزاد عددهم فى الدواوين والمصالح المختلفة ، وتقاضوا على ذلك أجورا عالية ، واتبعوا سياسة القمع وتكميم الأفواه وفتح السجون ، ولم تقو الصحف على النقد أو المعارضة سوى العروة الوثقى التى كان يصدرها الافغانى والشيخ محمد عبده فى باريس وتبعتها المنار فى ذلك (٢) .

وعامل الحكام البريطانيون المصريين معاملة ملؤها القسوة والظلم ، وتعد حادثة دنشواى الشهيرة من أوضح الأدلة على هذه الروح التى غلبت على حكم البريطانيين فى مصر (٣) .

هذا عن الجانب السياسى الذى كان ذا تأثير كبير على الجانب الفكرى والثقافى الذى نورده فيما بعد :

---

(١) محمد فريد وجدى ، رسالة دكتوراة اجيزت عام ١٩٧٨ ، من كلية اصول الدين .
(٢) انظر رشيد رضا الامام المجاهد ، الفصل الثانى عشر .
(٣) تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٨٩ .

الجانب الفكرى :

صادف الإسلام — كعقيدة وشريعة شاملان لكل جوانب الحياة — تيارات معادية كثيرة ، منها الفكرى الذى يستهدف العلم والثقافة ، ومنها المادى الذى يحمل السلاح ، ويعلن الحرب على الإسلام والمسلمين •

وقد تمثل الجانب الأول من هذه التيارات بمحاولة وضع الحديث ، وبث الكذب والدخيل فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول أمره ، ثم بقيام فرق متطرفة شذت فى تفكيرها وثقافتها عن المنهج الذى حدده الله فى كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته

ومن هذه الفرق من كان يعمل فى الخفاء ومنها ما كان يعمل فى العلن مستغلا اطار الحرية الواسعة التى شملت كل شىء فى الإسلام، حتى كان من أصوله التى لا خلاف عليها عدم إكراه أحد على الدخول فى الدين •

قال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (1) •

وتمثل الجانب الثانى فى الحروب الصليبية ، والمغولية والتتار والإستعمار الحديث الذى تفنن سدنته فى الكيد والدهاء •

وقد تصدى فى كل مرحلة من هذه المراحل علماء الإسلام للوقوف فى وجه هذه التيارات ، وما ينتج عنها من فكر بعيد عن الإسلام أو منحرف عنه •

---

(1) البقرة الآية ٢٥٦ .

وكما كانت الحال السياسية ، كانت الحالة الفكرية إلا فيما شـذ من نوادر لا يكون لها حكم العموم فى هذا العصر •

لقد أحكم الإستعمار قبضته ، وفرض سلطانه على مصر ، وتلمس المصلحون طريق الخلاص ، فاختلفت مذاهبهم ، وتعددت وجهتهم ، كل حسب ثقافته ، وما من الله به عليه من حب للخير وتقدير للهداية •

وكان من موجبات ذلك الضعف السياسى ، التأخر فى النواحى الفكرية والثقافية « فخيم على الجو الإسلامى غيوم ملبدة بالجهل ، وعدم فهم الإسلام على حقيقته ، وكان من طبيعة هـذا أن يتقـدم الصفوف زعماء للاصلاح يشعرون بآلام شعوبهم أكثر مما تشـعر ، ويدركون الأخطار المحيطة بها أكثر مما تدرك ، ويفكرون التفكير العميق فى أسباب الداء ووصف الدواء • وكل مصـلح ينظر إلى المرض من زاويته ، ويدعو إلى مداواته على حسب خطته ، فكان من ذلك مصلحون مختلفون ، دعوا إلى الإصلاح فى أقطارهم على حسب بيئتهم وثقافتهم ومزاجهم وكل قد أبلى بلاء حسنا » (١) •

وكان هذا الضعف العلمى سببا فى مشاكل كثيرة ، فقد جمد الفقهاء على كتبهم ، وقالوا بغلق باب الإجتهاد فى استنباط الأحكام ، ومعرفة الدليـل •

وكان جل علمهم تقليدا لآراء فقهائهم التى قد تناسـب عصرهم ولكنها أصبحت لا تناسب ما جد من أحداث وقضايا الأمر الذى أتاح الفرصة للأخذ بقوانين أجنبيـة لا تمت إلى الإسـلام بصلة فقامت المحاكم الأهلية التى عملت بقانون نابليون •

---

(١) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . تأليف احمد امين ص ٩ .

قال الشيخ عبد المتعال الصعيدى معبرا عن تلك الحـال « انحط العلم بين المسلمين فى هذا القرن (التاسع عشر) بقـدر انحطاطهم السياسى ، وصار علما عقيما باليا لا جدوى فيه ، ولا يناسب العصر الحديث بعد أن مضى عليه قرنان ، ودخل فى الثالث ، ومع هذا بقى أهله جامدين عليه جمودا شديدا ، حتى أنهم كانوا لا يرون غيره علماء وكان أهل الأزهر يؤمنون بهذا القول المشهور — لا علم إلا أزهرى — ولايزال كثير منا يؤمن بهذا القول ، ويرى أن العلم هو علم الأزهر ، وأن أوربا تمتاز علينا بالصناعة فقط .

هذا مع أن علماء الأزهر كانوا قد وصلوا فى هذا القرن إلى حالة بلغ اليأس فيها من اصلاحهم غايته ، لأنهم كانوا مع هـذه العنجهية العلميـة فى حالة عجز تام عن القيـام بأى عمل نافع ، ولو كان فى مصلحة دينهم ، وقد أراد إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمـد على باشا أن يصلح نظام المحاكم فى هذا القرن ، وكانت لاتزال تأخذ بالأحكام الشرعية ، ولكن حالها لم يكن مناسبا لما جد من أحداث فى العصر الحديث إذ كانت جامدة على مذاهب فقهية معينة قد يكون العمل بغيرها أنسب منها لهذا العصر ، وقد يكون فى فتح باب الإجتهاد فى الفقه ما نصل به إلى أحكام جديدة غير التى وصل إليها فقهاؤنا .

فأراد إسماعيل باشا أن يكلف علمـاء الأزهر بذلك الإصـلاح ، لينهض بهذه المحاكم الشرعية ، ولا يضطر إلى انشاء محاكم غيرها تعمل بالقوانين الوضعية .

وقد حكى السيد رشيد رضا نقلا عن على رفاعة باشا ، أن إسماعيل باشا استحضر والده — رفاعة الطهطاوى بك ، وطلب منه أن يذهب إلى

شيخ الأزهر وغيره من كبار العلماء ، ليقنعهم بالقيام بذلك الإصلاح ، وقال له : إنك منهم ، ونشأت معهم ، فأنت أقدر على اقناعهم ، فأخبرهم أن أوربا تضطرنى إذا هم لم يجيبوا إلى الحكم بشريعة نابليون .

فقال له رفاعة بك : اننى يا مولاى قد شخت ، ولم يطعن أحد فى دينى فلا تعرضنى لتكفير مشايخ الأزهر إياى فى آخر حياتى ، وأقلنى من هذا الأمر .

فأقاله إسماعيل باشا من هذا الأمر ، وكانت نتيجة هذا اليأس من علماء الأزهر ، قيام المحاكم الأهلية التى عملت بقانون نابليون . وكانت هذه أكبر نكبة أصيب بها الفقه الإسلامى (1) . هذا عن الجمود والتأخر فى الفقه والأحكام ، وهو ليس بعيد الصلة عن الحديث ، فانه يستمد منه بعد كتاب الله .

والجمود فى الفقه دليل الجمود بالحديث أيضا لما بينهما من صلة وثيقة .

ونحن وان كنا لا نحمل علماء الأزهر تبعة الميل عن قوانين الإسلام إلى قانون فرنسا ، لما يلاحظ من أن هذا مفروض من قبل الدول الأجنبية على مصر فرضا لم يكن لها فيه خيار ، إلا أنهم يتحملون منه تبعة الجمود والوقوف بالفقه على تقليد الآراء واعتبار هذه الآراء شريعة لا يجوز نقدها أو الخروج عليها .

واتجاه الفقه الأساسى ينبغى أن يكون حيث يكون النص من قرآن أو سنة ، وبهذا يصبح فقها حقيقة ، لأنه يتجه إلى فهم النص ، والعمل بمدلوله .

---

(1) المجددون فى الاسلام ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

وبهذا أيضـــا تتأكد علاقتـــه بالنص ، لأنه أهم عامل فى ثرائه وبخصوبته وقد عبر الشيخ عبد المتعال الصعيدى عن هذا الجمود مرة أخرى فقال : إنهم كانوا جمودا فى العقائد على مذهب الأشعرى ، وفى الفروع على المذاهب الأربعة ، ولم يحاول أحد منهم أن يخرج من دائرة التقليد ، أو ينادى بشىء من الإصلاح الحديث (١) .

وعن العلوم الأخرى قال : ذكر الأستاذ مصطفى بيرم فى رسالته عن الأزهر ما كان من مجافاتهم لغير العلوم الدينية واللسانية فقال : بقيت تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية والفلسفية مهجورة من الأزهر ، ينظر إليها بعين السخط ويفر من سماعها فرار الصحيح من الأجـــرب .

وقد رفع سؤال عن دراسة هذه المواد للشيخ الانبابى شيخ الأزهر فأجاب بفتوى طويلة ملتوية ، تهرب فيها مما يقصده المســـتفتى من ادخال دراسة العلوم فى الجامع الأزهر ، مع أن دراستها كانت شائعة فى المدارس المدنية بمصر ، وكان كثير من علماء الأزهر يدخلون أبنائهم فيها ليتعلموها ، كأن تعلمها كان مكروها فى الأزهر فقط (٢) .

هذا عن الحركة العلمية فى تلك المواد ، أما عن الحركة العلمية فى الحديث فى هذا العصر فقد عبر عنها العلامة الأستاذ أحمد شـــاكر فقال فى مقدمة مفتاح كنوز السنة : ولعل نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة ، يكون سببا فى اقبـــال المتعلمين من جميع الطبقـــات على الاشتغال بالسنة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث ، وهى

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١٧ .

كنوز العلم والحكمة التى أعرض عنها أكثر الناس ، إما جهلا بفائدتها وإما عجزا عن المراجعة فيها عند الحاجة (١) ٠

وقد أفاض الشيخ محمد رشيد فى بيان حال العلم بالحديث فى هذا العصر فقال : بتلك الكتب التى اتقن أفراد الاخصائيين لكل نوع منها فى الرواية والدراية ، صار طريق علوم السنة معبدا ممهدا ، وهذه العلوم تتسع دائرتها فى كل عصر بقدر ما يتجدد للبشر فيه من الأقضية والمصالح السياسية ، والحكمة العقلية والأدبية والأصول التشريعية ، والنظريات العلمية التجريبية والمخترعات الفنية والصناعية ومن فوق هذا كله إقامة الحجة على نبوة خاتم النبيين ، ودفع الشبهات عما يرد عليها وعلى أحاديثه من إشكال علمى أو عقلى (٢) ٠

ثم تكلم الشيخ محمد رشيد عن الحركة الحديثية فقال : بيد أن الحياة الدينية العلمية التى بعثت الأولين على تصنيف تلك الأسفار العظيمة ، قد عرض لها أمراض روحية وسياسية كثيرة ، أنتهت بالمسلمين إلى هجرها هجرا غير جميل ، حتى صار أكثر علمائهم وخطبائهم وأدبائهم يجهلون علم الحديث ، فلا يميزون بين ما صح منه وما لم يصح ، بل ينقلون المنكرات والموضوعات منه ، ويحتجون بها حتى فى أصول العقائد وأحكام العبادات والقضاء ، لأنهم على جهلهم لها ، وعدم تمييزهم بينها ، ينقلونها من كتب الأدب والتصوف ، والمواعظ والتواريخ والقصص ، وكذا أكثر كتب التفسير والفقه فأمسينا فى فقر مدقع من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخباره ، وفى خزائن كتبنا من كنوزها

---

(١) مفتاح كنوز السنة — المقدمة (ب) .
(٢) نفسه المقدمة (ص) .

العظيمة ما لو استخرجناه وانتفعنا به لكنا أغنى الأغنياء وللأنا الدنيا بما فيها من العلم والحكمة ، بما من الله به على أهل عصرنا من نعمة المطابع وتعميم المواصلات وسرعتها بين الأقطار الشواسع ، حتى صار جميع تلك الثروة الواسعة من كتب الحديث وشروحها سهلا على من يريده ، ولكن بعد أن قل من يريده ، حتى أن من المقلدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة إلا التبرك بها ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند ذكره وذكرها (١) •

هذا ما أفاض به الشيخ محمد رشيد فى بيان الحركة العلمية فى الحديث فى هذا العصر مما يدل على أنه لم تكن هناك عناية به أو محافظة على دراسته وفهمه والاستمساك به •

وقد تأيد هذا بما نقلناه عن تلميذه الشيخ أحمد شاكر — رحمهما الله — آنفا • وكما كان الضعف فى الحديث ودراسته ، هو طابع العلم به فى هذا العصر بمصر ، كان هو الشأن أيضا فى العلم بالحديث فى الشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر الهجرى ، حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر عدا الهند التى بدأت بهـا نهضة حديثية مبكرة • وفى هذا يقول الشيخ محمد رشيد :

« ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر ، لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر » (٢) •

---

(١) المرجع السابق المقدمة (ق) •
(٢) المرجع السابق المقدمة (ق) •

وقبل أن نختم الحديث هنا ينبغى أن نقول كلمة عن المبشرين والمستشرقين الذين جعلوا من السنة ميدانا لأبحاثهم الجادة تارة بما وضعوه من كتب تعين على تناول السنة ، وسهولة البحث فيها والاستفادة منها كمفتاح كنوز السنة الذى وضعه بالانجليزية الأستاذ ونسنك والذى ترجمه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وهو يعد فهرسا لثلاثة عشر كتابا من كتب الحديث (١) وكتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذى ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره أ • ى ونسنك وى•ب• منسنج ، وهو معجم مفهرس لألفاظ الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدرامى وموطأ مالك •

ومنها الأبحاث الخبيثة المخادعة تارة أخرى كما ستراه فى الباب الثانى من أبحاث المبشرين التى نشرت فى مجلة الشرق والغرب بهدف الطعن فى السنة وأبى هريرة رضى الله عنه وقد فند طعونهم وأجاب عنها وبين زيفها الشيخ محمد رشيد رضا فى مجلة المنار كما بيناه فى الباب الثانى من هذه الرسالة ، وكما هو وارد فى أبحاث المستشرقين أمثال جولد زيهر وأبحاثه فى السنة أشد خطرا وأكثر من كل ما كتبه هؤلاء المستشرقون لأنه يعد شيخهم فى الجيل الماضى ، ولاتزال كتبه وبحوثه مرجعا خصبا وهاما للمستشرقين فى هذا العصر (٢) •

---

(١) هى الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدرامى وهذه الثمانية يندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها ليس موجودا فيها • وموطأ مالك ومسند أبى داود الطيالسى وسيرة ابن هشام وكتاب المغازى للواقدى وطبقات بن سعد .

(٢) جولد زيهر أصله يهودى مجرىء ، وانظر فى الموضوع السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٣٦٧ .

ومن هـذه الكتب « نظرة عامة فى تاريخ الفقـه الإسـلامى » و « العقيدة والشريعة فى الإسلام » و « دراسات إسلامية » هـذه الكتب حفلت بالحملة على السنة ورجالها والتشكيك فى روايتها مما ينبغى أن نكون منه على حذر ، إذ أن بعض الكاتبين حديثا خدعوا بهـذه الابحاث ، ورددوها فى ابحاثهم وكتبهم (١) •

والتبشير هو : كيفية الهجوم على الديانات المتوطنة ، وكيفيـة الدعوة للديانة المسيحية ، هذا هو مفهوم التبشير وإن كان أخذ ألوانا متعددة بحسب الظروف ليتستر خلفها •

وأما الاستشراق : فهو تفرغ لفيف من الباحثين الأوربيين لدراسة الدين الإسلامى من قرآن وفقه ولغة ••• الخ • بغرض الوقوف على الدعوة الإسلامية وفهم طبيعة المسلمين ، للانطلاق غالبا لإثارة الشبه والشكوك حول الإسلام (٢) •

تلك هى لمحة عن الحالة الفكرية فى هذا العصر ، تضمنت وصـفا لحال الجمود والركود فى المعارف والعلوم بصفة عامة ، وفى الحديث ودراساته بصفة خاصة ، فى مصر والعراق والشام والحجاز وتميزت الهند بالعناية بالحديث ودراساته وكتبه من بين البلاد الإسلامية فى هذا العصر كما سجل ذلك الشيخ محمد رشيد ، وقد نقلناه عنه آنفا •

---

(١) رد عليهم الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه السابق وفند شبهة هؤلاء المستشرقين •

(٢) أوروبا والاسلام ، د• عبد الحليم محمود ص ١٧ ، وقد افرد الكاتبون أبحاثا فى هذا الموضوع ويراجع فى ذلك « القرآن والمبشرون » للأستاذ محمد عزة دروزة ، والتبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت، والمبشرون والمستشرقون للدكتور البهى ، والاسـلام والمستشرقون لمحمد الدسـوقى •

ومما يؤيد ذلك ، تلك الكتب الحديثية التى حققت وطبعت فى الهند من دواوين السنة وكتب الرجال ككتاب كنز العمال للشيخ على المتقى والمستدرك للحاكم مع تلخيصه للذهبى ، وجامع المسانيد للعلامة الخوارزمى والسنن الكبرى للبيهقى ، ومشكل الآثار للإمام الطحاوى ومسند أبى داود الطيالسى له • وشرح تراجم أبواب البخارى لشاه ولى الله دهلوى والاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمى ، ومصنف عبد الرزاق ، والكنى والاسماء الدولابى وتجريد اسماء الصحابة للحافظ الذهبى وعشرات غير هذه من كتب الحديث والرجال حفلت بها المكتبة الحديثية فى الهند مما يؤيد ما لاحظه الشيخ محمد رشيد رحمه الله (١) •

وقبل أن نختم الحديث هنا ينبغى أن أشير إلى أن المسلمين تجاوزوا بحمد الله مرحلة الجمود والركود هذه ، ودخلوا فى عصر جديد ، يبشر بخير كثير ، وقد انقشعت فى هذا العصر غيوم الشبه والاضاليل التى بثها المبشرون والمستشرقون أمثال جولد زيهر وروبسون وشاخت وأندرسون ومرجيليوت وآربرى وغيرهم •

وأصبح بعض هؤلاء المستشرقين ينظر إلى أفكار جولد زيهر ومن على منهجه نظرة تختلف عما كان له فى نفوسهم أولا ، من قداسة وبعد عن الخطأ •

حتى لقد قال أحدهم وهو المستشرق السويدى « نيبرج » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى : إن جولد زيهر كان فى القرن الماضى

---

(١) انظر الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ص ٤١٩ ومقدمة مصنف عبد الرزاق ، وخاتمة المستدرك للحاكم ، ج ٢ ، ط الرياض .

ذا شهرة علمية ومرجعا للمستشرقين ، أما فى هذا العصر — بعد انتشار الكتب المطبوعة فى بلادكم عن العلوم الإسلامية — فلم يعد جولد زيهر مرجعا كما كان فى القرن الماضى ، لقد مضى عهد جولد زيهر فى رأينا (١) .

وبانتهاء عهد جولد زيهر وأمثاله ينتهى عهد أحمد أمين وأبى ريه ومن لف لفهما من تلاميذ المستشرقين .

وبانتهاء هذا كله يبزغ فجر جديد من النشاط العلمى والحديثى لدى المسلمين للقضاء على ما بقى من تأخر وركود خيما على بلاد المسلمين طوال فترة طويلة من السنين .

وآية هذه النهضة فى مصر إنشاء قسم الحديث للدراسات العليا فى كليات أصول الدين من جامعة الأزهر ، وعناية القائمين على هذه الأقسام بمناهج البحث فى الحديث ، وإحياء تراثنا من دواوين السنة التى يحتاج إخراجها والانتفاع بها إلى جهد كبير .

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

الفصل الثانى

حيـاته وتكوينـه العلمى

(١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ)

(١٨٦٥ – ١٩٣٥ م)

الكتابة عنه بأقلام عربية وأجنبية :

قال فى معجم المؤلفين :

« محمد رشيد بن على رضا بن محمد بن محمد بن على القلمونى ، البغدادى الأصـل ، الحسينى ، محـدث ، مفسر ، مؤرخ ، أديب ، سياسى ، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام فى ٢٧ من جمادى الأولى وتعلم فيها وفى طرابلس ، وبيروت ، وأخذ عن حسين الجسر ، ثم رحل إلى مصر ، فاتصل بمحمد عبده المصرى ، وتتلمذ له ، واصـدر مجلة المنار ، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، ثم قصد سورية فى أيام فيصل بن الحسين ، وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها ، فأقام بمصر مدة ، ثم رحل إلى الهند والعراق والحجاز وأوربا . وعاد فاستقر بمصر ، وانتخب عضـوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق وتوفى فجأة فى ٢٣ من جمادى الأولى بالقاهرة . من تصانيفه : تفسير القرآن الكريم لم يكمل ، الخـلافة

والإمامة العظمى ، الوهابيون والحجـاز ، الوحى المحمـدى وتاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده » (١) .

وقال الزركلى : « صاحب مجلة المنار ، أحد رجال الإصـلاح الإسلامى من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ، رحل إلى مصر وأصدر مجلة المنار وأصبح مرجع الفتيا فى التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة » (٢) .

ومن هذه الترجمة فى هذين المعجمين نلمح أن السيد محمد رشيد رضا شخصية ذات جوانب متعددة وقد تناول الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العدوى تفصيل مراحل نشأته وحياته فى كتابه القيم « رشيد رضا الإمام المجاهد » وكتب عنه الأستاذ الدكتور أحمـد الشرباصى رسالة جامعية بعنوان « رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى » كما كتب عنه أيضا كتابا آخر بعنوان « رشيد رضـا الأديب الكاتب الإسلامى » وكتب عنه الأستاذ الدكتور حسيب السامرائى رسـالة جامعية بعنوان « السيد محمد رشيد رضـا مفسرا » كما كتب عنـه صديقه الأمير شكيب ارسلان كتابا جيدا بعنوان « محمد رشيد رضا

---

(١) مؤلفه عمر رضا كحالة ٣١٠/٩ ، ٣١١ وله تراجم فى كثير من المؤلفات منها لإعلام الزركلى ٣٦١/٦ ، الإسلام والتجـديد فى مصر ، لتشارلز أدمس ، حاضر العالم الإسلامى لارسلان ، معجم المطبـوعات لسركيس ، جامع التصانيف لسركيس أيضا ، وكتب عنه الشيخ عبد الجليل عيسى فى الرسالة ١٠٧٩/١٨ ، ومحب الدين الخطيب ، الشباب ٥٥١/١١ ، وبهجة البيطار فى مجلة المجمع ٤٤٢/١٣ ، والشيخ أحمد محمد شـاكر فى المقتطف ٣١٧/٨٦ ، والشيخ على سرور الزنكلونى فى الشباب ٥٦٠/١١ ، وغير هؤلاء كثيرون .

(٢) الاعلام ٣٦١/٦ بتصرف .

أو إخاء أربعين عاما » كما ترجم له الأستاذ العلامة محمد عزة دروزة — أمد الله فى حياته — فى كتابه : نشأة الحركة العربية الحديثة [1] .

وكما كان موضع عناية الكتاب المسلمين ، أثار تفسير المنار عناية الكتاب المستشرقين فوضع جومبيه رسالة جامعية نال بها درجة الدكتوراه عـام ١٩٥٤ من جامعة السوربون عنوانها « تفسـير المنار » .

وقد توفر الباحث فى رسالته عن تفسير المنار على دراسة حياة الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا ، وعاش معهما وتمثـل حياتهما ، وقرأ كل ما يحكى عنهما من قصص وذكريات وآثار ودرس كل ما كتب عنهما من بحوث ، ليكتشف منهجهما فى التفسير ، ويستبين له بذلك أثر القرآن فى الحياة الفكرية والاجتماعية فى القرن العشرين فى بلد إسلامى .

« وقد لاحظ المؤلف أن مصر تمر بفترة بعث ناهض ، بعـد نوم طال قرونا عدة ، وكما يجدد الكائن معالم حياته فى كل مرحلة من مراحل تطوره أخذت مصر بمظاهر الحضارة الحديثة ، ووسائلها الفنيـة مع الاحتفاظ ببعض ملامح الماضى ذات الطابع السلفى » [2] .

---

(١) ص ١٢٠ — ١١٣ — والأستاذ محمد عزة دروزة معاصر لمحمـد رشيد وعمل معه فى الحركة العربية وهو من رجـالاتها المعروفين وله عشرات الكتب المطبوعة فى شتى أنواع المعارف وله تفسير كامل للقرآن الكريم وهو الآن تجاوز التسعين من عمره أمد الله فى حياته ، وقد زودنى مشكورا بترجمة خطية للشيخ محمد رشيد وهى عندى .

(٢) الفكر الدينى فى مواجهـة العصر . د. عفت محمـد الشرقاوى ص ٦٧ ، ٦٨ .

وكذلك تناول كتاب غربيون كثيرون الكتابة عن الشيخ محمد رشيد ومن هؤلاء آدمز فى كتاب : الإسلام والتجديد فى مصر (ترجمة العقاد إلى العربية) وجورج أنطونيوس فى كتابه يقظة العرب (ترجمة الركابى) وج.ف أبوت فى كتابه تركيا واليونان والقوى العظمى ، دون فى كتابه مقدمة لتاريخ التربية فى مصر الحديثة ، هـ.أ. جب فى كتابه المجتمع الإسلامى والغرب ، والإسلام ، وهتى فى كتابه تاريخ سوريا و أ. حورانى فى كتابيه الفكر السياسى المعاصر فى سوريا ولبنان ، والفكر العربى فى عصر الحرية ، ونيكلون فى كتابه دراسات فى العقيدة الإسلامية ، وغير هؤلاء كثيرون يطول ذكرهم (١) .

وبهذا القدر من عناية الكتاب من شرقيين وغربيين ، بالكتابة عن الشيخ محمد رشيد يتبين لنا مقدار ما أثاره الشيخ فى حياته من جدية وأصالة ، استقطبت هذا العدد الكبير من أقلام الكتاب ذوى الاتجاهات والميول المختلفة .

وعناية الغربيين والمستشرقين بالكتابة عنه يوضح لنا مدى يقظة هؤلاء فى رصد حركة العالم عندنا ليتخذوا منها الوضع المناسب لاجهاض هذه الحركات العلمية التى تنشد للمسلمين الإصلاح والسير فى الطريق السليم .

إن هدف هؤلاء المستشرقين من كتاباتهم يتركز حول خدمة مطامعهم الإستعمارية ، فقد تعلموا من الحروب الصليبية ، أن الغزو العسكرى وحده لا يكفى فى إخضاع الشعوب لهم ، فكانت طلائعهم فى الغزو هو بث هذه الدراسات التى يقوم بها المستشرقون ونشرها

---

(١) انظر رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٢٨٧ .

بين الشعوب المستعمرة ، لتصيبهم فى أفكارهم وعقائدهم قبل إصابتهم فى حريتهم واستقلالهم واستغلال خيرات بلادهم •

ومن هنا رصدوا كل حركة تهدف إلى تحرير العقول ، وتنقيه الأفكار والميل بالمسلمين إلى الاستمداد من منابع دينهم الأصلية — القرآن الكريم والسنة النبوية ، — ليضعوا فى سبيل ذلك العقبات التى تحول بين المسلمين وبين ما يريدون •

ولما كان الشيخ محمد رشيد من أعلام الدعوة إلى الإصلاح فى العصر الحديث ، وكان منهجه فى التفسير وتناول كتب السنة حربا على التقليد ودعوة إلى فتح العقول والأفكار على أصول الدين لتأخذ منه ونبذ كل ما يحول بينهم وبين صفاء هذه المنابع من إسرائيليات فى التفسير ، ودخيل فى السنة ، مع دقة استعمال مناهج المحدثين فى النقد ، والحرص على توسيع المدارك العقلية فى الأخذ بالنص ، وإستخلاص مدلوله ، وفهم معناه ، والوقوف من المبشرين والمستشرقين موقفا يبين تحريفهم وعدم فهمهم ، وركونهم إلى الهوى دون اعتماد الحياد فى البحث والتمحيص ، الأمر الذى كشف عوارهم ، وأبطل سهامهم •

لما وقف الشيخ فى العصر الحديث هذا الموقف كان لابد أن يستقطب أقلام هؤلاء المستشرقين ، لا لفهم المنهج وتدعيم الحق ، بل لوضع العقبات التى تحول دون ذلك بقدر ما يستطيعون •

هذا هو رأينا فى جملة هذه الكتابات بأقلام المستشرقين عن الشيخ محمد رشيد ، والله الموفق والهادى إلى الصواب •

مولـــده ونشـــأته : (١)

ولد الشيخ محمد رشيد رضا فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ فى قرية تسمى القلمون على شاطىء البحر الأبيض من جبل لبنـــان ، وهى قرية تبعد عن طرابلس الشام بزهاء ثلاثة أميال .

وهو سليل بيت عربى عريق ، حسيب نسيب ، ينحدر من نســل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ويستمد بالتالى الشرف والسيادة من انتمائه إلى العترة النبوية الشريفة .

عرف بيت آل الرضا بهذا النسب فى القلمون ، وتوارث أبنـــاء هذا البيت مهمة الإرشاد والرئاسة فى تلك القرية حتى صاروا يعرفون باسم « المشايخ » تمييزا لهم وتكريما لهم عن بنى جلدتهم .

فى هذا البيت ربى محمد رشيد . فلما شب عن الطوق ، رأى أباه وقد آلت إليه رئاسة هذا البيت فى القلمون .

وكان أبوه رجل فضل ورئاسة ، عرف المجاملة ، وحسن معـــاملة الناس ، وذكرهم بالخير فى غيابهم .

كما كانت أمه سيدة سليمة الفطرة ، طيبة السريرة .

وقد ورث عنهما هذه الأخلاق الحميدة قال رحمه الله منوها بذلك : وأعد من فضل الله تعالى على ، أننى ورثت منها ــ والدته ــ ســلامة

---

(١) اعتمدت فى هذه الدراسة على كتاب رشيد رضا الإمام المجاهد والمجددون فى الإسلام وزعماء الإصلاح فى العصر الحديث وتاريخ الأستاذ الإمام ، وترجمة مخطوطة (عندى) له بقلم معاصره وصديقه الأســـتاذ محمد عزة دروزه أمد الله فى عمره . والسيد محمد رشيد رضا لشكيب ارســـلان .

الفطرة وطيب السريرة ، فلم أحمل فى قلبى حقدا على شىء ، ولا حسدا لذى نعمة » .

كما ورثت من والدى « أكرم الله مثواهما » عزة النفس والشجاعة والنجدة وإنما أذكر هذا تنويها بفضل الوالدين وتحدثا بنعمة الله عز وجل ، وأعظمها العلم الصحيح بالإسلام والعمل به ، ثم وراثة النسب الشريف » (١) .

وبدت ملامح الذكاء عليه منذ الصغر ، الأمر الذى شعر به من يرتادون منزلهم ، فقد مال إلى مجالسة العلماء منهم دون الأمراء والوجهاء وأصحاب المناصب من هؤلاء الضيوف .

وبشر هؤلاء الضيوف الأب بما رأوه من نجابة الأبن وذكائه وما يرجون له من النجاح والنبوغ فى العلم ، وحث هؤلاء الأب على العناية بولده وتعليمه ، لما أنسوا فيه من أدب وخلق وذكاء وفهم .

والحق أنها نبوءة صادقة ، فقد كان الشيخ محمد رشيد من النوادر فى الفهم والذكاء .

ومما يدل على هذا ما حدث به قال : زرت بيت المقدس فى عهد طلبى للعلم بطرابلس فى المحرم سنة ١٣١٢ هـ ، فاجتمعت فى مدينة الخليل عليه السلام ، بمفتيها الرجل الصالح من آل التميمى فسألنى ممتحنا : يقول الله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وما يريده الله تعالى لا يجوز تخلفه عقلا ، ولكنا نرى العسر واقعا مشاهدا فكيف هذا ؟ . قلت : إن الآية فى تعليل الرخصة فى الصيام للمريض والمسافر ، لا فى التكوين والتقدير كالعسر فى المال والرزق ،

(١) مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٩ .

فأعجبه الجواب ، ودعا لى ولم أكن حضرت شيئا من تفسير القرآن فى ذلك العهـد » (١) .

قال الدكتور إبراهيم العدوى : بدأ (الشـاب) يحفظ القرآن الكريم فى كتـاب القرية ، وتعلم فيـه قراءة القرآن الكريم والخط والحساب ، والتحق بالمدرسة الرشـيدية بطرابلس الشـام ، وكانت مدرسة ابتدائية تعنى بالنحو والصرف والحساب ومبادىء الجغرافيـا وعلم الحال « العقائد والعبادات » وكانت الدروس فيها تلقى بالتركية ، لأنها تعد خريجها لتولى الوظائف الحكومية ، ولم يلبث أن ترك هـذه المدرسة بعد أن مكث بها سنة ، لأن نفسه ابت عليه أن يتولى وظائف الحكومة .

وقد رغب أبوه ألا يترك القرية ، إلا بعد بلوغ سن الرشد ليحفظ نفسه من مفاتن المدينة ومفاسدها .

وفى عام ١٢٩٩ هـ — ١٨٨٢ م التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس وكانت هذه المدرسة أرقى من المدرسة الرشـيدية ، وجميع التعليم فيها باللغة العربية عدا اللغتين التركية والفرنسية ، واهتمت هذه المدرسة أيضا بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضـيات والفلسفة والطبيعة (٢) .

ولم يشأ له الحظ أن يستمر فى هذه المدرسة ، فقد أغلقت المدرسة أبوابها بسبب أن الحكومة التركية رفضت اعتبارها من المدارس الدينية التى يعفى طلابها من الخدمة العسكرية .

(١) تفسير المنار جـ ٢ عدد ٧ ص ١٣٢ .
(٢) رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٢٣ .

والتحق بعد ذلك الشيخ محمد رشيد بالمدرسة الدينية فى طرابلس ونال منها الأجازة فى العلوم العربيــة والشرعيــة والعقليــة فى عام ١٣١٤ هـ — ١٨٩٧ م ٠

أما طلبه الحديث وعنايته به فقد بدأ فى وقت مبكر ، فقــد بدأ دراسة الحديث فى قريته القلمون قبل أن يخرج إلى طرابلس الشام فى طلب العلم ، وكان أول ما تلقاه فى ذلك كتاب الأربعين النووية حيث « قرأه على أستاذه وشيخ شيوخه علامة الديار السورية بل العربية الشيخ محمود نشابه رحمه الله تعالى واجازه بهذا الكتاب ، وذلك قبل أن يبدأ بطلب العلوم » (١) ٠

هذا عن بدء طلبه للحديث فإذا عرفنا أنه بدأ طلب العلم فى طرابلس الشام بعد بلوغه الثامنة عشرة ٠ وكان هذا قبل بدء طلبه العلم فى طرابلس الشام ، عرفنا أنه تلقاه قبل الثامنة عشرة من العمر ٠

وقد أدرك بذكائه أهمية دراسة الحديث ، لأنه دليل الأحكام فى الفقه والمعاملات ٠

ومن هنا انتقد هذه الأحكام التى بثها الفقهاء فى كتبهم دون أن يعتمدوا على دليل لها يمكن أن تطمئن إليه النفس ، فهو يطلب العلم بدليله ، ولا يطلب العلم الذى يفتقر إلى الدليل ٠

ولهذا نراه يقول : قد فطنت فى أثنـــاء طلبى العلم فى طرابلس الشام لانكار قول العلماء : أن جميع ما قرره الفقهــاء فى كتبهم من الأحكام ، دين أوجب الله علينا اتباعه ، ونحن نرى بمدارسته ، أن

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ عدد ٣١ ص ١١٢ هامش ٠

أكثر آراء المؤلفين يستنبطها بعضهم من كلام بعض ، لا من كلام الله ورسوله ، والذين يستدلون منهم وهم أقلهم ، يذكرون فى أدلتهم أحاديث ضعيفة أو موضوعة ولا سيما الحنفية ، فكنت أجادل الطلاب ثم العلماء فى ذلك حتى كنت أقول فى بعض الأحكام : أهذا حكم الله تعالى ، أم حكم التتارخانية والشرنبلالية والولوالجية وأمثالها من كتب الأعاجم والمقلدين ؟ وكان هذا أول أسباب اشتغالى بعلم الحديث »(1).

هذا نقد لكتب الفقه التى تعتمد الأحكام دون دليل ، وتسوق آراء الفقهاء لتصبح دينا يتبع ويعمل به فى هذه الكتب .

وجميل أيضا نقده للاستدلال فى هذه الكتب بالحديث الضعيف أو الموضوع ، الأمر الذى ينبغى أن تتضافر الجهود على تنقيته كتب الفقه منه .

وحين يدرك الطالب أهمية الحديث ودراسته على هذا المستوى ، فإنه بلا شك يكون قد وضع الأساس السليم الذى ينبغى أن يعرفه طالب الحديث .

ومن هنا أيضا ينبغى أن نمهد لوضع كتب فقهية تشتمل على الحديث الصحيح فى تقرير أحكامها ، لا على الحديث الضعيف أو الموضوع ، أو على آراء الفقهاء التى لا دليل عليها من كتاب أو سنة .

ومن هنا أيضا كانت حملته على التقليد ، فقد جمع فيه رسالة سماها (القول المفيد فى حكم التقليد) ضمنها نصوص الأئمة الأربعة المصرحة بالنهى عن التقليد ، وخلص من ذلك إلى القول بأن منع التقليد

---

(1) تاريخ الأستاذ الإمام 1/945 .

إن لم يكن موضع إجماع العلماء فهو مذهب الجمهور (١) ، والتقليد الذى يعنيه هو العمل بالرأى لا بالرواية •

وقد تلقى عن الشيخ أحمد القاوقجى وعن العلامة الشيخ محمود نشابه ، فكان يتلقى عن الأول ما رواه من الأحاديث المسلسلة وكتابه المعجم الوجيز فى الحديث ، وعن الثانى صحيحى البخارى ومسلم ، وفقه الشافعى ، وكان الشيخ نشابة علامة الزمان فى العلوم الأزهرية (٢) •

وتلقى عن الشيخ عبد الغنى الرافعى كتاب « نيل الأوطار للقاضى الشوكانى » (٣) الذى شرح فيه كتاب « منتقى الأخبار » لابن تيمية •

هذا هو باكورة علمه وطلبه للحديث رحمه الله ، فلما أجيز علميا ، ودخل ميدان العمل فى الحياة زاد اطلاعه على دواوين السنة وكتب الرجال حتى أصبح له فى هذا الميدان شأن كبير •

والذى يدل على مدى هذه العناية ، وطول الاشتغال بالسنة ، أنه حين وقع له كتاب مفتاح كنوز السنة ، الذى ألفه المستشرق ونسنك بالانجليزية ، فرح به أيما فرح • واثنى عليه كل ثناء وطلب من تلميذه المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ترجمته وتحقيقه وطبعه ، فقام بهذا الجهد خير قيام وكتب الشيخ محمد رشيد فى مقدمة هذا الكتاب يقول :

ولو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر على أكثر من نصف عمرى الذى انفقته فى المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنينى

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ عدد ٣٢ ص ١٧٣ •
(٢) نفسه جـ ٧ ص ٤٦٨ •
(٣) رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٣١ •

عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك (١) إنما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التى تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما فى معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها فلو كان بيدى هو أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر على ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ولكننى من الاستجابة لمن اقترحوا على أن أضع كتابا جامعا للمعتمد منها وكتابا آخر للمشكل منها فى نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنـــه (٢) •

هذا ما يعبر عن عناية الشيخ محمد رشيد بالحديث والسنة وهو صادق فى تعبيره لأنه يحكى معاناته ، وما بذل من جهد ووقت فى البحث عن الأحاديث فى دواوين السنة •

وهو وصف لا يعرفه إلا المعانى الذى عرض له حديث فطلبه فى مظانه فلم يجده ، وذلك كثير الوقوع لمن يبحثون فى السنة •

وأسوق هنا ما وقع للعلامة الكبير والمحدث الفاضل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله قال : « وها أنا اشتغل بعلوم الحديث وكتبه منــذ خمس وعشرين سنة وقد تلقيت كثيرا منها سماعا وقراءة عن أعــلام وكبار الشـــيوخ ، وفى مقدمتهم والدى الأستاذ الخليل السيد محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر سابقا (رحمه الله) والحافظ الكبير العلامة السيد عبد الله بن ادريس السنوسى عالم مراكش وشيخ شـــيوخها رحمه الله : ومع ذلك فإنى طالما أعيـــانى تطلب بعض الأحاديث فى مظانها ، وأغرب من هذا أنى لبثت نحو خمس سنين وأنا أطلب حديثا

---

(١) الاشارة الى مفتاح الصحيحين المطبوع .
(٢) مفتاح كنوز السنة ــ المقدمة ــ ص.ع.

معينا فى سنن الترمذى ، وهو كتاب تلقيته كله عن والدى سماعا ، ولى به شبه اختصاص وكبير عناية » (1) .

ويؤكد الشيخ محمد رشيد عنايته بالحديث وعلومه فيقول : « إننى وفقت لطلاب العلم من طريق الدليل ، ثم وفقت لنشره بالدليل ، ووفقت للمناظرة وللافتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب ، وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل ، لتخريج الأحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها ، واشتهرت عند من يعرفنى من أهل العلم والذكاء ، كان الأستاذ الأوزعى ، الشيخ محمد توفيق البكرى يظن أن عندى فهارس لأوائل الأحاديث كلها ، ومعجما لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها ثم علم أنه ما ثم مفتاح إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور ، وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن ، وشروح الحافظ العسقلانى والقسطلانى والعينى لصحيح البخارى (فى طبعاتها الأولى) وشرح النووى لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلانى للبخارى » (2) .

وبعد هذا الذى نقلناه لا أرى سببا يجعلنى أقبل ما قاله الأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله فى وصف السيد رشيد رضا بأنه كان فى أول أمره متأثرا بوجهة نظر أستاذه الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وكان مثله فى أول الأمر قليل البضاعة من الحديث ، قليل المعرفة بعلومها ، ولكنه منذ استلم لواء الإصلاح بعد وفاة الإمام

(1) المرجع السابق — المقدمة — ب.ج .

(2) المرجع السابق — المقدمة — س .

محمد عبده ، وأخذ يخوض غمار الميادين الفقهية الحـديثة وغيرهما وأصبح مرجع المسلمين فى انحاء العـالم فى كل ما يعرض لهم من مشكلات ، كثرت بضاعته من الحديث ، وخبرته بعلومها حتى غـدا آخر الأمر حامل لواء السنة ، وأبرز اعلامها فى مصر خاصة ، نظرا لما كان عليه علماء الأزهر من إهمال لكتب السنة وعلومها ، وتبحرهم فى المذاهب الفقهية والكلامية واللغوية وغيرها (١) .

لقد كان الشيخ محمد رشيد شـجاعا جريئـا فى الحق ، وكثيرا ما انتقد أستاذه وصحح له بعض الأحاديث ، وأذكر أن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده أورد عبارة تفيد أن « الفقراء عيال الله » فعلق عليها الشيخ محمد رشيد بقوله : أخذ الأستاذ هذا التفسير من الحديث المشتهر (الفقراء عيال الله) وإنما الرواية (الخلق عيال الله) وهو ضعيف السند (٢) .

وهو هنا يصحح لشيخه الرواية ، ويذكر ضعف السند .

وكثيرا ما كان يستدرك ويعقب على شيخه ، ويبين رأيه الذى يعتقد أنه الصواب .

ارتضى الأستاذ الإمام رأى من يقول ، أن المراد بغضب الله لازمه وهو العقاب ، وعقب على ذلك الشيخ محمد رشيد فقال : « وغضب الله يفسرونه بلازمه وهو العقاب ، ووافقهم الأستاذ الإمام ، والذى ينطبق على مذهب السلف أن يقال : إنه شأن من شئونه تعالى ، يترتب عليه عقوبته وانتقامه » (٣) .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٤١ .

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٨ ، وانظر رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٦٨ .

ويمكن أن نثبت كثيرا من الأمثلة على هذا (١) ، الأمر الذى يميز شخصية الشيخ محمد رشيد ، ولا تجعله تابعا أو ظلا لشيخه فى كل الأحـوال •

ويمكن أن نقبل هذا الوصف من الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى وهو : قلة بضاعة الشيخ محمد رشيد من الحديث أول الأمر ، إذا كان يريد به الوصف الذى ينطبق على كل مبتدىء فى تحصـيل علم من العلوم فإنه يبدأ بتحصيل القليل القليل فى هذا العلم ، ثم يقوى ويشتد ساعده فيه بمضى السنين وكثرة الاشتغال به ، وهذا لا يكاد يخلو منه طالب علم — أى علم — وهو بالتالى ليس عيبا ، لأنه الشأن فى طلب العلوم •

أما أن يفهم هذا على أنه كان ظلا لأستاذه ومثله فى الحـديث أول الأمر ، فهذا ما يرده ما كتبناه آنفا من عنايته وطلبه للحديث منذ الصغر قبل أن يخرج إلى طرابلس لطلب العلم بها•

ويرده أيضا ما قدمناه من استقلال شخصيته العلمية عن شخصية شيخه سيما فى المسائل التى يعتقد أنها الحق والصواب •

لقد اختط الشيخ محمد رشيد لنفسه فى السنة منهجا عمليا كان له أثره فى توجيه المشتغلين بالسنة إليه • وهو يقول فى هذا :

« ولما أنشأت المنار فى أواخر تلك السنة (٢) التزمت فيه تخريج كل ما أنقله فيه من الأحاديث فكان لذلك بعض التأثير فى بعض طلاب

---

(١) انظر تفسير المنار ١/٤٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٤٧٠ ، ٢٢ — ٦٨ ، ٤٨ ففيها أمثلة على ذلك .

(٢) صدر العدد الأول من المنار فى ٢٢ من شوال سنة ١٣١٥ هـ — ١٥ مارس سنة ١٨٩٨ م ، انظر رشيد رضا الصحفى المفسر ص ٢ .

العلم فى الأزهر ثم فى مدرسة القضاء الشرعى ، وكان جــل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخوانى وأصدقائى ، فباحيائى لهذه السنة بالقول وبالعمل ، وبالدعوة إلى السـنة وهـدى السـلف والنهى عن مستحدثات البدع ، وصفت بـ (محى السنة) على ضـعف حفظى فى الرواية وقلة حظى من الدراية ، ولله الحمد على ما أعطى ومنع له وحده الفضل والمنة » (١) .

وهذا الذى يقوله من قلة الحفظ والحظ من الدراية من باب تواضع العلماء ، لأنه كان قوى الذاكرة سريع الفهم . قال مصورا حاله فى بعض الدروس : « كنت أجلس فى دروس النحو على يمين الأستاذ وأبدأ باسماعه أبيات الألفية المفروض حفظها كل يوم ، فإذا جاء الدرس ولم أكن حفظتها لقلة الاهتمام به ، أتأخر عن الدخول إلى أن يبدأ الطلبة بالاستماع فأحفظ معهم ، وإنما كنت سريع الفهم حتى أننى كنت أتألم ويضيق صدرى من إعادة الأستاذ للمسألة التى يقررها ، وكنت قوى الذاكرة والاستحضار لما أقرأ أو أسمع » (٢) .

فهو إذن سريع الفهم قوى الذاكرة والاستحضار لما يقرأ ويسمع، وإنما قال ما سبق لأنه من باب تواضع العلماء .

فإذا عرفنا أنه التزم بتخريج ما ينقله من الحديث فى مجلة المنار وعرفنا أن المنار أنشأها وقد تجاوز الثلاثين بقليل ، علمنا أنه كان منذ البداية ذا حظ لا بأس به من الحديث لما التزمه من هذا المنهج الذى لا يتيسر لمن لا يكون ذا خبرة غير قليلة بكتب ودواوين الحديث .

---

(١) مفتاح كنوز السنة ــ المقدمة ــ (ق) .
(٢)رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٢٥ .

ومن هنا أيضا لم نقبل ما قاله الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى ــ رحمه الله ــ من قلة بضاعة الشيخ محمد رشيد فى الحديث أول الأمر ، إلا إذا عنى به ما سبق أن قلناه فى ذلك •

شــــيوخه :

نذكر هنـــا بعض تراجم شــيوخه الذين تلقى عنهم فى طرابلس الشام وأهم هؤلاء هم الشيخ حسين الجسر والشــيخ عبــد الغنى الرافعى والشيخ محمود نشابه والشيخ محمد كامل الرافعى وفى مصر الأستاذ الإمام محمد عبده ، ونكتفى بترجمة ثلاثة منهم هم الشــيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابه والأستاذ الإمام محمد عبده •

الشــيخ حســين الجسر :

هو العلامة الجليل ، والفهامة النبيل الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسى كان والده من مدينة دمياط من الديار المصرية ، فانتقل إلى الشام ، ثم إلى طرابلس الشام •

ولد رحمه الله فى ٢٣ من رمضان سنة ١٢٦١ هـ ، وتوفى والده وله من العمر تسعة أشهر ، فكفلته والدته التى توفيت وله من العمر عشر سنين ، فكفله عمه الشيخ مصطفى الجسر •

وقد نشأ رحمه الله نشأة صالحة ، فقرأ القرآن فى بلاده ، وطلب العلم فيها ثم ارتحل الى الأزهر لطلب العلم الشريف ، ففاق أقرانه فى العلم والفهم والذكاء [1] •

---

(١) انظر هدية الألباب فى جواهر الآداب •

ومن أكبر شيوخه فى طرابلس الشيخ محمود نشابه ، ومن شيوخه بمصر حيث تلقى بالأزهر بضع سنين الشيخ المرصفى .

وقد امتاز بالنظر فى العلوم والفنون العصرية ، وبالاطلاع على الصحف والمجلات العلمية ، ورغب حين رجع إلى طرابلس من مصر فى جعل طلاب العلوم الدينية يجمعون بينها وبين العلوم العصرية ، فسعى فى انشاء مدرسة دينية نظامية ، وسماها « المدرسة الوطنية » لم تلبث أن أغلقت أبوابها لعدم اعفاء طلابها من الجندية .

وبعد أن أغلقت المدرسة أبوابها طلب للتدريس فى المدرسة السلطانية ببيروت فأقام بها مدة قصيرة ثم عاد إلى طرابلس ليقوم بالتدريس فى المدرسة الرجبية للعلوم الدينية .

وإلى جانب هذا كان يلقى بعض الدروس على طلاب العلم فى بيته حين يعتريه مرض يمنعه من الذهاب إلى المدرسة .

وكانت طريقته فى التدريس أن يوجه كل همه إلى حل المسائل بسهولة وعبارة سهلة يفهمها الطالب .

وأشهر مؤلفاته « الرسالة الحميدية فى حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة الإسلامية » بين فيها عقائد الإسلام وأركان عباداته وأهم معاملاته الإجتماعية مقرونة بحكمها وأدلتها ، وذكر ما يرد عليها من الشبهات العصرية وأجوبتها .

وكانت وفاته رحمه الله فى رجب سنة ١٣٢٧ هـ (١) .

---

(١) انظر مجلة المنار جـ ٣ ص ١٦٠ ، وهدية الألباب فى جواهر الآداب .

الشـيخ محمود نشـابه :

ومن شيوخه العلامة الفاضل الشيخ محمود بن محمد بن عبد الدايم نشابه ، وهو من أهل طرابلس الشام ، تعلم بمصر ، ومن كتبه « حاشية على متن البيقونية فى مصطلح الحديث » ، و « حاشية على همزية البوصيرى » وتعليق على شرح الضناوى فى المنطق [1] .

وقد أقام الشيخ محمود نشابه فى الأزهر زهاء ثلاثين سنة طالبا ومدرسا ، واتقن جميع ما يدرس فيه حتى الجبر والمقابلة الذى هجر بعد عهده .

وأقام بقية عمره فى طرابلس فى تدريس تلك العلوم فتخرج عليه كثيرون ، وكان شيخ الشافعية والحنفية جميعا ، وقلما اتقن أحد فقـه المذهبين مثله .

وقد أدركه الشيخ محمد رشيد فى أوائل الطلب ، وقرأ عليه متن الأربعين ، وأجازه بها قبل الشروع فى طلب العلوم .

ثم حضر عليه درسه لشرح البخارى فى الجامع الكبير ، وقرأ عليه صحيح مسلم ، وشرح المنهج بداره .

وحضر عليه طائفة من شرح التحرير وهو فى فقه الشافعية كالمنهج.

وعرف الشيخ محمد رشيد فضله وعلمه بعد قراءة صحيح مسـلم عليه فقد كان يقرأ عليه المتن ، فيضبط له الشيخ محمود نشابه الرواية أصح الضبط من غير مراجعـة ولا نظر فى شرح . ويسـأله عن كل ما يشكل من مسائل الرواية والدراية فيجيب عنها أصح جواب .

---

(1) الاعلام لخير الدين الزركلى ٨/٦٤ .

وكان الشيخ محمد رشيد يقوم بعد الدرس فيراجع بعض تلك المسائل فى شرح مسلم وغيره فلم يعثر له على خطأ فى شيء منها .

وكان على خلق فاضل ، لا يتعصب إذا وقع فى خطأ بل يرجع إلى الصواب إذا نبه .

وبلغ به الزهد مبلغا ، فهو لا يبالى بزينة الدنيا ولا زخرفها ولا يحفل بحكامها وكبرائها ولا يزور حاكما ولا أميرا وقد حضر أمير طرابلس لزيارته فى داره فرده عن الباب ولم يسمح له بالدخول .

ورثاه الشيخ محمد رشيد بعد وفاته بقصيدة مطلعها :

شيخ الشيوخ إمام العصر أوحده
وارث المصطفى فينا ونائبه

ومنها :

ومنهج العلم أمسى اليوم مسلكه
وعرا تجوب مجاهيلا جوانبه
وصدر شرح البخارى ضاق فيه وكم
قامت على مسلم تبكى نوادبه
لئن بكى تابعوا النعمان مذهبه
فالدين من بعده ضاقت مذاهبه
هذا ابن ادريس بعد الشيخ قد درست
دروس مذهبه وارتاع طالبه (1)

(1) انظر مجلة المنار جـ ٣ ص ١٥٦ وهو يشير فى الثلاثة الأبيات الأخيرة الى شرح الشيخ لصحيح البخارى ، وضبطه وشرحه لصحيح مسلم، وما كان مبرزا فيه من فقه الشافعى وأبى حنيفة .

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [1] :

هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد بن عبده بن خير الدين المصرى ، ولد بمحلة نصر ، بمديرية البحيرة سنة ١٢٦٦ هـ — ١٨٤٥ م فحفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة فى كتاب القرية •

وحين بلغ الخامسة عشرة أرسله أبوه إلى الجامع الأحمدى لتلقى العلم فيه وطريقـة التعليم فيـه كانت على غرار التعليم فى الجامع الأزهر ، وهى طريقة تأخذ الطالب دون مقدمات إلى الدخول فى الاعراب ومعرفة النحـو وغيره من العلوم ، لا تراعى ذهن الطالب المبتـدىء وما يحتاجه من مقدمات وتمهيد •

فلم يرق له ذلك ، وآثر أن يرجع إلى قريته ليعمل بالزراعة فأبى عليه أبوه ذلك ، وأصر على أن يعود إلى الجامع الأحمدى فهرب إلى قرية تسمى « كنيسة أورين » بها خال أبيه الشيخ درويش وكان صوفيا يشتغل بالوعظ والإرشاد ، فأخذ يحبب إليه العلم والتعليم ، فرجع إلى الجامع الأحمدى ، فطلب العلم على شيوخه خمس سنين ، ثم تركه إلى الأزهر وأخذ عن شيوخه ، واتصل بجمال الدين وأخذ عنه ما أثر فى حياته وجعله ينهج نهجه فى تدريس بعض الكتب فى الأزهر ، وهو لايزال طالبا •

وقد وجد بعض الصعوبات فى حصـوله على شـهادة العالمية ، لتعصب بعض الشيوخ عليه •

---

(١) رجعنا فى هذا الى تاريخ الأستاذ الإمام • والمجددون فى الإسلام والتفسير والمفسرون • وعبقرى الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده للعقاد ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده بتعليق رشيد رضا •

وقام بعد ذلك بالتدريس فى مدرسة دار العلوم ونهض فى ذلك نهضة طيبة •

وشارك جمال الدين فى دعوته إلى الإصلاح ، فضاق توفيق باشا بذلك وأمر بنفى جمال الدين ، وأمر بأن يلزم الشيخ محمد عبده قريته سنة ١٢٩٦ هـ — ١٨٧٨ م ، حتى سعى رياض باشا له عند الخديوى ، فرضى عنه وعاد للقاهرة فى السنة التى تليها •

وتولى تحرير جريدة الوقائع المصرية ، فجعلها منبرا لإصلاح الشعب مخالفا منهج جمال الدين الذى كان يرى البدء بإصلاح الحكومة•

ولما استعان الخديوى بالانجليز فى ثورة عرابى ، انضم إلى عرابى ، واصطلى بنار الثورة التى انتهت باحتلال الانجليز لمصر ونفى محمد عبده إلى بيروت •

ودعاه جمال الدين إلى باريس وكان قد تعلم الفرنسية فى بيروت قبل أن يصل باريس ، وفيها أصدر مجلة العروة الوثقى ليواصل مع أستاذه جمال الدين الجهاد باصدارها •

ولما توقفت العروة الوثقى عن الصدور عاد إلى بيروت ، ليعمل فى التدريس بالمدرسة السلطانية ، ووضع فيها رسالة التوحيد ، ورسالتين فى الإصلاح ، إحداهما فى بيان الإصلاح اللازم للدولة العثمانية التركية والثانية فى إصلاح ولاية الشام ، وبعث بالرسالتين الى أولى الامر •

والتقى فى بيروت فى هذه الفترة بالشيخ محمد رشيد مرتين وكان هذا تمهيدا لربط عرى التعاون بينهما للقيام بما ينشدانه من اصلاح الأمة •

ثم عاد الشيخ محمد عبده الى مصر بعد أن عفا عنه توفيق سنة ١٣٠٦ هـ — ١٨٨٧ م وتولى القضاء بالمحاكم الاهلية •

وفى عهد عباس باشا أراد أن يناهض الانجليز ، لأنهم استأثروا بالحكم فقرب الشيخ محمد عبده ، وجعل يستشيره فى ذلك فأقنع عباس بإصلاح الأزهر والأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية ليمكنه مقاومة الانجليز •

واستجاب عباس له فوضع تقريرا لإصلاح المحاكم الشرعية وثار عليه الأزهريون حين حاول إصلاح الأزهر ، ولكنهم رضوا بأن يقتصر الإصلاح على النواحى الإدارية والصحية والخلقيـــة وأدخلت بعض العلوم الحديثة فى الدراسة ، وبقيت طريقة التدريس على حالها تقوم على فهم عبارات المتون والشروح ، ولا مجال لتجديد أو إجتهاد ، كما أبعدت قراءة بعض الحواشى فى الأقسام الأولية •

وتدارك الشيخ محمد عبده هذا النقص فى دروس التفسير التى بدأها باقتراح الشيخ محمد رشيد كما سبق ، ودروس علوم البـــلاغة الذى قدم له الشيخ محمد رشيد كتاب أسرار البـــلاغة ليشرحه فيها بدلا من السعد والتفتازانى •

وظل الشيخ محمد عبده يعمل فى سبيل هذا الإصلاح عشر سنين حتى بدأ التنافر بينه وبين عباس باشا ، لأنه كان يعامله معاملة النـــد للند ويحتفظ بكرامة العلم والعلماء ، فوضع له العراقيل ، وحرض عليه العلماء الذين اتهموه فى عقيدته ودينه ، فنفض يده من هذا الإصلاح وتركه يتعثر فى خطواته •

ولم يكن للشيخ محمد عبده فى هذه المحنة سوى صلته بتلميذه محمد رشيد الذى ظل وفيا له طوال حياته وبعد مماته رغم محاولة الخديوى التفريق بينهما ، ليحول بينه وبين آخر نافذة كان يطل منها على منهجه فى الإصلاح وهى مجلة المنار •

وقد باءت محاولات الإفساد بينهما بالفشل سواء من جانب الشيخ أو من جانب تلميذه لصلابة خلق كل من التلميذ وشيخه ، واعتصامهما بقوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (١) •

وقد أثر منهج الأستاذ الإمام فى تلميذه رشيد ، الذى كان كما قال عنه الأستاذ عبد الرحمن عاصم « متحدا معه فى العقيدة ، والفكر والرأى والخلق والعمل » (٢) •

وأثر كذلك التلميذ فى شيخه ، فكان يشير عليه بما يرى أنه يفيد فى تحقيق رسالة الإصلاح ، كما أنه حمله بالحاح على قراءة التفسير فى الأزهر ، وكان يتولى نشره فى المنار ، كما أشار عليه بتدريس أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، وربى له تلاميذ فى جميع الأقطار الإسلامية ممن تتلمذوا له على مقالاته فى مجلة المنار •

توفى — رحمه الله — سنة ١٣٢٣ — ١٩٠٥ بعد حياة حافلة بالجهاد والكفاح فى سبيل رفعة دينه وأمته فجزاه الله عن دينه وأمته خير الجزاء •

---

(١) الحجرات الآية (٦) •

(٢) مجلة نور الإسلام عدد ١٢ السنة الخامسة من مقال كتبه الأستاذ عبد الرحمن عاصم عن حياة الشيخ محمد رشيد •

زهد الشيخ محمد رشيد وتصوفه وعبادته : (١)

هذه منطلقات حية فى حياة كل مسلم داعية ، يريد أن يصلح ويحدد للناس طريقهم إلى الله ، يسيرون فيه بلا تعسر ولا التواء .

فالطمع والمادية ورفض منهج العبادة أو الانحراف فى ذلك مهلكات الدين ، وما حققات السعادة فى حياة المسلم .

ومن عرف الطمع وركن إلى المادية ، ولم يكن صاحب منهج سليم فى العبادة فقد عنصرا لا يمكنه العثور عليه فى شىء آخر ، فلا المال ولا الجاه ولا السلطان ولا كل ما فى الدنيا من ذهب وفضة ، تعوض المسلم عن القناعة والزهد والإيمان بالروح قبل الإيمان بالمادة وساعة الخلوة الى الله فى جوف الليل .

ولم يكن الشيخ محمد رشيد الذى يغفل عن ذلك ، وهو الذى نشأ فى بيت علم ودين وتقوى ، وحب للخير ، وايثار لما عند الله على ما فى أيدى الناس .

فصلته بالزهد والتصوف والعبادة ، ميراث فى هذا البيت العريق، الذى يتصل بالنسب الشريف ، نسب النبوة والهدى والشرف والدين.

وقد ساعدته حياته فى هذا البيت ، على المضى فى هذا الطريق ، فمسجد الأسرة به غرفة خاصة فى الجانب البحرى ، كان يتعبد فيها جده الأكبر ، فاتخذها الشيخ محمد رشيد مكانا لخلوته فى العبادة والدرس والمطالعة ليتعبد فيها ويتهجد — بعد أداء الفرض فى المسجد ما شاء الله له من ذلك .

---

(١) انظر فى هذا الفصل تاريخ الأستاذ الإمام ١/٨٤ ، ١/١٠١١ وكتاب « رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما » ص ٣٣ .

وأقبل على الله بقلبه وجوارحه وهو فى سن الشباب والمراهقة لم تكن له صبوة ولا نزوة ، لأن من عرف هذا الطريق فهو شاغل له عن كل شىء ، مهما كان بريقه وبهرجه •

وقد تتلمذ فى هذه الفترة على كتاب الإمام الغزالى « إحياء علوم الدين » فمكث يقرؤه ، ويردده ، ويتمثل حياته من خلال ما يقرأ فيطبق على نفسه قواعد الزهد ، وترك طيب الطعام والإكتفاء بقليل من الزعتر (١) والملح ، والنوم على الأرض ، مدربا نفسه على حياة الخشونة ، حتى مرن على ذلك لا يجد فيه مشقة لأنه صار خلقا له، وطبعا لا يتكلفه •

بل أنه حاول أن يسلك الطريق إلى التصوف ، والانخراط فى بعض طرقه السائدة ، فطلب من شيخه أبى المحاسن محمد القاوقجى أن يرشده إلى سلوك الطريق على أصولهم فى الرياضة والخلوة والترقى فى منازل المعرفة ولكن الشيخ اعتذر لرشيد رضا ، وقال له « يا بنى لست أهلا لما تطلب ، فهذا بساط قد طوى وانقرض أهله » (٢) •

على أنه سلك الطريق فعلا على يد رجل من النقشبندية ، وعرف من خلال هذه الطائفة من المتصوفة كثيرا من رياضتهم الروحية بما فيها من حسن وسىء ، الأمر الذى مكنه فى المستقبل من نقد هذه الطرق نقدا عنيفا لا هوادة فيه ولا مهادنة •

وقد كان على حق فى نقده ، لأن ما يأتى به بعضهم فى هذا السبيل يأنف عاقل من ذكره ، كما أن غلبة الجهالة ، وسن ما لم يأذن

---

(١) عشب صحراوى كالنعناع يستعمل اداما مع الزيت والملح .
(٢) رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما ص ٣٦ .

به الله فى العبادة والذكر جعلته يحمل عليهم حملة شعواء بينت كثيرا من مفاسدهم ، كما حمل على بدع أخرى كالزور وغيره من البـــدع التى لا أصل لها فى الشرع الشريف (١) .

وحملته على المتصــوفة لم تكن لأنها طريق روحى يعمق جانب العبادة حتى تصل العبد بربه ، فهو قد عرف فضل هذا الطريق بل وتحقق له فيه بعض الشفافيات الخاصة بل أن هذه الحملة كانت بسبب ما فيها من شوائب تخالف الدين وآثام لم يأمر بها شرع ولا دين(٢).

أما تصفية الروح ، وتعميق العبادة ، وتهــذيب النفس لترقى ، وتتهيأ وتتخفف من ماديتها ، فقد عرف الشيخ محمد رشيد ذلك ووقع له ما حدث به قال : « كنت فى أثناء شهر رمضان ، لا أذكر فى أى سنة أتحنث ، وأطالع الربع الرابع من إحياء علوم الدين ، فلما كان آخر يوم منه ، بلغت كتاب التوحيد والتوكل ، وقد أحييت معظم ليلة عيد الفطر بالتكبير مع جماعات من أهل بلدنا يبيتون فى المسجد كيلا تفوتهم صلاة العيد ، حتى إذا كان السحر صليت صلاة الليل والوتر إحــدى عشرة ركعة وفاقا السنة الصحيحة كالعادة ، وعدت بعد صلاة الفجر إلى التكبير مع الناس فى المسجد إلى وقت صلاة العيد ، وبعد أدائها صعدت إلى غرفة خلوتى ، وأتممت قراءة ما بلغته من الأحياء وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير فى الفناء والتوحيد ، فما أتممته إلا وشعرت بأننى فى عالم آخر من اللذة الروحية ، وأنه لم يبق لى وزن ، فكأنى روح

---

(١) انظر تفسير المنار جـ ٨ عدد ٤١ ص ٣٢٨ وفى مواضع كثيرة اخرى حملته على المتصوفة .

(٢) وانظر ذلك فى جـ ١١ عدد ٦١ صفحات ٣٤٨ وما بعدها وما قبلها من تفسير المنار .

بغير جسم ثم عدت أرجع إلى حسى ، فذكرت ما على من الذهاب إلى تهنئة والدى بالعيد فنزلت من الغرفة ، وكأننى ريشة طائر ، وشعرت بأننى لو ألقيت بنفسى من النافذة إلى الأرض ، لا أكون إلا كما تقع الريشة ، وانه يمكننى المشى على الماء ، دون الطيران فى الهواء » (١) ٠

وقد أثر فيه مثل هذا الولوع بكتاب إحيـاء علوم الدين وكثرة قراءته ، وتمثله عمليا بما فيه من آداب وأخلاق فزهد فى الدنيا بل غلب عليه ذلك ، وكره الحكام والمسرفين من أهل الدنيا ، وأغلظ فى النصح لهؤلاء ٠

قال الشيخ محمد رشيد معبرا عن ذلك : وقد غلب على الزهد ، وبغض الحكام والمسرفين من أهل الدنيا ، حتى كنت أنكر على من أراه منهم كل منكر يأتيه ، فأنكرت على والى بيروت مرة إساءة صـلاته ، وهو فى مسجد السراى بطرابلس حتى لامنى على ذلك بعض العلماء الرسميين ، وأنكرت على كثير من رجال العدلية وغيرهم سيرتهم وحملهم للساعات الذهبية والسلاسل وغير ذلك (٢) ٠

وبعد أن سلك الطريق دراسة وعملا أخذ فى نقد وتقييم أحوالهم ووزن أعمالهم بميزان الشرع لا بميزان الإلهام والكشف الذى يدعونه لأنه ليس من طرق الدلالة ، لا لغة ولا شرعا (٣) ٠

---

(١) رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٣٥ ٠

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام ٠

(٣) اضطربت عبارة الشاطبى فى ذلك فقال مرة : أنه ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم حذر وبشر وأنذر وندب وتصرف بمقتضى الخـوارق من الفراسة الصادقة والالهام الصحيح والكشف الواضح والرؤيا الصالحة ولهذا كان من فعل مثل ذلك ممن اختص بشىء من هذه الأمور على طريق من الصواب ، وعاملا بما ليس بخارج عن المشروع ٠ الموافقات ٢/٢٦٣ ٠

وشرح موقف الشيخ محمد رشيد هنا يطول ويحتـاج إلى بحث خاص وتكفى هذه الإشارة لتحديد موقف المسلم الذى يرغب فى الوقوف عندما شرع الله من هذه الطرق [1] •

رحــــلاته :

عنى المحدثون ببيان رحلات من يترجمون له ويروون عنـه لأنهم يرون فى ذلك مصدرا من مصادر التوثيق والاطمئنان إلى الرواية إذا عرف أن الراوى والمروى عنـه اجتمعـا فى مكان وزمان من أزمنـة حياتهما فى حال يصح فيه التحمل والأداء •

والمعلوم فى هذا أن البخارى يشترط اللقى بين الراوى والمروى عنه ويكتفى مسلم بالمعاصرة فقط أى معاصرة الراوى للمروى عنـه بمعنى أنهما عاشا فى زمان واحد [2] •

وقد أصبحت الرواية الآن تعتمد على الكتب ، والتوثيق يقع بصحة نسبة المروى للكتاب الذى نقل عنه مع اعتماد الكتاب نفسه وأنه من دواوين السنة المعتمدة ثم يأتى بعد ذلك النظر فى السند ورجـاله لمعرفة درجة المروى •

ومع اعتماد ما سبق فى الأخذ بالحديث فى هذه العصور نرى أن هناك من حافظ على سلسلة الرواية الموصولة إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى فى هذه العصور •

=

وقال أخرى : أن أحكام غلق هذا الباب ، هو الوقوف على ما شرع الله ونبذ لوسوسة الشيطان لأولى الأوهام بأن ما يرونه وينكشف لهم هو شرع الله حتى وان كان نقصا لما أمر به الله • الموافقات ٤/٨٤ والصواب هو غلق هذا الباب .

(١) انظر تاريخ الأستاذ الإمام فى هذا جـ ١/١٢٠ ــ ١٢٥ •

(٢) انظر شروط الأئمة السنة ص ١١ •

وقد وقعت الرواية بالسند المتصل لبعض الأحاديث للشيخ محمد رشيد كما سنورد بعض الأحاديث التى رواها مسلسلة نهاية هذا الباب •

وتعد الرحلات الآن أحد منابع المعرفة والتجربة الأساسية التى لا غنى عنها فى التعرف على أحوال المسلمين والوقوف على ما يعانون منه فى حياتهم سواء فى ذلك ما كان فى مجال العلم أو العمل والتطبيق لتتوحد الجهود والآراء نحو ما يجد من مشاكل تحتاج إلى اجتهاد واستنباط لمعرفة ما يلائم ويوافق نصوص الشريعة فى إيراد الأحكام•

ومن هنا « أقبل الشيخ محمد رشيد بذهنية من يريد العيش الحسى والمباشر للأحداث ، والإستفادة والتأثير فى مجرى الأمور والاستمتاع بدوره فى تكييف الأوضاع وفقاً لمثله ومقاييسه » (١) •

وقد كان لصاحب المنار رحلات إلى سوريا والقسطنطينية والهند والحجاز وأوروبا •

وقد سجل الشيخ محمد رشيد بقلمه مذكرات عن هذه الرحلات التى كان يقوم خلالها بشرح أحوال المسلمين لأخوانهم للتعرف وتوثيق العرى ، مع إلقاء بعض المحاضرات العامة يتناول فيها بعض الموضوعات الحديثية كلما دعى الأمر •

وقد جمع الدكتور يوسف ابيش هذه الكتابات وحققها وأخرجها فى كتاب مستقل تصل عدد صفحاته إلى ٤٠٠ صفحة من الحجم الكبير •

---

(١) رحلات الإمام محمد رشيد رضا — للدكتور يوسف ابيس ، ط ، بيروت •

وتتبع نتائج هذه الرحلات يطول ، وليس من شأننا مثل هذا البحث لأنه موضوع تاريخى سياسى ، وإنما تعرضنا له بالإجمال لما له من صلة بموضوع البحث ، وإن كان الشيخ فى هذه الرحلات قد ألم ببعض الموضوعات الفقهية والحديثية كشرحه للمناسك شرحا يعتمد على المروى فى ذلك من الحديث فى رحلته إلى الحجاز ، وتحقيق بعض المسائل الحديثية أيضا فى هذه الرحلة (١) .

مؤلفاته :

وصف الأمير شكيب أرسلان مؤلفات السيد رشيد رضا بقوله : « وقد كتب فى إفادة الأمة وإرشادها ، ما ندر أن يكون قد وفق الى مثله غيره من فحول علمائها ، سواء فى الكمية أو الكيفية » (٢) .

ونثبت فيما يلى أسماء هذه المؤلفات :

١ — تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، فسر به اثنى عشر جزءا من الذكر الحكيم فى ١٢ مجلدا (٣) .

---

(١) نفسه ص ١٤١ ، ١٥٩ — ١٧٢ .

(٢) السيد محمد رشيد رضا أرحاء أربعين عاما للأمير شكيب أرسلان ص ٨ .

(٣) ذكر الأمير شكيب أرسلان أن آخر ما وصل اليه فى التفسير من الجزء الثالث عشر ، الآية الكريمة المرقومة بمائه وواحد من سورة يوسف (رب آتينى من الملك ... الآية) وقد تتبعت عدداً من الطبعات التى صدرت قديما وحديثا لهذا التفسير فلم أجده وصل الا الى الآية ٥١ (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب .. الآية) ولعلى أوفق الى تحقيق الأمر فى ذلك اذا كان قد وصل الى الآية ١٠١ ولكنه لم ينشر له على أن تفسير السورة أكمله الشيخ محمد بهجة البيطار . ونشره فى كتاب مستقل بعنوان « تفسير سورة يوسف » انظر مقدمة الكتاب وص ١٣٠ منه .

٢ — التفسير المختصر المفيد وقد أراد رحمه الله أن يجعله كالمتن لتفسير المنار ولم يكمله أيضا • والذى طبع منه جزءان من أول التفسير وجزءان من آخر ما وصل إليه فى التفسير •

٣ — مجلة المنار • صدر المجلد الأول منها فى ٢٢ من شوال سنة ١٣١٥ هـ الموافق ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨ م وإن آخر ما طبع منها أكثر من الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين فى ٢٩ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ هـ ، ووزع الجزء الثانى بعد وفاة السيد محمد رشيد تغمده الله برحمته وما نشر فى المنار غير معزو إلى كاتب فهو للسيد محمد رشيد رضا •

٤ — تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وما جرى بمصر فى عصره ويقع فى ثلاثة أجزاء كبار وكان سيكمله بجزء رابع ، يتبسط فيه الكلام عن ثقافة الشيخ محمد عبده فى الحديث ، وكان قد كتب فى ذلك كلاما مختصرا ولم يتمكن من ذلك ، فقد توفى قبل أن يكتب الجزء الرابع (١) • وللأمير شكيب أرسلان فى الجزء الأول فى هذا التاريخ ١٤ صفحة من ٣٩٩ إلى ٤١٢ عن تاريخ وجود الشيخ محمد عبده فى بيروت (٢) •

٥ — نداء للجنس اللطيف عن (حقوق النساء فى الإسلام) وقد ترجم إلى بعض اللغات الأجنبية •

٦ — الوحى المحمدى وقد ترجم أيضا إلى بعض اللغات • وهو كتاب فى إثبات صحة الوحى ، وبحث علمى فى المعجزات والدعوة إلى الإسلام وقد نال إعجاب الكتاب والعلماء والمفكرين فى عصره •

---

(١) انظر تاريخ الأستاذ الإمام ١/١٠٣٣ .
(٢) انظر السيد محمد رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما .

٧ – المنار والأزهر • وقد ترجم فيه السيد محمد رشيد لنفسه ، وبعض ما وقع من مناقشات علمية فى السنة بينه وبين بعض شـيوخ الأزهر •

٨ – ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد •

٩ – ذكر المولد النبوى •

١٠– مختصر ذكر المولد النبوى •

١١– الوحدة الإسلامية – وقد طبع تحت عنوان « محاورات المصلح والمقـلد » •

١٢– يسر الإسلام وأصول التشريع •

١٣– الخلافة أو الإمامة العظمى ، وقد ترجمه المستشرق هنرى لاوست للفرنسية تحت عنوان : الخلافة فى مذهب رشيد رضا ، وتميزت الترجمة بإثبات المصادر التى نقل عنها الشيخ رشيد أو عـول عليها وخلص المترجم إلى أن رشيد وإن أقام مذهبه على المأثور عن السلف لا يقف عند النقل ، بل هو متكلم وأصولى وفقيه ، ولا سيما محدث [١] •

١٤– الوهابيون والحجـاز •

١٥– السـنة والشـيعة •

١٦– خطاب عام فيما يجب على المسلمين لبيت الله الحرام ، وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام •

١٧– مناسك الحج ، أحكامه وحكمه •

---

(١) المقتطف مجلد ٩٥ ص ٣٩١ .

١٨ــ المسلمون والقبط .

١٩ــ تفسير سورة الفاتحة والكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين وللأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيه تفسير سورة العصر ، وبعض الزيادات .

٢٠ــ رسالة فى الصلب والفداء .

٢١ــ مكتوباته الخصوصية إلى شكيب أرسلان . وهى تزيد على مائتى رسالة ذات فوائد علمية واجتماعية وسياسية ألحقها شكيب أرسلان بكتابه « السيد محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما » .

٢٢ــ فتاوى الإمام محمد رشيد رضا وتقع فى ستة مجلدات كبيرة تضمنت ١٠٦١ فتوى فى شئون العبادات والمعاملات وغيرهما . وتعتمد هذه الفتاوى على ثروة كبيرة من الأحاديث بلغت ستمائة حديث ، وهى جديرة بالدراسة والبحث .

٢٣ــ الحكمة الشرعية فى محاكمة القادرية والرفاعية ، وقد تحدث فيه عن التصوف والزى فى الإسلام ، وتشبه المسلمين بغيرهم ومسألة المهدى المنتظر والخطابة فى الإسلام ومسألة الكرامات وانتقد بعض أعمال الصوفية ، ورد فيه على ما رآه خطأ فى كتاب الشيخ أبى الهدى الصيادى الذى يتبع الطريقة الرفاعية ويتعصب لها (١) .

٢٤ــ لطيف القول فى أحكام شرائع الدين (٢) .

---

(١) المنار والأزهر ص ١٨٩ ، وقد الف هذا الكتاب زمن التحصيل ، انظر تفسير المنار جـ ٦ العدد ٢٥ ص ٤٠ .

(٢) انظر تفسير المنار جـ ٦ عدد ٢٦ ص ١٤٦ .

٢٥ــ المقصورة الرشيدية • وهى قصيدة من نظمه وتقع فى عشر صفحات •

٢٦ــ عقيدة الإسلام ، وهو كتاب مدرسى وضعه ليقرب العقيدة الإسلامية من إفهام التلاميذ بأسلوب علمى سهل •

هذا وقد عنى الشيخ محمد رشيد إلى جانب هذه المؤلفات بتحقيق عدد من الكتب والتقديم لها ومنها مجموعة الحديث النجدية ، والكتاب الحافل الذى يعد موسوعة علمية فى الفقه الحنبلى مقارنا بفقه المذاهب الأخرى ، ويقع فى اثنى عشر مجلداً ضخما وهو كتاب المغنى والشرح الكبير قال فيه الشيخ محمد رشيد : « إذا يسر الله تعالى لكتاب المغنى من يطبعه ، فأنا أموت آمنا على الفقه الإسلامى أن يموت » (١) ، وقد حققه وخرج أحاديثه •

كما عنى بوضع مقدمات علمية لكتاب مفتاح كنوز السنة الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله ، والاعتصام للشاطبى وقواعد التحديث للقاسمى وعلق على رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده ، وعلق على كتاب أسرار البلاغة ووضع له مقدمة(٢)•

كما كان له نشاطه فى طبع الكتب ونشرها ، ومن هذه الكتب ، مدارج السالكين لابن القيم ، والآداب الشرعية لابن مفلح ، والكلام المنتقى لابن حجى والقول السديد لابن المقدسى وغيرها (٣) •

وقد كانت له عناية خاصة بالمخطوطات التى يحتاج الوصول إليها، والاستفادة بها إلى جهد كبير •

---

(١) المغنى والشرح الكبير ــ المقدمة ــ ١١/١ •
(٢) تاريخ الأستاذ الإمام ٨٥٩/١ •
(٣) انظر رشيد رضا الصحفى المفسر ص ٣٩١ •

وقد كتب إلى صديقه شكيب أرسلان رسالة فى ذلك تدل على مدى عنايته واحتفاله بهذه المخطوطات قال فى رسالته : فى المسائل المجمع عليها خلاف كثير ، والحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شيء إلا أن يكون فى بعض المجاميع المجهول ما فيها بدار الكتب ، أو فى بعض المكاتب الخاصة ، وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب أو كتابين لابن المنذر ، ويوجد أحدهما فى مخطوطات خزائن الأستانة (1) ولابن حزم كتاب آخر استدرك فيه على ابن تيمية بكتاب خطأه فيه بدعوى الإجماع فى مسائل كثيرة .

وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطا ، ومازلت أبحث عن أصله لابن حزم حتى علمت بوجود نسخة منه فى الأستانة ، وبأنه تنقص منه ورقة من آخره .

وقد سافر فى الصيف إلى الأستانة حسن بك عديل فؤاد بك سليم صديقنا الذى يقيم معه فؤاد بك فى داره ، فكلفه أن يسعى لأخذ صورة عكسية منه .

فإن فعل ، فاننى أطبعه مع كتاب ابن تيمية ، فيكون أكمل كتاب لنا فى بابه ، وأضع له مقدمة فى بيان ما هو دينى ، وما هو غير دينى من مسائل الاجماع ويكون حجة أى وسندا فى سائر كتبى الاصلاحية (2) .

---

(1) عثرت أثناء بحثى بدار الكتب القطرية قسم المخطوطات على كتاب لابن المنذر بعنوان « اختلاف العلماء » وهو بخط جيد ويقع فى حوالى ٣٠٠ صفحة وارجو أن اوفق الى تحقيقه واخراجه .

(2) السيد رشيد رضا أو اخاء اربعين عاما ص ٧٥٥ ، وانظر رشيد رضا الأديب الكاتب الإسلامى ص ٢٨٤ .

تفسير القرآن الحكيم :

لا يسع من يكتب عن الشيخ محمد رشيد ، أن يغفل عن كتابته فى تفسير القرآن الكريم الذى عرف بتفسير المنار ، وسار فيه على منهج أستاذه الأستاذ الإمام الشيخ محمـد عبـده الذى بدأ يلقى دروس التفسير فى الجامع الأزهر باقتراح من الشيخ محمد رشيد •

وقد بدأ الشيخ محمد عبده يلقى هذه الدروس أول المحرم سـنة ١٣١٧ هـ وانتهى عند تفسير قوله تعالى « ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا » (١) ، وذلك فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ إذ توفى رحمه الله لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة نفسها (٢) •

وقد سجل هذا التفسير بقلم الشيخ محمد رشيد الذى كان يكتب مذكرات مختصرة أثناء الدرس يرجع إليها بعد ذلك فى صياغة التفسير أوقات الفراغ ، وكان يعرض ما كتبه على الأستاذ الإمام قبل طبعه إلا اذا ضاق الوقت ، فإنه يطبعه قبل عرضه عليه • وفى هذا يقول الشيخ محمد رشيد : « ولا أذكر أنه انتقد شيئا لم يره قبل الطبع بل كان راضياً بالمكتوب ، بل معجباً به » (٣) •

يقول الأستاذ الشهيد محمد الذهبى رحمـه الله : « وإذا كان الأستاذ الإمام قد ألقى هذه الدروس فى التفسير على طلابه ولم يدون منها شيئا ، فإنا لا نرى حرجا من جعلها أثرا من آثاره فى التفسير»(٤)•

---

(١) الآية ١٢٦ •

(٢) تفسير المنار ٤/١ ، وانظر التفسير والمفسرون ٥٥٣/٢ •

(٣) نفسه ١٥/١ •

(٤) التفسير والمفسرون ٥٥٤/٢ •

وقد كان هم الأستاذ الإمام فى التفسير ، هو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة ، وذلك لأنه كان يرى أن هذا هو المقصد الأعلى للقرآن، وما وراء ذلك من المباحث فهو تابع له ، أو وسيلة لتحصيله •

وهو بهذا يبتعد بالتفسير عن خلافاتهم الفقهية والمذهبية والاحتفال بأوجه الإعراب ومعانى البلاغة إلا إذا كان ذلك من ضرورات فهم الآية ، مع البعد عن الإسرائيليات التى شوهت كتب التفسير •

هذا هو هم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسيره وقد سار عليه الشيخ محمد رشيد بعد وفاة شيخه مستقلا فى ذلك بالتفسير وحده ، فهو يشرح الآية بأسلوب رائع ، ويكشف عن المعنى بعبارة سهلة مقبولة ، ويوضح مشكلات القرآن ، ويدافع عما يرد من شبهات حول بعض الآيات •

وقد تميز تفسيره بعد ذلك عن المنهج الذى رسمه الأستاذ الإمام بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيرا لها ، أو فى حكمها وفى تحقيق المفردات ، أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم فى هذا العصرأو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل بعض المشكلات التى أعيا حلها ، بما يطمئن به القلب ، وتسكن إليه النفس » (1) •

---

(1) تفسير المنار ١٦/١ .

وقد وصل فى التفسير إلى قوله تعالى « وما أبرىء نفسى ... » الآية (١) .

وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان أن الشيخ محمد رشيد وصل فى تفسيره إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف « رب قد آتيتنى من الملك » .

وقد دعانى هذا إلى استطلاع أكبر عدد ممكن من طبعات هذا التفسير فلم أجده تعدى آية « وما أبرىء نفسى » على أن صديقه الأستاذ محمد بهجة البيطار أكمل تفسير سورة يوسف ونشرها فى كتاب مستقل .

وقد كان لتفسير المنار صداه فى الفكر المعاصر ، وتناوله الباحثون والكتاب بأقلامهم ، فكتب الأستاذ حسيب السامرائى رسالة جامعية بعنوان « السيد محمد رشيد مفسرا » وقد أجيزت بكلية أصول الدين عام ١٩٧٠ ، كما كتب ج جومييه المستشرق المعاصر رسالة جامعية بعنوان « تفسير المنار » اجيزت عام ١٩٥٣ من جامعة السوربون (٢) .

وتفسير المنار بحق يعتبر اتجاها جديدا فى التفسير الحديث وجهدا جيدا فى التقريب بين الدين والحضارة الحديثة وتنبيه المسلمين إلى ضرورة التمسك بسنة الله فى ربط الأسباب بالمسببات لينعموا بالسعادة فى دنياهم وآخرتهم .

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

(٢) الفكر الدينى فى مواجهة العصر ، د. عفت محمد الشرقاوى ص ٦٧ .

إباؤه وعدم قبوله المال :

لم يقبل الشيخ محمد رشيد أن يتقلد وظيفة لأية جهة رسمية أو غيرها فى حياته وقد وطن نفسه على ذلك من صغره حين عزف عن دخول المدارس الحكومية ، وفضل عليها المدارس الوطنية ، لأن الأولى تؤهل الطلاب لتولى وظائف الحكومة وهو لا يريد أن يتقلد تلك الوظائف .

ولهذا نراه بعد أن أجيز عالما يتخذ من مصر موطنا له ويلتقى بالشيخ محمد عبده ، لينشىء بعد مشاورته مجلة المنار ، ويكتفى فى حياته بتقلد تحرير هذه المجلة يضيف إلى اسمه فيها منشىء المنـــار فكان يكتب محمد رشيد رضا منشىء المنار ، وظل طول حياته مكتفيا بهذا الوصف رغم عرض بعض الوظائف عليه فى التدريس وغيره فلم يقبـــل .

وقد أختار لهذه المجلة حديثا نبويا جعله شعارا لها يكتب فى أول كل صفحة من كل عدد ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق » (١) .

وقد عزاه السيوطى إلى الحاكم عن أبى هريرة وصححه .

ويقول الشيخ فى بيان سبب اتخاذ هذا الشعار « إننا قد اقتبسنا اسم المنار من الحديث الشريف تفاؤلا بأن يكون مبينا لصوى الإسلام

---

(١) الصوى جمع صوه ــ بضم الصاد المهملة ــ حجر يكون علامة فى الطريق يهتــدى به المــارة ، وكذلك فى الصــحراء ، والمنــار موضــع النور . والمنار العلم يوضع بين الشيئين من الحدود ، ولذلك جاء فى الحديث « لعن الله من غير منار الأرض » أى أعلامها والمنارعلم الطريق، ومعنى أن للإسلام منارا هو أن له علامات وشرائع يعرف بها، وانظر لسان العرب فى هذا التفسير .

وناصبا لأعلامه ، وموضحا لنور الحقيقة التى يحتاج إليها فى حياتنا الملية والاجتماعية والله الموفق والمعين » (1) •

وهذا الشعار يكشف لنا عن وظيفة هذه الصحيفة ومنشئها ، الذى ظل ما يقرب من أربعين عاما هى حياة صحيفته التى لم يصدر منها بعده إلا ستة أعداد فقط تكملة للمجلد الخامس والثلاثين • وقد صدرت هذه الأعداد الأخيرة عام ١٩٤٠ م (2) ، ظل لسان حـال المسـلمين والإسلام ، يدافع عنه عقيدة وشريعة ودولة ونظاما •

وقد كان أبيا كل الإباء ، لم يقبل مساعدة أحد فى ذلك رغم تعرض المجلة لضوائق مالية عاصفة ، لأنه كان يتمثل خلق العلماء الذين لا يقبلون مالا نظير خدمة دينهم •

ولهذا رد جوائز الملوك والسلاطين والأمراء ، ويقول فى هـذا : « إن السلطان حسين كامل ، لما علم أننى أريد الحج فى سنة ١٣٣٤ طلبنى إلى قصر عابدين ، فقابلنى محمود سامى باشا شكرى ، وقال لى : أن عظمة السلطان طلبك ليقابلك ، ويسألك الدعاء له ، ولكن جاءه فى هذا الوقت الأمير داود وطلب مقابلته لعرض مسألة مهمة عنـده ، فتأسف لهذا التعارض مع ميعادك ، وأمرنى أن ابلغك ذلك مع سلامه، وأقدم لك هذه الصرة من المال للمساعدة على سفرك هذا • قلت له : أشكر مولانا السلطان ، وأعتذر عن قبول المسـاعدة ، قال : لماذا ؟ قلت : لأننى أريد أن أنفق على حجى من كسبى ، وإننى منذ سـنين مهىء مائة جنيه لاحج بها مع والدتى قال : زيادة الخير خير • قلت :

(1) انظر مجلة المنار جـ ١٠ ص ٦٦٣ .
(2) انظر رشيد رضا الصحفى المفسر ص ٨٣ .

نعم • ولكن لا حاجة لى به ، قال : يمكنك أن تتصدق بها ، قلت : بل أتصدق من مالى بقدر سعتى ، ومجال الصدقة عند عظمة السلطان أوسع ، قال : احسب هذه ثمن دعاء لمولانا ، قلت : الدعاء عبـادة ، لا يجوز أخذ الثمن عليه وأنا أدعو للسلطان تعبدا أيضا ، لأن صلاح ولاة الأمور مفيد للأمة كلها ، قال : عطايا الملوك لا ترد ، قلت : ان كثيرا من علماء السلف كانوا يردونها • قال : وماذا أقول لمولانا السلطان عنك ؟ قلت : قل له : إن هذا مقتضى خلقه الذى تعرفونه بالنقل عن أستاذه كما أخبرتموه بذلك والأخلاق لا تتغير وانصرفت •

هذا وقد رد مساعدة الخديوى فى مناسبات أخرى كما رد مساعدة كان عرضها عليه الشيخ قاسم بن ثانى حاكم قطـر والشيخ محمـد عبد الوهاب شيخ دارين فى سواحل نجد الجنوبية (١) •

هذا خلق الشيخ وإباؤه ، وامساك نفسه على الفضائل وحسـب العالم أن يكون هكذا ، ليكون لجهاده ثمرة ، ولعمله تأثير •

وفاته وثنـاء العلماء عليه :

توفى الشيخ محمد رشيد — رحمه الله — فى ٢٣ من جمـادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ وقد أثنى عليه وعلى جهوده فى المنار كثيرون من العلمـاء منهم الأسـتاذ الأكبر محمـد مصطفى المراغى ، والشـيخ عبد المجيد سليم (٢) وأمير البيان الأمير شكيب أرسلان الذى رثاه بقصيدة مطلعها :

له المنار الذى كانت تنار به   سفائن القوم فى لج التجاريب

---

(١) انظر تاريخ الأستاذ الإمام ١/١٠٠٩ — ١٠١٠ •

(٢) المنار والأزهر ص ٢٥٧ •

ومنهـــا :

غدت به ملة الإسلام حجنها شهباء فى حازب منها ومحزوب
ما بالمنار ضياء غير مقتبس وليس فيه هلال غير مرقوب (١)

ونذكر بعض ما قاله العلماء فيه :

قال الأستاذ ظافر القاسمى : محمد رشيد رضا كان بحق الإمام الأول الذى خلف أكبر دائرة معارف إسلامية ، لم يترك فيها بحثا من بحوث العقل والنقل والدين إلا وساقه بكثير من التجرد والانصاف والعمق والفهم (٢) .

وقال فيه أيضا : انه قام بهذا العبء فى وقت لم يكن فيه أحـــد من المسلمين يقوم به حق القيام عن طريق الصحافة .

وقال فيه الأستاذ الشـــيخ على سرور الزنكلونى : « تآخينا ، وتآخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة وبقدرها ، وكان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس إلى السيد رشيد ، توجيها خاصا كلما ظهر السيد رشيد بمواهب ممتازة قد يطول الحديث عنها ، حتى هوجم الأستاذ الإمام فى آرائه الدينية والاصلاحية مهاجمة عنيفة ، من كل القوى التى توفرت لها عوامل الكيد والاستبداد ، وإذا بالسيد رشيد يبرز فى وجوده القوى لمناصرة الحق ، والوقوف فى وجه هـــذه الجيوش الحاشدة ، فأخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمــه ولسانه ، وينشر فى مجلة المنار آراء أستاذه واتجاهاته ، وما كان يتلقاه من دروس شيخه ، وكان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمـــال

---

(١) ديوان الأمير شكيب ارسلان — والسيد رشيد رضا ص ٢٨٤ .
(٢) جمال الدين القاسمى وعصره ص ٤٤٢ .

الفهم واستقلال الفكر ، وكذلك كان أمر السيد رشيد فى كل ما كان يكتب من مقالات ، وما يدون من أبحاث •

كان بقاء صاحب المنار ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه فى وجـوده القوى ، يصد عادية جيوش الباطل التى لم تفتر ولم تتم ، دليلا ملموسا على أنه من الافذاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم ، ولعـل أكبر شاهد على ذلك أن مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء الكاتبين (١) •

---

(١) مجلة الشباب عدد ٩ صدر فى ١٩٣٦/٤/١٣ السنة الأولى من مقال بعنوان فقيد العلم والشباب للأستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى.

الفصل الثالث

مقارنة بين الأستاذ الإمام وتلميذه الشيخ محمد رشيد في الحـــديث

أتقن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده علوم العربية حتى صار أدق فهما للقرآن الكريم والحديث النبوى ولغيرهما من فصيح الكلام، وكان أبلغ الكتاب ، وأخطب الخطباء فى عصره كما يقول عنه تلميـــذه الشيخ رحمه الله (1) .

وارتقى فى العلوم العقلية لدرجة أن كان فيلسوفا حكيما ، يعرف المذاهب الفلسفية ويناقشها ويخطىء بعضها ويصلح من مسارها لدى الالمام بهذه المذاهب فيما تعرض له ، ســـيما ما يتعلق منها بعقـــائد المتكلمين .

وعلى نصره للسنة لم يكن واسع العلم برواية الحديث ولا حفظه، ولا كثير العناية بمعرفة الجرح والتعديل فيه ، وإنما قرأ مصطـــلح الحديث وبعض متون الصحاح والســـنن التى تقرأ فى الأزهر وهى قليـــلة .

وكان تناوله للحديث ينبع من هذه الثقافة على خلاف تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا الذى توجهت نفسه للاشتغال بعلم الحديث أثنـــاء طلب العلم فى طرابلس الشام بعد معاناة كتب الفقهاء وآرائهم التى

---

(1) انظر تاريخ الأستاذ الإمام ١/١٠٣١ .

يستنبطها بعضهم من كلام بعض ، لا من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

يقول رحمه الله مبينا ذلك : قد فطنت فى أثناء طلبى للعلم فى طرابلس الشام لانكار قول العلماء ، أن جميع ما قرر الفقهاء فى كتبهم من الأحكام دين أوجب الله علينا اتباعه ، ونحن نرى بمدارسته أن أكثره آراء للمؤلفين يستنبطها بعضهم من كلام بعض ، لا من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

والذين يستدلون منهم وهم أقلهم يذكرون فى أدلتهم أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، ولا سيما الحنفية ، فكنت أجادل الطلاب ثم العلماء فى ذلك •• حتى كنت أقول فى بعض الأحكام : أهذا حكم الله تعالى ، أم حكم التتارخانية والشرنبلالية والولوالجية وأمثالها من كتب الأعاجم والمقلدين ، وكان هذا أول أسباب اشتغالى بعلم الحديث » [1] •

هذا ادراك فى سن مبكر لضرورة استناد الأحكام إلى مصادر التشريع الأساسية لا إلى آراء تعتمد على التقليد لآراء الفقهاء وما يأتون به من أدلة عارية عن النقد والتمحيص •

هذا وقوى دافع دراسة الحديث فى نفسه ، ما رأى عليه كتب هؤلاء الفقهاء من تقديم آراء علماء مذاهبهم على نصوص الكتاب والسنة ، وجعل آرائهم أصلا تحمل عليه هذه النصوص •

فالكتاب والسنة عندهم فرع يحمل على غيره وليست أصلا يحمل غيره عليه •

---

(1) المصدر السابق ١/٩٤٥ •

وضرب لذلك مثلا بما ترى فى أصـــول الكرخى [1] الذى قال :
(الأصل) أن كل آية تخالف قول أصحابنا فانها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق ، وذكر مسائل يمكن أن تجعل الآيات فيها أصلا ويستغنى عن قاعدته مع بقاء الحكم كما قال أصحابهم ثم قال :

(الأصل) أن كل خبر يجيء بخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله • ثم صار إلى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق ، وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل ، فإن قامت دلالة النسخ يحمل عليه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا إليه ، ثم ذكر أمثلة تحكم فيها بالنسخ مع عدم العلم بالتاريخ وبالمعارضة والترجيح ، وكان يجب أن يجعل الكتاب والسنة هما الأصل ويعرض قول الأصحاب وأدلتهم عليهما ، فإن وافقت وإلا تركت وعمل بالكتاب والسنة [2] .

فحمل أصول الكتاب والسنة على النسخ أو الترجيح أو تأويلها بما يوافق رأى علماء الفروع ، دون أن تجعل أصلا يحمل عليه آراؤهم ، كان من دواعى إقبال الشيخ على الحديث دراسة وتحصيلا وفهمـا لما يعترضه من مسائل هذا الفن حتى أصبح على ما يقول فيه الأمير شكيب أرسلان : من كبار المحدثين ، وله فى هذا الفن من الطـول ما ليس خافيا على أحد ، فقد امتزج خلق التمحيص بدمه ولحمـه ، وأصبح لا ينشرح صدره إلى الخبر إلا اذا وثق بأسانيده وآمن بأمانة

---

(١) توفى عام ٣٤٠ هـ .

(٢) انظر الفتاوى ٣٧٥/١ والمنار جـ ١٩٠٢/٥ .

رجاله ،وقد يسوق الرواية من جملة طرق إلى أن يثلج بها الصـــدر ، ويطمئن لها الفكر (١) •

وقد كان كل من الشيخ وتلميذه يصدر عن ثقافته فى تناول الحديث، الأمر الذى يلمحه كل من وقف على حياتهما العلمية بهذا الصدد •

ومن هذا المنطلق كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يرى أن المحدثين قد غلطوا فى تصحيح كثير من أحاديث الفتن والفرق ، لأن أصحاب الأهواء عنوا بترويجها وكذا الأحاديث المخالفة للقرآن كحديث السحر فى نظره •

وقد جادله الشيخ رشيد رضا فى بعض هذه المسائل ، مبينا له أن علماء الجرح والتعديل يقولون بوضع الحديث المخالف لنص القرآن ولغيره من القطعيات •

ويجيب الأستاذ الإمام : نعمو إنها نعمت القاعدة ولكن لا ترى فيهم من طبقها على جزئياتها (٢) •

ونسوق مثالا على ذلك تناوله كل من الشيخ وتلميذه من زاويته التى تنم عن ثقافته ومدى معرفته بالحديث وموازين نقده التى اتقنها الشيخ رشيد لتوفره عليها فى سن مبكرة كما سبق •

لنبين بذلك طريق كل منهما ومدى ما يمكن أن يقدمه من جهد فيه لئلا تختلط الجهود وتتشعب المسالك على من يريد معرفة الطريق •

ولا أود بهذا أن اغمط أحدا حقه ، فرائدى تبيان الحق ، فإن أخطأت فيغفر الله لى وإن أصبت فذلك حسبى وهو ما أريد •

(١) حاضر العالم الإسلامى ١/٢٨٥ •
(٢)المصدر السابق ١/١٠٣٣ .

وقد دفعنى إلى ذلك اشتراك الشيخ وتلميذه فى تفسير القرآن الكريم فى خمسة أجزاء منه أو أقل (١) يلقى الشيخ هذه الدروس فى التفسير على طلابه ويدون تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا مذكرات يضمنها ما يراه أهم أقواله ، لتكون مساعدا له على الكتابة التى كان يقوم بها وقت الفراغ فى تحرير هذه الدروس •

واستقل التلميذ بعد وفاة شيخه (٢) بالكتابة حتى بلغ نهاية الجزء الثانى عشر فى سورة يوسف آية ٥٢ « ذلك ليعلم أنى لم اخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » •

وقد شاع أن التفسير بلغ الآية ١٠١ من سورة يوسف « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » وسجل ذلك فضيلة الشيخ الشهيد الدكتور محمد الذهبى لكنه عاد فقال : هذا القدر من التفسير مطبوع فى اثنى عشر مجلدا كبارا ينتهى المجلد الثانى عشر عند قوله تعالى فى الآية (٥٢) من سورة يوسف : » وما أبرى نفسى •• » الآية (٣) • وهذا هو الصواب الذى تؤيده النسخ المطبوعة•

وجل جهد الشيخ فى فهم السنة واستنباط مدلولاتها وحل مشكلها مبثوث فى التفسير ، مما قد يثير الشك فى نسبة هذا إليه لمشاركته لأستاذه فى ذلك •

---

(١) انتهى الأستاذ الإمام الى الآية ١٢٦ من سورة النساء « ولله ما فى السموات والأرض وكان الله بكل شىء محيطا) •

(٢) توفى الشيخ محمد عبده رحمه الله ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ •

(٣) انظر التفسير والمفسرون للشهيد الدكتور محمد حسين الذهبى ٥٧٧/٢ •

ومن هنا عقدت هذا الفصل لأدفع هذا الشك ، وابين طريقة تناول كل منهما للسنة كما مر آنفا .

والذى يتحرى تفسير المنار يجد أن القسم الذى ألقاه الأستاذ الإمام على طلابه يتميز بروح الشيخ ونهجه فى التفسير من عدم التقيد بأقوال المفسرين وتحكيم النص فى العقيدة ، وابتعاد عن الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، وابتعاد عن الاصطلاحات والعلوم ، والكشف عن المعنى بعبارة سهلة مقبولة ، وتوضيح مشكلات القرآن ، والدفاع عنه برد ما أثير حوله من شبهات .

وأضاف الشيخ رشيد إلى ذلك التوسع فى رواية السنة الصحيحة مما يتعلق بالآية سواء كان تفسيرا لها أو فى حكمها وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفى الاكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم فى هذا العصر أو يقوى حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة ، أو بحل بعض المشكلات التى أعيا حلها ، بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس (1) .

ويمكن أن تجد تأييدا لمعظم هذه المسائل التى خالف بها أستاذه بعد استقلاله بالعمل وحده فى التفسير عقب وفاة شيخه ، وذلك فى مبحث استقصاء الروايات واستخراج مدلولاتها ، الأمر الذى يوضح مدى عناية الشيخ بالرواية والدراية وبلوغه فى ذلك شأوا لم يصل إليه إلا القلائل فى هذا العصر .

---

(1) انظر تفسير المنار ٤٢/٤ — وانظر التفسير والمفسرون ٥٧٩/٢ .

وقد استدرك عليه الإمام الشهيد الدكتور محمــد حسين الذهبى هنا خوضه فى الإسرائيليات — بعد وفاة شيخه — واعتماده عليها فى تفسير بعض مهمات القرآن الكريم فقال : كذلك لا يفوتنا أن ننبه على أن صاحب المنـــار كان مع شـــدة لومه على المفسرين الذين يزجـــون بالإسرائيليات فى تفاسيرهم ، ويتخذون منها شروحا لكتاب الله يخوض هو أيضا فيما هو من هذا القبيل ، ويتخذ منه شروحا لكتاب الله ، وذلك أنه كثيرا ما ينقل عن الكتاب المقدس أخبارا وآثارا يفسر بهـــا بعض مهمات القرآن الكريم أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين ، وكان الأجدر بهذا المفسر الذى يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات ، أن يكف هو أيضا عن النقل عن كتب أهل الكتاب ، خصوصا وهو يعترف أنه قد تطرق إليها التحريف والتبديل (١) •

والحق أن الشيخ محمد رشيد يلجأ إلى الإسرائيليات حين يستلزم الأمر الرجوع إليها فى تمحيص المرويات عن كعب الأحبار — الذى ساء رأيه فيه — بسبب هذه الروايات عن بنى إسرائيل المخالفة لما هو متفق عليه بين المسلمين •

ولهذا يقول بعد نقل ما يؤيد شرح آية « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » (٢) من سفر الخروج : —

ومنه تعلم أن كل ما خالفها من أقوال المفسرين فى معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيـــل الروايات الإسرائيليات التى كان من

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٥٨٨ — ٥٨٩ .

(٢) سورة يونس الآية ٨٨ .

مقاصد كعب الأحبار وأمثاله (كما نرى) صد اليهود عن الإسلام بما يرويه فى تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين فى وقائع عملية وأمور حسية (١) .

فليس النقل عن بنى إسرائيل عنده للاعتماد عليه فى شرحه بعض مهمات القرآن ، بل هو لبيان أباطيل هذه الروايات وانتقاد أربابها الذين حادوا عن الجادة بترويجها .

وأعود إلى المثال الذى تناوله الشيخ وتلميذه كل من زاويته التى تكشف عن ثقافته الحديثية ، أقول : رد الشيخ حديث السحر لمخالفته نص القرآن — فى نظره — وناقشه تلميذه الحديث فماذا كان من أمر كل منهما بهذا الصدد ؟

وأسوق ذلك الحديث الذى رواه البخارى ومسلم معتمدا على رواية البخارى له قال الإمام البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى : أخبرنا عيسى بن يونس ، عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشىء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى ، لكنه دعا ثم قال : يا عائشة أشعرت بأن الله أفتانى فيما استفتيته فيه ؟ (٢) أتانى رجلان ، فقعد أحدهما عند راسى ، والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب (٣) قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : فى أى

---

(١) تفسير المنار ٧٤/١١ ط ٤ .

(٢) اى اجابنى فيما دعوته .

(٣) اى مسحور .

شيء ؟ قال : فى مشط ومشاطة (1) وجف طلع نخلة ذكر (2) قال : وأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان (3) فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة . كأن ماءها نقاعة الحناء (4) وكأن رؤوس نخلهـا رؤوس الشـياطين (5) قلت يا رسـول الله : أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على النـاس شرا (6) فأمر بها فدفنت (7) .

معنى السـحر :

وقبل عرض الآراء ومناقشتها نبين معنى السحر فنقول :

قال الراغب وغيره : السحر يطلق على معان :

أحدها : ما لطف ودق ، ومنه سحرت الصبى : خادعته واستملته ومنه سحر العيون ، لاستمالتها النفوس .

الثانى : ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحـو ما يفعـله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده .

---

(1) المشاطة : ما يخرج من الشعر الذى سقط من الرأس اذا سرح بالمشط وكذا من اللحية .

(2) الجف : غشاء الطلع .

(3) عند مسلم ذى اروان ، قال النووى وهو اصح 14/177 صحيح مسلم بشرح النووى .

(4) اى لون الماء احمر .

(5) اى قبيـح .

(6) اى من تذكر السحر وتعلمه .

(7) فتح البارى 12/336 ومسلم بشرح النووى 14/174 .

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » (١) .

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب ، واستنزال روحانياتها بزعمهم (٢) .

وفي لسان العرب السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونته ومنه الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كله كما يرى ، وليس الأصل على ما يرى .

وسمت العرب المرض سحرا ، لأنه يزيل الصحة إلى المرض ، والبغض إلى الحب ومسحور ذاهب العقل مفسده ، قال النابغة :

فقالت يمين الله أفعل انني
رأيتك مسحورا يمينك فاجرة (٣)

مناقشة أحاديث السحر وبيان موقف الأستاذ الإمام منها :

رد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده أحاديث السحر لتعارضها مع قوله تعالى : « إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » (٤) ، قال رحمه الله : وقد رووا هنا أحاديث في أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم ، وأثر سحره فيه ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل

---

(١) البقرة الآية ١٠٢ .

(٢) انظر ٣٢/٣٣٢ فتح الباري .

(٣) لسان العرب مادة سحر لأبي الفضل جمال الدين بن منظور ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ .

(٤) الفرقان آية ٨ .

الشيء وهو لا يفعله ، أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك واخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة (1) ، ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض على الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية • بل هو ماس بالفعل آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه : (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) •

وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله • وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ، ولا يوحى اليه •

وقــد قال كثير من المقلــدين الذين لا يعقلون ما هى النبــوة ، ولا ما يجب لها : أن الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به — وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لأنه ضرب من انكار السحر • وقد جاء القرآن بصحة السحر ، فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح ، والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة ، ونعوذ باللــه •

يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليــه • ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك ، مع أن الذى قصده المشركون ظاهر ، لأنهم كانوا يقولون : أن الشيطان يلابسه عليه الصلاة والسلام وملابسة

---

(1) يعنى سورة الفلق •

الشيطان تعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه وهو بعينــه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد ، فإنه خولط فى عقله وادراكه فى زعمهم.

والذى يجب اعتقــاده أن القرآن مقطــوع به • وإنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه •

وقد جاء بنفى السحر عنه عليه الصلاة والسلام ، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا فإذا هو ليس بمسحور قطعا وأما الحديث فعلى فرض صحته ، هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون •

على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد ، إنما يحصــل الظن عند من صح عنــده أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة •

وعلى أى حال ، فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، فإنه إذا خولط النبى صلى الله عليه وسلم فى عقله كما زعموا جاز عليــه أن يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان [1] •

---

(١) تفسير جزء عم ص ١٨١ — ١٩٢ .

هذه خلاصة ما احتج به الأستاذ الإمام هنا • ونراه يعتمد على قوة فكره وتمكنه من أساليب اللغة التى حذقها مع الما بطريقة المتكلمين فى الاحتجاج — فهم لا يحتجون على العقائد بأحاديث الآحاد •

ولم يتطرق بحثه إلى ما وراء ذلك من نظر فى سند الحديث ورواته وطرقه واعتماد الشيخين له واخراجهما له • مع اتساع معانى السحر لغة مما يزيل هذا التعارض بين النصوص حسب تصوره •

ولو أنه فعل وبحث عن ذلك ، ولم ينس الاستعمال اللغوى المنسوب الى العرب فى كلمة السحر لاهتدى إلى الصواب سيما وقد ألم بهذه المعانى وقررها فى دروس التفسير [1] •

ولكن ثقافته كانت بعيدة عن هذا كما أسلفنا ، فتناول الحديث من جانب اللغة ففهم الآية الكريمة على وجهها ولم يهتد إلى فهم الحديث على وجهه فلزم التعارض الذى عبر عنه بأسلوبه البليغ •

وقد عقب على هذا الإمام الشهيد محمد حسين الذهبى فقال : ثم أن هذا الحديث رواية البخارى وغيره من كتب الصحيح ولكن الأستاذ الإمام ومن على طريقتــه لا يفرقون بين رواية البخــارى وغيره • فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخارى كما أنه لو صح فى نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن •

وهذا فى نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التى هى بالنسبة للكتاب فى منزلة المبين من المبين • وقــد قالوا : إن البيــان يلتحق بالمبين [2] •

---

(1) انظر تفسير المنار ١/٤٠٠ •

(2) التفسير والمفسرون ٢/٥٧٥ •

رأى الشيخ محمد رشيد فى أحاديث السحر :

تناول الشيخ محمد رشيد هذه القضية من عدة جوانب هى ما يلى:

الأول : وهو الذى يعنينا هنا • أنه انتصر للحديث لوروده فى الصحيح ولم يرده مقلدا أستاذه لأنه يذهب مذهب المحدثين فى أعمال القواعد التى يؤخذ بها الحديث ويرد •

الثانى : بعد تلقى الحديث بالقبول أخذ فى التوفيق بينه وبين ما يعارضه من نصوص ، بما أذهب ظاهر التعارض بين هذه النصوص وهو الأمر الذى كان مثار قلق الأستاذ الإمام محمد عبده ، مما جعله يرد الحديث ، أو يفوض الأمر فيه •

الثالث : بعد هذه المناقشة بينه وبين أستاذه ، وقف موقف العلماء المتحرين للحق من غير افراط ولا تفريط • وعلى هذا الترتيب نسير فى البيـــان •

الجانب الأول : انتصاره للحديث :

من شأن العالم الذى تمكن فى علم من العلوم ألا يقول أو يفعل ما يناقض علمه بهذا العلم سيما إذا كان هذا العلم دينا تؤخذ منـــه مناهج الأخلاق وأحكام الحياة كعلم الحديث •

ومن هنا قبل الشيخ محمد رشيد الحديث وانتصر له لوروده فى أوثق كتب الحديث تحريا للصحيح • وهما صحيحى البخارى ومسلم(١) لأنه يصعب على عالم بالسنة رد ما اتفق الشيخان على اخراجه •

---

(١) انظر فتح البارى ٣٣٦/١٢ ومسلم بشرح النووى ١٧٤/٤ .

والكلام على بعض ما ورد فى الصحيحين مما انتقده بعض الحفاظ كالدارقطنى وغيره من أئمة هذا الفن يقوم على أصول واضحة يعرفها المشتغلون بالحديث .

ولهذا يبين الشيخ محمد رشيد ما قيل فى نقد الحديث ، مما يوافق طريقة المحدثين فى النقد فقال : أن الرواية فى أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشة فيها علة من علل الحديث الخفية التى يشترط فى صحة الحديث السلامة منها ، وهى أن بعض منكرى الحديث اعلوه بهشام هذا . وألف بعضهم كتابا خاصا فيه (١) محتجا بقول علماء الجرح والتعديل : انه كان فى العراق يرسل عن أبيه عروة ابن الزبير ما سمعه من غيره ، وعروة هو راوية عائشة الثقة وهى خالته .

وقال ابن خراش : كان مالك لا يرضاه . يعنى هشام ، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق وقال ابن القطان : تغير قبل موته (٢).

واثبت الشيخ محمد رشيد جوابه على هذا فقال : ولا شك أن تعديل الجماعة لعروة ومنهم الشيخان — خاص بما رواه قبل تغيره (٣) .

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٦ دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٢) انظر تفسير سورة الفاتحة ص ١٣٥ — ١٤١ .

(٣) تفسير سورة الفاتحة ص ١٣٥ — ١٤١ ، وانظر هدى السارى ٢/٢١٨ .

ورغم قبوله للحديث وانتصاره له إلا أنه لم يستوف جوانب الدفاع عنه حين تعرض لذلك فى تمحيص السند ، لأن هشاماً (١) الذى روى الحديث انتقد من جانبين فى الحديث :

(أ) أنه كان فى العراق يرسل عن أبيه عروة ما سمعه من غيره.

(ب) أنه تغير قبل موته .

وكان ينبغى أن يشمل دفاعه عن الحديث تفنيد هذين النقدين حسب ما أجاب به الحفاظ فى ذلك ليبرأ هشام منها ويصح الحديث .

ولكنه رد الثانى وفاته أن يرد الأول ، ولعله النسيان وجل من لا ينسى وقد تناول الحافظ ابن حجر الأمر ، فرد على الثانى بما أوضحناه ، ورد على الأول فقال : والذى نراه أنه كان لا يحدث عن أبيه إلا بما سمع منه (٢) وزاد الأمر بيانا فقال : قدم (أى هشام) الكوفة ثلاث مرات قدمه كان يقول حدثنى أبى قال سمعت عائشة وقدم الثانية فكان يقول : أخبرنى أبى عن عائشة وقدم الثالثة فكان يقول : أبى عن عائشة فتغير حديث من سمع منه فى قدمته الثالثة إلى العراق (٣) .

وبهذا التوضيح نرى أن الحديث ليس مما حدث به عروة فى قدمته الثالثة إلى العراق ، وهى سبب تكلم بعض الحفاظ فيه حين كان يرسل عن أبيه ما سمعه من غيره لما بينه الحافظ فيما سبق ، لأن الحديث لم يأت بالصيغة الأخيرة التى تحتمل التدليس .

---

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الاسدى ٦١ — ١٤٦ ، انظر تهذيب التهذيب ١١/٥٠/٥١ .

(٢) هدى السارى ٢/٢١٨ ط ، ابراهيم عطوة عوض شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى .

(٣) تهذيب التهذيب ١١/٥٠/٥١ .

قال الحافظ : احتج بهشام جميع الأئمة ، قال عثمان الدارمى : قلت لابن معين : هشام احب اليك عن أبيه أو الزهرى قال : كلاهما ولم يفضل (١) ٠

ويحسن أن أشير هنا إلى رأى الشيخ محمد رشيد فى الصحيحين لأن هذا مما يفيد فى بيان موقفه من السنة بصفة عامة ، الأمر الذى يوضح مرتكزه فى تناول السنة ، وأنه أحد النقاد الذين ألموا بأوجه نقد الحديث وبيان الروايات الصحيحة من الروايات المنتقدة حسب طرق المحدثين بخلاف شيخه الذى لم نقف له على شيء من ذلك يحدد موقفه من السنة بصفة عامة ٠

قال : لا شك فى أن أحاديث الجامع الصحيح للبخارى فى جملتها أصح فى صناعة الحديث ، وتحرى الصحيح من كل ما جمع فى الدفاتر من كتب الحديث ، ويليه فى ذلك صحيح مسلم ٠ ومما لا شك فيــه أيضا ، أنه يوجد من غيرهما من دواوين السنة أحاديث أصح من بعض ما فيهما ، وما روى من رفض البخارى وغيره لمئات الألوف من الأحاديث التى كانت تروى ، يؤيد ذلك ، فانما نفوا ما نفوا ، لينتقوا الصحاح الثابتة ، ودعوى وجود أحاديث موضوعة فى أحاديث البخارى المسندة بالمعنى الذى عرفوا به الموضوع فى علم الرواية ممنوعة لا يســهل على أحد اثباتها (٢) ٠

هذا ما بين به موقفه من السنة بصفة عامة ، وهو موقف يتفق مع موقف كبار الحفاظ كالدارقطنى وغيره الذين انتقدوا حروفا يسيرة من الصحيحين ، دون أن يقفوا فيها على الموضوع بالمعنى الذى يعرفونه به٠

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/٥٠/٥١ ، وانظر هدى السارى ٢/٢١٨ ٠
(٢) مجلة المنار مجلد ٢٩ ص ١٠٤ ٠

الجانب الثانى : التوفيق بين الحديث وغيره من النصوص :

لقد حاك فى نفس الأستاذ الإمام محمد عبده ما رأى من تعارض الحديث مع بعض الآيات فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » [1] وغيرها من الآيات بهذا المعنى ، فرد الحديث لمعارضته القطعى وهو القرآن ، لأن الحديث آحادى ، والمسألة من باب العقائد فلا يحتج به عليها ، أو فوض الأمر فيه لأنه من المتشابه الذى لم نعرف تأويله .

ولم يتطرق إلى غير هذا فى المسألة . وقد رد الشيخ محمد رشيد على الجانبين فوفق بين النصوص بحمل الرواية العامة على الخاصة. ونسوق الرواية ذات المعنى الخاص وهى : قال الإمام البخارى رضى الله عنه : حدثنى عبد الله بن محمد قال : سمعت ابن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثنى آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن . قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا، فقال : يا عائشة : أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه ؟ أتانى رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقا . قال : وفيم ؟ قال : فى مشط ومشاطه ، قال : وأين ؟ قال : فى جف

---

(١) الفرقان آية ١ .

طلعة ذكر تحت رعوفة [1] فى بئر ذروان ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه فقال : هذه البئر التى أريتها • وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين • قال : فاستخرج ، قالت فقلت : أفلا ؟ أى تنشرت [2] فقال : أما والله فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا [3] •

ونص جوابه قال : والتحقيق أنه خاص بمسألة الزوجية كما جاء التصريح به فى الرواية الثانية كما تقدم ، ولا يعتد بغير هذا [4] •

وبهذا التوجيه الذى قاله الشيخ محمد رشيد وأتى به المازرى وأيده الحافظ يزول اللبس فلا تعارض بين النصوص ولا أشكال • قال المازرى : وقد قال بعض الناس أن المراد بالحديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهن ، وهذا كثيرا ما يحدث تخيله للإنسان فى المنام ، فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة •

قال الحافظ : وهذا قد ورد صريحا فى رواية الحميدى « أنه يأتى أهله ولا يأتيهم » وعند عبد الرازق : سحر النبى صلى الله عليه وسلم عن عائشة حتى أنكر بصره •

---

(١) هى حجر يوضع على راس البئر لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقى وقد يكون أسفل البئر ، فاذا كان فى أسفلها يجلس عليها الذى ينظف البئر . وتسمى راعوفة أيضا .

(٢) النشرة ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا من الجن .

(٣) فتح البارى ٣٤٥/١٢ .

(٤) تفسير سورة الفاتحة ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

قال عياض : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده (١) .

وحمل العام على الخاص والمطلق على المقيــد معهود فى القرآن والسنة فإذا حمل العام هنا وهو قول عائشة رضى الله عنها : يخيــل إليه أنه كان يفعل الشىء ولا يفعله على الخاص فى المسألة وهو قولها: حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، زال ذلك التعارض بين الحديثين وبين الآية والحديث .

أما زوال التعارض بين الحديثين فواضح ، وأما زواله بين الآية والحديث والآية هى قوله تعالى (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) (٢) ، فلأن مرادهم بالمسحور هنا المجنون كما رجحه الإمام ابن القيم (٣) الذى دحض بدوره موقف المتكلمين وغيرهم ممن ردوا هذا الحديث فقال : وقد اعتاص هذا الحديث على كثير من أهل الكلام وغيرهم . وانكروه أشد الإنكار ، وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه أنه غلط واشتبه الأمر عليه ، ولم يكن من هذا شىء لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز أن يسحر ، فإنه يكون تصديقا لقول الكفار : (إن تتبعون إلا رجــلا مسحورا) قالوا : وهذا كما قال فرعون لموسى : وإنى لاظنك يا موسى مسحورا) ، وقال قوم صالح له (إنما أنت من المسحرين) وقال قوم شعيب له : (إنما أنت من المسحرين) ، قالوا : فالأنبياء لا يجــوز

---

(١) فتح البارى ٣٣٨/١٢ .
(٢) الفرقان آية ٨ .
(٣) ولد عام ٦٩١ وتوفى عام ٧٥١ هـ .

عليهم أن يسحروا ، فإن ذلك ينافى حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين (1) •

ودافع ابن القيم عن هشام بما أورده أهل الجرح والتعديل فيه ، وردهم عنه وثقة الجماعة به وإخراجهم لحديثه فى كتبهم ، مع رواية حديث السحر عن غيره فقد أخرجه ابن أبى شيبة بسنده عن زيد ابن أرقم (2) •

ورجح ابن القيم تفسير كلمة مسحورا فى الآيات موضوع اتهام المشركين لرسلهم بالمجنون زائل العقل ، لأن من اصيب فى بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان • وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من أتباعهم •

ورد تفسير من ذهب إلى أن معنى المسحور أنه ذو سحر أى رئة• أى أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب ليس بملك • لأنهم لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور • ولو أراد الكفار ذلك لصدقهم الرسل •

كما رد تفسير المسحور بالساحر أى عالم السحر لأنه لا يعرف فى اللغة ولا من الاستعمال لأن المسحور هو من سحره غيره كالمطبوب واللغة تعبر عن عالم السحر بالساحر لا بالمسحور •

ولهذا عقبت الآيه (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) مثلوك بالشاعر مرة والساحر أخرى والمجنون

---

(1) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٣ دار الكتاب العربى – بيروت .

(2) بدائع الفوائد ٢/٢٢٤ ت ابراهيم عطوة عوض شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

مره والمسحور أخرى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى تيهه وتحيره طريقا يسلكه فلا يقدر عليه (1) .

وإذا صح أن المعنى هو ما رجحه ابن القيم فلا تعارض بين الآية والحديث وهو الذى نهدف إليه ببيان ترجيح ابن القيم هنا . فحمل العالم على الخاص فى الحديث المصرح بأنه فى المعاشرة الزوجية فقط ، لم يقصده الكفار فى اتهامهم ، بل قصدوا سـحر المجنون ، فوقوع السحر للنبى صلى الله عليه وسلم بالعقد عن النساء لا تصديق فيـه لزعمهم . ولهذا يؤكد الشيخ محمد رشيد على ذلك فيقول : أن الحديث الصحيح فى المسألة عن عائشة توهم عبارة بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص ، الذى ارادته منها ، وهو مباشرة الزوجية بينـه صلى الله عليه وسلم وبينها ، فقولها : كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لم يفعله ، كناية عن هـذا الشىء الخـاص لا عام فى كل شىء فلا يدخل فيه شىء من أمور التشريع ، ولا غير غشـيان الزوجية من الأمور العقلية أو الأمراض البدنية ، فضلا عما كان يريده الذين يرمون الأنبياء بسحر الجنون ، لأن أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين. فالمسألة محصورة فيما يسمونه حتى الآن الربط ، أو العقد ، أى عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط (2) .

وبهذا يثبت أنه لا تعارض بين النصوص ، ولا تصديق للكافرين فى اتهامهم ولا خلل بمنصب النبوة .

ونسأل بعد ذلك : لماذا اختارت عائشـة رضى الله عنهـا التعبير بالكناية مرة والتصريح مرة أخرى ؟

(1) انظر المصدر السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .
(2) تفسير سورة الفاتحة ط ٢ ص ١٣٥ — ١٤١ .

وهنا يتجلى جانب من جوانب أدب النبوة تحلت به عائشة رضى الله عنها ، فليس الفحش ، فى التعبير عما يجب أن يكنى عنه بالكناية، بل هو فى التعبير عنه بألفاظ صريحة •

وتعبيرها رضى الله عنها بألفاظ صريحة فى بعض الروايات فى هذا المعنى ، إنما وقع لبيان الحقيقة ، التى لو خفيت هنا لسلك الفكر فيها مسلك الضلال ، ويكفى فى بيــان ذلك أن ترد الرواية صريحة مرة واحدة ، ليحمل ما عداها مما يحمل ألفاظ الكناية عليها •

وبذلك جمعت رضى الله عنها بين بيان الحقيقة ورعاية أدب النبوة بالتكنية عما يستحى من ذكره •

لقد انتقد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده حديث السحر لثلاثة أسباب :

١ ـــ ظاهر معارضته لصريح القرآن فى نظره •

٢ ـــ اخلاله بمنصب النبوة •

٣ ـــ أنه حديث آحاد لا تقوم الحجــة به فى باب العقــائد على التســليم بصحته •

وقد سبق بيان عدم معارضة الحديث للقرآن ، وعدم إخلاله بمنصب النبوة •

وبقى أن تبين مناقشة الشيخ محمد رشيد للعنصر الثالث وهو عدم قيام الحجة بحديث الآحاد فى باب العقائد ليتم بذلك الانتصار للحديث مع بيان رأيه فى حديث الآحاد ، فنقول : بين الشيخ محمد رشيد أن معنى العبارة : أن أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة فى العقائد على

المنكر لورودها • أما من صحت عنده فيها تقوم الحجة فى باب العقائد وغيرها (١) •

وبين أن الانكار ينبغى أن يكون مبنيا على قواعد المحدثين لا جزافا فقال وعدم الزام المنكر لورود حديث رواة الآحاد من الناس لقيام شبهة عنده بتأويل محتمل أو لعدم ثقة فى الراوى أو لوجود معارض أقوى هو ما يراه نقاد الحديث ، وإليه ذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه (٢) •

والذى يشير إليه الشيخ من كلام الشافعى رضى الله عنه هو : فلا يجوز عندى على عالم أن يثبت خبر واحد كثيرا ، ويحل به ويحرم، ويرد مثله ، إلا من جهة أن يكون عنده حديث يخالفه ، أو يكون ما سمع منه أو حدثه به أوثق عنده ممن حدثه خلافه ، أو يكون من حدثه ليس بحافظ ، أو يكون متهما عنده ، أو يتهم من فوقه ممن حدثه ، أو يكون الحديث محتملا معنيين ، فيتأول ، فيذهب إلى أحدهما دون الآخر (٣)•

وبين بعد هذا خطأ المتكلمين فى قولهم هذا ، إذا لم يوجه على المعنى الذى المحنا إليه وهو أن خبر الواحد لا يفيد فى إثبات العقائد على المنكر لوروده ، أما غير المنكر الذى ثبت عنده فأى حرج يمنع من أخذه والاستدلال به فى باب العقائد ؟

لا حرج فى ذلك لأن كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه فى اللغة اسم الظن باعتبار مأخذه لذاته • واسم اليقين ان جزم صاحبه

---

(١) انظر الفتاوى ٤/١٣٢٣ •

(٢) انظر الفتاوى ٤/١٣٢٣ •

(٣) الرسالة شرح وتحقيق الشيخ احمد شاكر ص ٤٥٨ .

به • واسم العلم إن كان مدلوله حقا • ونفس الســماع أى ادراك الصوت المحقق لا يسمى ظنا بل علما •

وافادة المتواتر للعلم الضرورى إنما هــو بضرب من الاستدلال النظرى فإنا من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن الحسى ، وأن يقوم الدليل على عدم التواطؤ على الكذب فى كل طبقه من الطبقات •

وقد اختلف العلماء فى العدد الذى يحصل بخبره التواتر مع توافر الشروط التى ذكروها ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وإن لم يكن متصفا بالصفات التى اشترطها المحدثون فى راوى الحديث الصحيح كالعدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفــة الأمور القطعية التى عدوا مخالفتها علامة لكذب ووضع الحديث (١) •

أن هــذا هو فقه المســألة ولبها • فمتى أفاد الخبر اليقين لجزم صاحبه به ، مع أحقيته فى ذاته بالقرائن ، وتحقق صفات المحدثين فى المخبر به فإن الواجب يقضى بالاحتجاج به فى باب العقائد وغيرها •

ولهذا يعلق الشيخ على هذا فيقول : فمن فقه ما شرحناه علم أن أكثر الأحاديث الآحادية المتفق على صحتها لذاتها ، كأكثر الأحاديث المسندة فى صحيح البخارى ومســلم ، جديرة بأن يجزم بها جزما لا تردد فيــه ولا اضطراب ، وتعد أخبــارها مفيــدة لليقين بالمعنى اللغوى (٢) •

---

(١) انظر الفتاوى ٤/١٣٢٥ — ١٣٢٦ •

(٢) المصدر السابق ٤/١٣٣١ •

ومعنى ذلك أن أكثر أحاديث البخارى ومسلم التى توفرت فيها شروطهم ينبغى أن نذعن لها ، ونسير على نهجها فى حياتنا ، ولا نشك أو نتردد فى قبولها لئلا نتناقض مع أنفسنا •

ويوضح الشيخ محمد رشيد أنه يعنى بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متنه ولا سنده ، فيخرج من ذلك ما أنتقده مثل الدارقطنى وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم (١) •

وبهذا تتسع الفجوة بين الشيخ وتلميذه فى المنهج والتطبيق ، فالشيخ يتخذ من اللغة وعلم الكلام وذكائه فى فهمها أداة يحكم بها على الحديث فيرد الصحيح •

والتلميذ يجعل منهجه مبنيا على الدراسة والتحصيل لعلوم الحديث ومعرفة طريقتهم فى الجرح والتعديل ونقد الرجال ، ويخلص من هذا إلى قبول الحديث المتفق عليه بالمعنى الواسع الذى حدده آنفا ، لا ما اخرجه البخارى ومسلم وحدهما •

وهو فى توسعه فى قبول الصحيح واعتباره قريب من مذهب ابن الصلاح الذى يرى أن ما اخرجه الشيخان أو أحدهما مقطوع بصحته ، والعلم اليقينى النظرى واقع به ، إلا ما أنتقده بعض الحفاظ كالدارقطنى وغيره (٢) •

إلا أن الشيخ محمد رشيد لم يقصر الصحيح المقطوع بصحته المفيد للعلم اليقينى النظرى على ما رواه الشيخان ، بل وسع الدائرة ، ليشمل الأمر الصحيح الذى تضمنته كتب السنة الأخرى مما لم ينتقده

---

(١) انظر الفتاوى ٤/١٣٣١ •

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٣٦ •

والحق أن هذا هو الصواب الذى لا محيص عنه ، فإن الشيخين رحمهما الله لم يستوعبا كل الصحيح ولم يدعيا ذلك . فكيف يختلف الحكم على صحيح وصحيح طريقهما واحد وشروطهما تجرى على الأصول التى وضعها المحدثون .

وبهذا أيضا نرد على عبارة المتكلمين فى عدم الاحتجاج بحديث الآحاد فى باب العقائد أو نصححها لهم لتمضى على النسق السليم .

وتصحيح هذه العبارة بهذا المعنى هو ما حكاه ابن تيمية وهو أحد المتكلمين عن أكثر علماء الكلام من الأشعرية وغيرهم . فقد نقل القطع بالحديث الذى تلقته الأمة بالقبول عن جماعات من الأئمة منهم : القاضى عبد الوهاب المالكى والشيخ أبو حامد الاسفرايينى والقاضى أبو الطيب الطبرى والشيخ أبو اسحق الشيرازى من الشافعية ، وأبو يعلى بن الفراء وأبو الخطيب وابن الزاغونى وأمثالهم من الحنابلة وشمس الأئمة السرخسى من الحنفية . قال : أو هو قول أكثر أهل الكلام من الاشعرية وغيرهم . قال ابن فورك : وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة) (١) .

وقد تبين بعد هذا أن ما قاله الشيخ محمد رشيد وقرره ودلل عليه هو مذهب أهل الكلام وأهل الحديث وإنما اتخذ بعضهم العبارة(٢) للشغب بها على السنة والتشكيك فى القسم الأهم والأكبر منها الذى يقوم على خبر الواحد ، فصحح الشيخ مسارها وأوضح معناها بما يتفق وأصول المتكلمين وأهل الحديث .

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٣٦ .

(٢) أى عبارة : عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى العقائد .

الجانب الثالث : موقفه من أستاذه فى مناقشة حديث السحر :

ونحن بحاجة إلى توضيح ذلك لما فيه من عظة تبين مدى احترام العالم لمخالفيه حتى ولو كانوا على باطل فيما يظن • ومدى حب التلميذ لأستاذه واجلاله له •

وقف الشيخ محمد رشيد فى هذه القضية موقفا وسطا لا تفريط فيه ولا افراط فبين وجهة النظر فى المسألة — بما تؤيده الأصول التى يعلمها فى الحديث ولم يفرط فى الحق مجاملة لأستاذه الذى يخالفه الرأى ، لأن كتمان العلم ليس من خلق العلماء •

ومن ناحية أخرى اثنى على شيخه وامتدحه لما يعلمه عنه من اجلاله واكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين • وذكر بسالف مواقفه العلمية وآرائه الحية فى تناول قضايا الإسلام والمسلمين •

واستمع إليه يقول بعد بيان موقفه من الحديث الذى خالف فيه أستاذه : ولعمرى أن ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده — قدس الله روحه — من اجلاله واكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين فى نفسه الزكية ، وروحه القدسية ، وعلو مداركه العقلية مما لم نعرف مثله عن أحد من العلماء العقليين كفلاسفة المسلمين ومتكلميهم ولا من العلماء الروحيين كالصوفية ، ولا من علماء النقل كجامعى الروايات الكثيرة فى معجزاته صلى الله عليه وسلم • وحسبك منها تلك الآثار البليغة فى رسالة التوحيد ، بل كان يقول : ان روحه صلى الله عليه وسلم ، كانت منطوية على جملة هداية الدين ومدارك التشريع التى فصلت فى كتاب الله تعالى وسنته تفصيلا تاما (١) •

(١) تفسير سورة الفاتحة ص ١٣٧ — ١٤١ .

فهو بهذا لم يفرط في بيان الحق ، ولم يتجاوز الحق في نقـد أستاذه الذى يقع منه موقع التقدير ، بل امتدحه بسابق مواقفه في خدمة العلم والمسلمين •

وعلى هذا ينبغى أن يقوم النقد بين العلماء ، لا ينتقص أحـد أخاه لخطأ في مسألة أو زلل في قضية ، بل يبين له الحق ما استطاع، فإن استقام فذلك هو الصواب ، وإن تمادى التمس العذر والله الموفق للسـداد •

وبعـد •• فإن كل علم من العلوم له بابه وآلاتـه التى تسـهل الاشتغال به ، وآلات هذا العلم لم تتوفر للأستاذ الإمام بقدر ماتوفرت لتلميذه الذى يسر الله له هذا السبيل ، فدخل فى عداد المحدثين الذين عنوا بالسنة وقدموا لها ما يسر الله لهم أن يقدموه • وجوانب خدمة هذا الدين متعددة ، وقد قدم الأستاذ الإمام من الخدمات فى جانب التفسير وغيره ما كان مثالا يحتذى لمن أتى بعده ممن ساروا فى هذا الطريق •

ولكن هذا لا يمنعنـا من أن نقول ما قلنـا فيه بالنسبة للحـديث لأنه الدين •

وقد ارجف المشركون وغيرهم بتهم كثيرة منها الحق ومنها الباطل بقصد انها تهم تقدح فى رسالته صلى الله عليه وسلم ، فهل نرد كل ذلك بحجة أنه ورد على لسان المشركين ؟

ان الانصاف يقضى بأن نرد ما هو باطل لا ما هو حق ، وقـد قالوا (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسـواق) (١) • وقالوا : (أجعل الآلهة إلها واحدا) (٢) فهل نكذب ذلك ؟ كلا•

---

(١) الفرقان آية ٨ •
(٢) الفرقان آية ٨ •

أما قولهم : (أن تتبعون إلا رجلا مســحورا) فمن المؤكد انهم لا يعنون ما وقع له من سحر لبيد ثم شفاه الله • وإنما يريدون أن يصدر عن خيال فهى تهمة بالجنون وهذا هو الذى ذكذبهم فيه (١) •

وتجويز الاختلاط عليه يرده دليل العصمة الثابت له بقوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) • قال المازرى : قد قام الدليل على صــدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته فى التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطــل • ا

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له ، مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدين (٢) •

وبهذا يتضح خطأ من ردوا أحاديث السحر وغيره بحجج لا تنهض ويتضح الفرق ما بين الأستاذ الإمام وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا فى تناول كل منهما لمسائل علم الحديث •

والله أعلم ••

---

(١) انظر دفاع عن الحديث النبوى نشره زكريا على يوسف .
(٢) فتح البارى ١٢/٣٣٧ .



البـاب الثانى

دفاع الشيخ محمد رشيد رضا عن السنة

الفصــل الأول : دفاعه عن الحديث ٠

الفصل الثانى : دفاعه عن أبى هريرة رضى الله عنه ٠



الفصل الأول

دفـــاعه عن الحـــديث

نشرت مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) مقالة بعنـــوان ــ السنة وصحتها ــ فى عددها الذى صدر فى أول ابريل سنة ١٩١٦ طعنت فيها على السنة النبوية ، وزعمت أن طعنها يوجب الريب فى الشريعة وترك العمل بها ، وأنها لا قيمة لها فى نفسها •

وقد طلب كاتب المقال من ثلاثمائة مليون مسلم من أهل السنة أن يجيبوا عما كتب امعانا منه فى التحدى ، وظنا منه إن ما وقف عليـــه من الأدلة لا يستطيع مسلم نقضه ، أو زعزعته لارتكازه على أســـاس متين •

ولم يكن الشيخ محمد رشيد ممن يحبون الجدل أو المماراة ، بل كان يؤثر الصمت ويفضل السكوت ، ويبتعد عن مثل هذه المناقشات التى تضر ولا تفيد ، لأن أصول ديننا والحمد لله ثابتة لامراء فيها ، وانما يناقش ويجادل من أحس بضعف أو خلل فى هذه الأصول •

ولكنه أجبر على خوض هذه المعركة ، لما أحس به من تحدى كاتب المقال واستطالته واستهانته بفهم المسلمين وعلمائهم ومقدرتهم على بيان الحق ، والوقوف بجانبه فى كل زمان ومكان •

وكان من مظاهر هذا التحدى أن المجلة طبعت ووزعت ، ثم طبع المقال وحده بمطبعة « الجلاتين » ووزع على الناس ، ومنهم الشيخ

محمد رشيد الذى وصله المقال ضمن موضوعات المجلة ، ثم وصله المقال على حـــدة •

وبهذا أصبح الرد واجبا ، وفى هذا يقول الشيخ محمد رشيد : واننى اتعمد ترك قراءة ما يصل إلى من مجلاتهم (المبشرين) ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسى باب الرد عليهم ، اذ رد الشبهات الموجهه إلى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفائيا ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه فى المقالة من مطالبة ثلاثمائة مليون من أهل السنة بالجواب عنها : فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدفع عن سنتكم وشريعتكم ، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها (١) •

ومن هنا بدأ يرد على هذه المجلـــة ، ويبين زيف ما أتت به من طعون ونقد للسنة تارة ولأبى هريرة رضى الله عنه تارة أخرى •

ونسير فى هذا البحث بايراد نص كلام المجلة — الشرق والغرب — ثم نورد تفنيد الشيخ محمـــد رشـــيد فى هذا ثم نعقب على ذلك فى مواضعه بما يؤيد الحق ، ويوضح الدليل •

قال الطاعن : ان صحة الشريعة ، قضية لابد لكل مسلم سنى من التسليم بها ، وذلك متوقف على صحة السنة ، فاذا ارتاب أحد فى صحة السنة فليس ثمة داع منطقى يوجب إطاعة الشريعة ، لأن جانبا قليلا منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الأكبر يتوقف على السنة التى اجتمعت فى الأحاديث ، فاذا ثبت الريب فى هذه الأحاديث

---

(١) مجلة المنار ج ١٩ ص ٢٥/٢٦ •

تزعزعت أركان الشريعة ، وأركان تابعيها من حنفى ومالكى وشـافعى وحنبلى ، وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة مليون من الاتباع (١) •

وقد تناول الشيخ محمد رشيد هذا النص بالتفنيد فقال : أنـه يتلخص فى ثلاث قضايا :

القضـية الأولى :

(زعمه اذا أرتاب أحد فى السنة ينتفى وجوب طاعة الشريعة) •

هذه القضية بديهية البطلان ، فأن الاطلاق فى جواب الشرط يدل على أن المراد من القضية الشرطية : ان ارتياب فرد من الأفراد فى صحة السنة ، يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الأفراد ، والمعقول الموافق للمنطق أن ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه ، يترتب عليه ما يستلزمه فى حق نفسه ، ولا يكون ذلك مؤثرا فى غيره ، ممن لم يرتب ارتيابه ، أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الأفراد الكثيرين ، وقد ارتاب بعض علماء أوربة الأحرار فى وجود المسيح عليه السلام ، وزعموا أنه شخص خيالى — أو متخيل — لم يوجد كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك فى هوميروس شاعر أساطير اليونان • فهل استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه ، انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام (٢) •

أقول : تلك أول مناقشة فى هذه الجملة ، وقد بدت المناقشة ، سهلة معقولة ، فلماذا يسرى الشك الذى يقع فيه فرد من الناس إلى غيره ؟ والشك ليس جسما ماديا يسرى عليه قوانين المادة بل هو معنى

---

(١) مجلة الشرق والغرب عدد اول ابريل سنة ١٩١٦ •
(٢) مجلة المنار ج ١٩ ص ٢٧ •

نفسى ، والاختلاف بين الناس فى المعانى النفسية ، أقوى من الاختلاف بينهم فى الاجسام المادية وأعمق ، فقد يقع المعنى واضحا كل الوضوح لدى زيد من الناس مثلا بينما يقع على آخر كأنه البرق سرعة وخفاء ،ومن هنا كان قوله اذا ارتاب أحد فى صحة السنة فليس ثمة داع منطقى يوجب اطاعة الشريعة ، كلاما متهافتا لا قيام له لدى أحد من العقلاء لان شك واحد لا يستلزم شك الاخرين فلا معنى لترتيب هذه النتيجة على هذه المقدمة .

وبعد بيان بطلان الجملة فى ذاتها أخذ فى بيان ما يترتب عليها اذا هى سلمت وأظن الطاعن لو خير بين صحة ما يترتب عليها على فرض صحتها ، وبين بطلان جملته ، لأختار بطلانها اذا كان مخلصا لدينه ، فاذا لم يكن مخلصا لدينه ، فليوضح لنتخذ منه الموقف المناسب لحاله ، لاننا نؤمن وندافع عن صحة وجود المسيح .

القضية الثانية فى كلام الطاعن :

(زعمه أن أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث) .

وأجاب عنها الشيخ محمد رشيد فقال :

هذه قضية غير مسلمة ، فإن الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية ، وجميع العقائد التى تتوقف عليها صحة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن ، وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شىء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التى يمكن الأرتياب فى بعضها ، وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ، ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التى لا تتوقف على أحاديث الآحاد وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ، ولم

يجمع عليه أئمة العلم ، فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وان كان صحيحا في نفسه ، وإنما هو مزيد كمال في علم السنة ، وأحكام الشرع في المعاملات ، فأكثرها مأخوذ من القواعد والأصول وكذا الفروع الواردة في القرآن ، إما بالنص ، وإما بدلالة النص وفحواه ، ومن القيـاس الذى توسع فيه بعضهم كالحنفية والشافعية والمصـالح العامة التى توسع (فيها) (١) المالكية والحنابلة ، وأقلها من حديث الآحاد .

وما بقى من أركان الشريعة بعـد العقـائد والأحكام العمليـة إلا الأخلاق والآداب ، وجميع ما ورد فى الأحاديث من الحكم والفضائل والآداب ، فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ، بل السنة كلها بيان للقرآن ، لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (٢) .

وأحكام السنة التى لا تستند إلى نص من القرآن ، قيل : إنها بوحى من الله تعالى ، وأن الوحى لا ينحصر فى القرآن وحده ، ولكن للقرآن مزايا ليست لغيره من وحى الله إلى خاتم رسله ، ولا إلى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته ، وقيل : إن الله أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده (٣) .

هذه اجابة الشيخ محمد رشيد رحمه الله على قضية الطاعن الثانية، وتتلخص فى أن القرآن الكريم الذى ثبت بالتواتر يشـتمل على كل العقائد وكل أصول أحكام العبادات والمعاملات ، وما زاد على ذلك فى السنة من الآداب والأخلاق فأساسه فى القرآن الكريم ولهذا تصف

---

(١) ليست فى الأصل والسياق يقتضيها .
(٢) النحل الآية ٤٤ .
(٣) مجلة المنار جـ ١٩ ص ٢٨/٢٧ بتصرف يسير فى اللفظ لا المعنى.

عائشة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم بقولها : كان خلقه القرآن (1) .

وقد عقد الشاطبى لذلك فصولا فى بيان كيفية رجوع السنة إلى الكتاب ومآخذ الناس فى ذلك ، وأن العمل بالسنة راجع إلى طاعة الرسول الواجبة بالقرآن ، وأن الكتاب يشتمل تفصيلا على كل ما فى السنة لكن محاولة هذا تكلف (2) .

والهذا قال الشيخ محمد رشيد : ومن تأمل كثيرا من الأحكام التى استدلوا عليها بالسنة وحدها ، يرى لها مآخذ من القرآن ، كتحريم الجمع بين المراة وعمتها أو خالتها فى ازواج (3) ، وكتحريم الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة (4) .

والهذا قال الشيخ محمد رشيد :

وبهذا علم أن زعمه أن أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث باطل لا يسانده الدليل .

---

(1) رواه مسلم 512/1 ، وهو فى مسند أحمد 53/6 ، 54 والمستدرك 499/2 ، 613 ، وتفسير الطبرى 12/29 ، وتفسير ابن كثير 438/8 ، 29/9 ، والدر المنثور 250/6 ومختصر قيام الليل للمروزى .

(2) انظر الموافقات 48/24/4 .

(3) أصله فى القرآن الكريم « وان تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف » النساء الآية 23 .

(4) اصله « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » الأعراف الآية 31 .

القضـــية الثالثـــة :

(زعمه إنه إذا ثبت الريب فى الأحاديث تزلزلت أركان الشريعة).

ويجيب الشيخ محمد رشيد فيقول : هذه القضية غير مسلمة أيضا، وفيها اجمال وابهام ، فإذا أراد بثبوت الريب فى الأحاديث ، ما أفادته جملته الأولى من ارتياب بعض الأفراد ولو واحدا — فقد بينا أن هذا لا يستلزم إلا ما يستلزمه الارتياب فى نفس المرتاب وحده ، وإذا أراد ارتياب جميع الناس ، أى جميع الأحاديث ، فهذا ما وقع ولن يقع ، ولا يعقل أن يقع ، وسنشرح ذلك على وضوحه فى نفسه ، فإن فرضنا — جدلا — إنه يقع ، فإنما يترتب عليه حينئذ الاكتفاء فى الدين بما فى القرآن ، والسنة العملية المنقولة بعمل مئات الألوف ، وألوف الألوف منذ العصر الأول ، ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ، وبما ثبت بالاجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئـذ إلا الأحكام التى تثبت بأحاديث الآحاد وحدها ، كما بيناه فى الكلام على القضية الثانية .

وبهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله (تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها) فإن أراد بأركان الشريعة ، أصول العقائد ، وقضايا الإيمان، التى يكون بها المرء مؤمنا ، فقد علمت أنه لا يتوقف شىء منها على أحاديث الآحاد ، وان إراد أركان الإسلام الخمسة فكذلك ، فإن معرفة هذه الأركان لا تتوقف على ثبوت الأحاديث الواردة فيها ، فإنها مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح ، على أنه صحيح والحمد لله .

وان أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها ، أصولها المستمدة منها عند الأئمة الأربعة ، فقوله أظهر بطلانا . فإن هذه الأركان أربعـة

ـ الكتاب والسنة والاجماع والقياس ـ وما الحق بها عنـد بعضهم كالمصالح والاستحسان ، فالأحاديث جزء من السنة التى هى ركن من هذه الأركان فالارتياب فى هذا الجزء ، لا يوجب الارتياب فى الجزء الآخر منها ، وهو ما ثبت بالتواتر عملا أو قولا ، فكيف يوجب الارتياب فى القرآن وكله متواتر ، وفى الاجماع والقياس ؟ .

وارتياب جميع الناس أو جميع المسلمين فى جميع أحاديث الآحاد ما وقع ، ولن يقع ، ولا يعقل أن يقع ، وبيان ذلك ، ان المعهـود من البشر فى كل زمان ومكان أن يصدقوا خبر كل مخبر ، لأن الأصل الغالب فى أخبار الناس الصدق ـ إلا إذا وجـدت علة فى الخبر أو المخبر تقتضى الارتياب ، كأن يكون الخبر غير معقول ، أو يكون المخبر معروفا بالكذب ، ونرى الناس يصـدقون أكثر أخبـار الجرائد السياسية ، والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبهما ، واعتقـادهم أن لأصحابهما أهواء سياسية ، يحاولون تأكيدها بالحق وبالباطل ، فإذا كان هذا شأن البشر فى أمثال هذه الأخبار التى تحوم حولها الشبهات فى نفسها وفى سيرة رواتها ، فكيف يعقل أن يرتابوا فى صحة جميع الأحاديث التى صححها حفاظ المحدثين بعد نقد متونها ، واقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم أنهم لا يقبلون فى الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ، ولا حديثا فى رواته مجهول ، أو أحد ثبت عليه الكذب ، أو سوء الحفظ أو النسيان ، أو مخالفة الثقات الاثبات فى روايته ؟

ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أنا جيلكم الأربعة ، وغيرها من كتبكم وليس عندكم سند متصل لشىء منها ، وقد اختلف علماؤكم ومؤرخوكم فى كتابها وفى اللغات التى كتبت بها وفى التواريخ التى كتبت فيها

فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتمحيص الذى توفر لنا فى نقل الحديث ، افتعقاون مع هذا أن نرتاب فى تصديق جميع الأحاديث التى نقلت لنا بدقة لم يعهد لها البشر نظيرا فى تاريخهم القديم ولا الحديث، وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث فى رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب مرارا كثيرة كرواة البرقيات والجرائد (1) •

أقول هذه اجابة الشيخ محمد رشيد على هذه الفقرة من قـول الطاعن آثرت نقلها كلها لما تتميز به من دقة فى المعنى ، وجودة فى الصياغة تأخذ كل فقرة بزمام صاحبتها حتى نهايتها ، لتؤدى وتقـدم الدليل الذى لا ينقض ، على زيف قول الطاعن الذى يهدف إلى زلزلة أركان الشريعة بمقدمات ساقطة ، لا تقوى على زعزعة بيت من الشعر يقوله ماجن من الشعراء والكأس فى يده ، ويرويه عنه مثله من صعاليك الرواة ، فضلا عن زعزعة أركان الشريعة التى نقلت أصولها نقلا متصل الاسناد ، وعرف رجال الاسناد من الرواة بالعدالة والحفظ والإتقان ، وعرفت مروياتهم بالمقارنة بمرويات من هو أوثق وأتقن وأحفظ ، لمعرفة الشاذ والمنكر والمعل ••• الخ ما عرف من المحدثين فى ذلك ، مما يحتاج إلى سفر بل أسفار لشرحه وبيانه •

والحديث هنا يجر بعضه بعضا ، ومادام الحديث يدور حول زعزعة الأحاديث للوصول به إلى زعزعة أركان الشريعة ، وزعزعة الأحاديث إنما تكون بالتشكيك فى اسنادها فأين هو الاسناد الذى ثبت لأناجيله الأربعة ؟ أنه لم يثبت لشيء منها اتصال الاسناد (وأسـانيد هـذه

(1) مجلة المنار جـ 19 ص 29 ، 30 •

الاناجيل إما غير صحيحة ، وإما منقطعة ، وليس لهم اسناد متصل إلا ما قيل فى تحريم الطلاق عندهم ، على أن ذلك لم يتفق عليه ، ولم يسلم لهم ، بل عارضه كثير منهم ، والاناجيل التى بين ايديهم فى نسبتها إلى أصحابها شك كثير ، وعلى فرض صحة نسبتها إلى أصحابها، فما هى بالاستقراء إلا آراء وتعاليم جاءت على ألسنةتلاميذ المسيح عليه السلام (1) •

وبهذا يمكن القول بأن أمة النصارى واليهود أيضا لا يعرفون الاسناد ، لأن اليهود بينهم وبين موسى انقطاع قدر بثلاثين عصرا ، فكيف ساغ لهم الحديث عن الاسناد وزعزعة أركان الشريعة فى زعمهم وهم لا يعرفونه ؟ لأنه من خصوصيات هذه الأمة ، أمة الإسلام دون سواهم ولله الحمد •

أضف إلى ذلك ما أقاموه من ميزان الجرح والتديل ، ونقد وتمحيص متون الروايات وأسانيدها •

بل أنهم بالخيار بين نقض علومهم التاريخية والاجتماعية التى لا اسناد لها ولا تمحيص ، وبين التسليم بأحاديث الآحاد التى تتميز بالاسناد والنقد والتمحيص •

وزعزعة العلوم التاريخية والاجتماعية ، وسائر علومهم التى تقوم على النقل سهل ميسور لمن وقف على علم الاسناد وما قام به المسلمون من جهود فى حفظ السنة ، وما أنشأوا من علوم لتصفيتها وتوثيقها وابعاد الزيف عنها •

---

(1) انظر محاضرات فى علوم الحديث ١/٣٥ •

وأمازعزعة أحاديث الآحاد ، فانه أمر عسير ، يصعب وقوعه ، بل هو ان يقع ولا يعقل أن يقع كما يقول الشيخ محمد رشيد •

قال الطاعن : وسنثبت فى الفصول التالية ، أن من السهل اثبات الشبهات الملقاة على تلك الأحاديث ، ونحن مثبتون فى هذا الفصل وهن الاعتماد على بعض الصحابة التى تتوقف مئات من الأحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ، ومنها نشأت السنة ، على أن البخارى الذى أشتهر بنقد رجال الحديث ، لم يخطر له أن يرتاب فى صدق الصحابة ، لأنهم كانوا فى نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدلك على ضعف حجته ، فقد ثبت بوجه لا يقبل الشك ، أن أبا هريرة وابن عباس لم يكونا ممحصين فى رواية الحديث ، وغرضنا الآن أن نبين أن الريب فى أحاديث أبى هريرة تسرب إلى نفوس معاصريه ، ونفوس الذين جاءوا بعده ، ومع ذلك فقد نقل عنه البخارى الأحاديث بالمئات ، فتداولتها ألسنة المجتهدين ، الذين أسسوا المذاهب الأربعة ، وبنوا عليها نظامهم الشرعى [1] •

وقد أجاب الشيخ محمد رشيد على هذا فلخص جملة الطاعن فى قضايا ونمضى فى الجواب عنها تسلسلا مع ما سبق كما يلى :

القضـــية الرابعـــة :

(زعمه وهن الاعتماد على رواة المئات من الأحاديث من الصحابة كأبى هريرة) •

ويقول الشيخ فى الجواب : هذه القضية باطلة ، فانهـا توهم القارىء أن الكاتب يثبت فى هذا الفصـــل مطاعن فى عدالة عدة من

---

(١) مجلة الشرق والغرب ، عدد اول ابريل سنة ١٩١٦ م .

الصحابة الذين رووا المئات الكثيرة من الأحاديث — حتى إذا ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه إلا روايات فى واحد منهم — وهو أبو هريرة رضى الله عنه — ونرى أن هذه الروايات لا تسقط عدالته كما نبسطه فى هذا المقال ، وهذا مما يؤيد قولنا : أن هؤلاء النـــاس ، يكتبون ما لا يفهمون ، لأنهم اعتادوا الجرأة على انقاء المطاعن من غير تفكير ولا روية ، فهم ينقضون ما يبنون ولا يشعرون •

القضـــية الخامســـة :

(زعمه أن البخارى لم يخطر بباله الارتياب فى صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم) •

وجواب الشيخ محمد رشيد يقول فيه : هذه القضية باطلة أيضا ، لأنها حكم بعموم السلب ، على شىء يتعلق بالقلب ، لا يعلمه إلا الرب، فإن مثل هذا الكاتب ، لا يناقش فى مثل هذا التعبير ، لأنه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخارى لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب، ولا بغيره من العلل القادحة فى الرواية ، وإنما نريد بيان بطلان زعمه أن البخارى كان يرى أن رواة الصحابة معصومون ، وإنما كان يرى ويقول : إنهم عدول صادقون ، لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين ، إلا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عن الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبى هريرة وشيئا من تمحيصه لما يرويه ، فالبخارى كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل فى أبى هريرة وبما رواه أبو هريرة ، ولم يره مسقطا لعدالته ولو رآه مسقطا لها لما روى عنه فى صحيحه ، وقد كان البخارى من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا من البشر معصوم من الكذب إلا الأنبياء

عليهم السلام ، وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة ، وإلا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيـائهم الوحى وأنما يكتفى فى تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوى ، وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ولم ينقل عن أحد من مؤرخى البشر ونقله الأخبار مثلما نقل عن البخارى من شدة التحرى فى كتابه الجامع الصحيح • فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصى إلى الأنبياء برأهم الله تعالى وصلى عليهم وسلم • وهؤلاء المبشرون ، وأهل نحلتهم ، لا يقولون بعصمة الأنبياء ، دع عصمة ناقلى كتبهم بغير أسانيد متصلة ، ولكنهم يقبلون ما عزى إليهم (١) •

أقول فى هذا الجواب : انه بنى على التفرقة بين العصمة والعدالة، فالعصمة لا تكون إلا للانبياء ، أما العدالة فهى ثابتة للصحابة رضوان الله عليهم ، وثبوتها للصحابة دون بحث أو بعد البحث هـذا موضع خلاف بينهم (٢) •

ولكنا نرى الطاعن يخلط بين ما يعد شرطا فى قبول الرواية وغيره فحين يقف على أن البخارى يقول بعصمة الصحابة — وهذا خطأ منه طبعا لأن البخارى من أئمة أهل السنة الذين يرون أن العصمة للانبياء وحدهم — ظن أنه وقع على صيد ثمين سيصل منه إلى الطعن والتجريح بيد أنهم ينفون العدالة عن أنبيائهم بما ترويه كتبهم عنهم من كذب

---

(١) مجلة المنار جـ ١٩ ص ٣١ •
(٢) انظر فى هذا الروض الباسم ، ص ٤٩ .

واجتراح للآثام فضلا عن ناقلى هذه الكتب عنهم ، ولا شك أن العدالة حد أدنى فى قبول الرواية •

ومع هذا يقبلون ما عزى إليهم مع فقدها لأهم شروط قبول الرواية• أفلا نقبل نحن ونثق بما عندنا ، بل نفخر برجالنا الذين قاموا بكل هذه الجهود التى تقرب من حد الاعجاز ؟

القضية السادسة :

(زعم الطاعن أن الأئمة الأربعـة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخارى عن أبى هريرة) •

ويجيب الشيخ عن هذا فيقول : هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناشرين لهذا المقال ، على درجة تحريهم ، وصـدقهم فيما يقولون وينقلون •

الحافظ البخارى متأخر عن الأئمة الأربعة ، أدرك رابعهم الإمام أحمد بن حنبل وتلقى الحديث عنه ، وقد جاء فى تهذيب التهذيب عن العقيلى أن البخارى لما ألف كتابه الصحيح عرضه على على بن المدينى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم ، فامتحنوه ، وكلهم قال : كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث ، قال العقيلى: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة • والشاهد فى هذا النقل أن البخارى أخذ عمن أدرك من الأئمة الأربعة ، ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئا ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحدا فى رواية ولا دراية ، وإنما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية •

ولد الإمام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ (١) وولد الإمام مالك سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ (٢) ، وولد الإمام الشافعى سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٠٤ (٣) • وولد الإمام أحمد سنة ١٦٤ وتوفى سنة ٢٤١ (٤) ، وولد الإمام محمد بن اسماعيل البخارى سنة ١٩٤ ، وتوفى سنة ٢٥٦ (٥) وقد رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ هـ أى بعد وفاة الإمام الشافعى ببضع سنين ، وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة ابى حنيفة بستين سنة فكيف يقال : اخذوا عن البخارى ما رواه من الاحاديث عن أبى هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعى ؟ وكيف توهم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعزع هذه الشريعة التى هى أثبت من الجبال الرواسى ؟ أبمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة (٦) •

أقول بعد هذه الاجابة المفحمة : إن هؤلاء المبشرين لا علم لهم بما يصلح أن نسميه حدا أدنى فى معرفة الرجال وتاريخهم الذى به يعرف الخطأ من الصواب ، ولو علم الطاعن أنهم استخدموا التاريخ

---

(١) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ ، والوفيات ١٦٣/٢ ، والجواهر المضيئة ٢٦/١ .

(٢) انظر ترجمته فى الديباج المذهب ١٧ — ٣٠ وتهذيب التهذيب ٥/١٠ والوفيات ٤٣٩/١ .

(٣) راجع فى ترجمته طبقات الشافعية ١٨٥/١ وتذكرة الحفاظ ٣٢٩/١ وتهذيم التهذيب ٣٢٩/١ وتاريخ بغداد ٥٦/٢ — ٧٣ .

(٤) ترجمته فى تاريخ بغداد ٤١٢/٤ والوفيات ١٧/١ والحلية ١٦١/٩ .

(٥) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/٢ — ٣٦ وتذكرة الحفاظ ١٢٢/٢ وتهذيب التهذيب ٤٧/٩ والوفيات ١٤٥٥/١ .

(٦) مجلة المنار ج ١٩ ص ٣٢ .

فى الكشف عن الكذب والذب عن السنة منذ عرفوا أن الكذابين يضعون فى حديثه صلى الله عليه وسلم ، لما وقع فيما وقع فيه •

روى مسلم فى صحيحه قال : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال : سمعت أبا نعيم وذكر المعلى بن عرفان فقال : قال حدثنا أبو وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين • فقال أبو نعيم : أتراه بعث بعد الموت ؟ (1) •

وميراث ضخم تناولناه بهذا النضج يجعل من العار دخول مثـل هذه الاغاليط ذهن مسلم ، وسوف يكشفها ويبين زيفها علماء المسلمين فى هذا العصر وفى كل عصر ، لأن كشف الزيف والكذب على رسول الله وسنته يدخل فى باب حفظ هذا الدين وكتابه ، فالسنة بيان له ، وحفظ البيان من حفظ المبين •

---

(1) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٦ وعبد الله بن مسعود مات سنة ٣٢ او التى بعدها وصفين وقعت عام ست وثلاثين •

الفصل الثانى

دفاعه عن أبى هريرة رضى الله عنه

تضمن مقال الطاعن فى السنة فى مجلة الشرق والغرب ، هجوما على أبى هريرة رضى الله عنه (1) ، لأنه من المكثرين الذين حفظوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا عقد البخارى فصلا بعنــوان باب حفظ العلم ، لم يذكر فيه شيئا عن غير أبى هريرة رضى الله عنه، لأنه كما قال الحافظ ابن حجر : كان أحفظ الصحابة للحديث قال الشافعى رضى الله عنه : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى عصره ، وقد كان إبن عمر يترحم عليه فى جنازته ويقول : كان يحفظ على المسلمين حديث النبى صلى الله عليه وسلم (2) •

من أجل ذلك كان الهجوم على أبى هريرة رضى الله عنه من المبشرين وأعداء السنة هدفا ، ليبلغوا به زعزعة الثقة فى الرواية ، والحط من منزلة السنة فى نفوس المسلمين •

---

(1) هــو عبــد الرحمن بن صــخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اليمانى على خلاف كثير فى ذلك وانظر الاصابة ١٩٩/٧ وجمهرة انساب العرب ص ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ونهاية الارب ص ٩١ ، ص ٢٥٣ •

(2) فتح البارى ٢٢٤/١ •

فاذا كان أبو هريرة — فى نظرهم — بهذه المنزلة التى يصورونه بها ، فلا تعويل على مروياته ، وبالتالى لا تعويل على شىء من مرويات الصحابة الآخرين أيضا لأن أبا هريرة احفظهم وأكثرهم حديثا فاذا بطلت الثقة فيه بطلت الثقة فى غيره من باب أولى فى زعمهم • ولكن انى لهم اثبات ما يزعمون ؟ والله من ورائهم محيط .

قال الطاعن فيه : الارتياب العام فى أبى هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ••• عن أبى هريرة قال : ان النـــاس يقولون : أكثر أبو هريرة ولولا آيتان من كتاب ما حدثت حديثا ••• ان اخواننا من المهاجرين ، كان يشغلهم العمل فى أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رســـول الله صلى الله عليه وســـلم بشبع بطنـــه ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون • (البخارى جزء أول كتاب العلم صفحة ٢٧) وكتب فى الحاشية ما نصه : جاء فى الاصابة لابن حجر ٧/٢٣ قوله : انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة أ•هـ كلام الطاعن (١) •

وقد أجاب على ذلك الشيخ محمد رشيد فقال : استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتياب العام فى أبى هريرة ، ويفهم من هذا أنه يوهم قارىء مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب فى صحة روايته ، وهذه دعـــوى باطلة ولفظ الناس يصـــدق بالقليل والكثير • قال الله تعالى : (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روى فى التفســـير المأثور أن الذى قال

---

(١) انظر مجلة الشرق والغرب عدد أول ابريل سنة ١٩١٦ م .

ذلك : هو نعيم بن مسعود ، قال : أن أبا سفيان يجمع لكم الجيش. وقيل : ان القائل ركب عبد القيس فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل ، وان لم يركب إلا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير .

وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا أكثار أبى هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذى اعتصره الطاعن من فتح البارى (١) وقد صرح فى رواية إخرى له بزيادة « ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون بمثل حديثه » (٢) .

ووجه الانكار : أن أبا هريرة من متأخرى الصحابة ، فينبغى أن يكون أقل سماعا منهم ، ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء ، الذى يقضون به فى محاكمهم ، أن الاستنكار والاستغراب فى مثل هذا لا يقتضى الاتهام بالكذب وأن التهمة لا تقتضى بمجردها سلب العدالة ، لأن من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا .

وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه ، إذ لا تجارة له كالمهاجرين ، ولا حرث

---

(١) نص الحديث عند البخارى فى صحيحه : حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله قال : حدثنى مالك عن ابن شهاب ، عن الاعرج ، عن أبى هريرة قال : ان الناس يقولون : اكثر ابو هريرة ولولا آتيان فى كتاب الله ، ما حدثت حديثا ، ثم يتلو : ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات الى قوله : الرحيم ، وان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون .

فتح البارى ١/٢٢٤ .

(٢) نفسه . كى المزارعة من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهرى .

له كالأنصار فيشغله هــذا أو ذاك ، فكان بهــذه الملازمة ، يســمع ما لا يسمعون ، ويحفظ ما لا يحفظون ، ويضاف إلى هذا الجواب ، أنه حدث بما سمعه ، وبما رواه •

وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الدالتين على وجوب اظهــار العلم ، وحرمة كتمانه (١) وقد حذف ذلك الطاعن •

وأما الرواية الثانية ، وهى ما نقله الطــاعن فى الحاشــية عن الاصابة لابن حجر فهى رواية أخرى لهذا الأثر نفسه ، رواهما البخارى عن الاعرج (عبــد الرحمن بن هرمز) عن أبى هــريرة (٢) • وقال الطاعن : أنه علل الاكثار برواية غريبة ، أى علل كثرة تحديثه بعلة غريبة إى عند الطاعن ، ولم يذكر هذه العلة • وهى عين العلة التى فى الرواية الأخرى • مع زيادة تعد من آيات النبى صلى الله عليه وسلم ، ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهى : فحضرت من النبى صلى الله عليه وسلم مجلســا فقال : من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه إليه ، فلن ينسى شيئا سمعه منى • فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلى • فوالذى نفسى بيــده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد (٣) • وروى هذا الحديث أحمد والنسائى ومسلم وغيره من طرق • وقذفهم أبو هريرة من الحديث عموم السلب المطلق ، وصدق عليه ذلك • وان كان لفظ الحديث يحتمل تقييد العموم

---

(١) ذكرنا نص الحديث آنفا وبه الآيتان •

(٢) قال فى الاصابة : وفى الصحيح عن الاعرج ، قال : قال ابو هريرة انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم والله الموعد .. الخ ٢٠٣/٧ ، ط المطبعة الشرقية ١٣٢٥ — ١٩٠٧ م.

(٣) الاصابة ٢٠٣/٧ وهو فى صحيح البخارى ٢٢٥/١ من فتــح البــارى •

بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء ولم يرو عنه فى الصحيح أنه نسى شيئا حدث به إلا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد أن روى ما يدل على ثبوت العدوى ، ولعله كان من مراسيله لا من سماعه ، فلا يتعارض مع قوله ، انه ما سمع شيئا ونسيه ، أى بعد مسألة الرداء ، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء (١) أ•هـ كلام الشيخ محمد رشيد •

أقول : أن الطعن فى أبى هريرة رضى الله عنه هدف للمبشرين وغيرهم ليطعنوا فى السنة كلها ، لأنه أحفظ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرواهم للحديث •

ولكن الذى يعرف الرواية عند المسلمين ، وما بذلوه فى تهذيبها وتنقيتها يعلم تمام العلم أنهم لا يأخذون من متهم مهما بلغ ، ولا عن من يخطىء ، أو يشذ بروايته فيخالف من هو أحفظ وأثبت وأتقن ، أو يكون مجهولا ، أو لا يعرف الحفاظ ما يرويه •

سئل على بن المدينى عن أبيه فقال : سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : هو الدين • انه ضعيف (٢) •

وسئل زيد بن أبى أنيسة عن أخيه فقال : « لا تأخذوا عن أخى » (٣) •

قال يزيد بن حبيب : إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فان عرف فخذه وإلا فدعه (٤) •

---

(١) انظر فتح البارى ٢٢٦/١ وانظر مجلة المنار جـ ١٩ ص ٣٤/٣٣ •
(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ •
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢١/١ •
(٤) الجرح والتعديل ١٩/١ •

وقال الشافعي : كان ابن سيرين ، وابراهيم النخعي ، وطاووس وغير واحد من التابعين ، يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ ، وما رأيت أحدا من أهل الحديث يخالف هذا المذهب (١) .

وكانوا لا يتحرجون من ذكر الكاذب بما فيه ، قال ابن مهـدى : سألت شعبة وابن المبارك والثورى ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب فقالوا : أنشره فانه دين (٢) .

ولم يكن صلاح الرجل وصلاته بالذى يمنع عندهم من حرجه ، إذا لم تتوفر له شروط الرواية ، قال يحيى بن معين « أنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة منذ أكثر من مائتى سنة »(٣).

قال السخاوى : أى أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهـل الحديث (٤) .

وهذه المقاييس كانت مطبقة بدقة لا يفلت منها أحدهم حتى الحفاظ والنقاد أنفسهم قال الشعبى : « والله لو أصبت تسعة وتسعين مرة وأخطأت مرة ، لعدوا على تلك الواحدة » (٥) .

أفتراهم بعد كل هذا يتهاونون مع غيرهم ، وهم لا يتهاونون مع أنفسهم ؟ أو أفتراهم يتساهلون ، فيشاركون بتساهلكم فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مقدمة التمهيد ص ١٠ ب .
(٢) نفسه ص ١٢ ب .
(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ .
(٤) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ .
(٥) تذكرة الحفـاظ ١/٧٧ .

انهم أعلم بحديثهم وبما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه من هؤلاء المبشرين الطاعنين ، الذين حرفوا وبدلوا فى نصوص يعلمون أنهـا ليست عندهم وحدهم ، بل هى عنـدنا وفى كثير من المصـادر التى لا يمكن إخفاؤها ، ولو تمكنوا لفعلوا ، ولكنهم لم يتمكنوا ، لأنهم بدأوا يتتلمذون عليها ، بل وشهد بعضهم لذلك .

قال المستشرق الألمانى « شبرنجر » فى تصدير كتاب الاصـابة لابن حجر ط الهند ـ كلكتا : لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة ، أتت فى علم أسمـاء الرجال ، بمثل ما جاء به المسلمون فى هذا العلم العظيم الخطر ، الذى يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئونهم .

وبعد أن قرأ هؤلاء المبشرون ، وتتلمذوا على هذه الكتب ، ظنوا أنهم أحاطوا بها ، وسيطروا عليها ، كما سيطروا على أوطان المسلمين، وأخذوا يعملون فيها عملهم لتنقاد لهم ثقافتها وعلومها .

وأخطأهم القياس ، لأنه دين لا يقبل الخضوع والسيطرة ولأنها شريعة لا تقبل التحريف والتبديل ، فهو دين له القيـادة والريادة ، وشريعة لها العلو والاحاطة والشمول .

وقد عبر عن هذا بعض أهل الجاهلية بقوله : وانه يعلو ولا يعلى عليه وهو وإن كان يقول ذلك فى القرآن ، فالسنة بيان له ، ومنزلة البيان من منزلة المبين .

ولن يستطيعوا اخفاء شىء من هذه الحقائق لأنهم تلاميذ بالنسبة لهذه الكتب ، وسيظلون كذلك . ولن يستطيع التلميذ اخفاء علم أستاذه بحمد الله.

وقد حذف الطاعن على أبى هريرة رضي الله عنه من نصه الآيات من القرآن الكريم وهى التى حملت أبا هريرة رضى الله عنه على الاكثار من الحديث ، ومهما حذف فالحقيقة واضحة لا يمكن اخفاءها لأننا لن نعتمد على ما كتب فى تقـدير أبى هريرة والأصـول متوفرة لدينـا بحمد الله •

وقد حذف أيضا من النص الذى نقله عن الاصابة ما يعد معجزة النبى صلى الله عليه وسـلم ، وآية على حفظ أبى هريرة رضى الله عنه وعدم نسيانه — وهو مسألة الرداء •

واخفاء الحق ليس من شأن الباحث الذى يجعل الحق وجهته ، أما إذا كان الباطل هو الوجهة ، فليس لنا — فى اخفائه الحق — عليـه من سبيل •

أن مناقشة الشيخ محمد رشيد هنا بينت ما حـذفه الطاعن من النصوص التى نقلها مما يبطل الثقة بنقله • وبينت ما يعـد أصـلا للعدالة فى عصرنا الحاضر • وهو براءة المتهم حتى تثبت أدانتـه ، وما حاول الطاعن المحرف اثباته لا يثبت ، فهو ساقط مردود •

قال الطاعن : تهمة أبى هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) عن أبى الرزين [1] قال : خرج إلينا أبو هريرة ، فضرب بيده على جبهته فقال: ألا انكم تحدثون أنى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، لتهتدوا وأضل ، ألا وانى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليـه

---

(١) الصواب ابو رزين : وهو مسعود بن مالك ، ابو رزين الأسدى الكوفى ، مات سنة ٨٥ هـ ٢/٢٨٣ تقريب .

وسلم يقول : إذا انقطع شسع احدكم فلا يمشى فى الأخرى حتى يصلحها .

ونقل ابن حجر عن أحمد بن حنبل قوله : قيل له أكثرت فقال : لو حدثتكم بما سمعت لرميتمونى بالقشع أى الجلود ، وقد أردف هذا بشكوى أخرى وهى قوله : أكثر علينا أبو هريرة .

نقل ابن حجر عن عائشة ما يأتى : قالت عائشـــة لأبى هريرة : « انك تحدث بشىء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه أنها كانت مهتمة بزينتها ، فلم تسمع ما سمعه هو .

عبد الله بن عمرو بن العاص ، جاء فى كتاب أخبار مكة للازرقى قوله : حدثنا أبو الوليد ... عن عبيد بن سعد ، أنه دخل مع عبد الله ابن عمرو ابن العاص المسجد الحرام ، والكعبة محرقة حين أدبر جيش الحصين ابن نمير ، والكعبة تتناثر حجارتها ، فوقف ومعه ناس غير قليل ، فبكى حتى انى لأنظر إلى دموعه تحدر كحلا فى عرنيـــه ... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ، ومحرقوا بيت الله ربكم لقلتم ما من أحــد أكذب من أبى هريرة .

عبد الله بن عمر ، جاء فى الترمذى قوله : حدثنا ابن عمر ... فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بقتل الكلاب ، إلا كلب صيد أو كلب ماشية . قيل له : إن أبا هريرة كان يقول : أو كلب زرع . فقال : إن أبا هريرة له زرع ، (ولا يخفى ما فى هــذا من التقريع اللطيف) .

عن الاصابة • كان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر ، فقال عبد الله : لقد أكثر أبو هريرة• فقالوا له : أتنكر شيئا مما يقولون ؟ فقال : لا ولكن اجرا وجبنا• وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبى إن كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله : (اجرأ وجبنا) من قبيل الازدراء ، فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن إلى نفسه ، أما الجرأة التى نسبها إلى أبى هريرة فمعناها التهجم والتحدى • ولعل فى هذا ما يميط اللثام عن مصـــادر الأحاديث • فانه يدلنا على عظم الاستسلام إلى رواة الأحاديث ، غير المدققين والأرجح أن عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبى هريرة ، وإنما جاهر برأيه بلهجة الازدراء •

جاء فى الاصابة لابن حجر : أن مروان استـــاء من كلمـــة قالها أبو هريرة فاتهمه بالأكثار من الرواية ، وأردف ذلك بقوله : إنما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله بيسير • فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت حتى مات •

(ملاحظة : كان محمد فى خيبر فى سنة سبع هجرية ، أى قبل موته بنحو أربع سنوات ، فالحادثة المذكورة هنـــا تبين أن معاصرى أبى هريرة أنفسهم ، كانوا يرون المدة قصيرة جدا ، لا تعال اكثـــاره من رواية الأحاديث التى كان يستشهد بها كلما شاء) (١) •

(١) مجلة الشرق والغرب عدد اول ابريل سنة ١٩١٦ .

بدأ الشيخ محمد رشيد جوابه بتصحيح بعض الأخطاء فى نقـل النصوص ومنها : أتنكر شيئا مما يقولون ، وصوابه : مما يقول .. وقوله : اجرأ وجبنا ، وصوابه « أجترأ وجبنا » وبعض الخطـأ من سوء الفهم كقوله بعد الحديث الذى عزاه إلى أحمد وقد أردف هذا بشكوى أخرى .. الخ ، والصواب أن هذه الزيادة ليست من حديث أحمد ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر (1) •

ثم بدأ فى رد هذه الشبهات اجمالا وتفصيلا •

أما الرد الاجمالى فقد قال فيـه : (أولا) ليس فى هـذه الروايات التى أوردها الطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب •

ثانيا : ان التهمة لا تثبت إلا بالبينة والدليـل ، باتفـاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والعدل من البشر أجمعين ، ولم يقم أحد دليلا ، ولا بينة على أن أبا هريرة كذب ، وإنما عرض لبعض الصحابة شبهة فى رواية أبى هريرة ولو ثبتت الشبهة وظلت مجهولة ، وسببها خفيا لصح أن تجعل علة لعدم الحاق روايته برتبة الصحيح احتياطا ، ولكن سبب الشبهة معروف وهو لا يقتضى سلب العدالة ، ولا عـدم الثقة بالرواية •

هذا هو الرد اجمالا عن هذه المطاعن ، وهو رد يكفى العاقل المتثبت لا يحتاج إلى شىء وراءه ، فليس من الحكمة الأخذ فى الاتهام بلا دليل أو بينة ، بل لابد من دليل قوى ليمضى العـاقل الاتهام فى مثـل

---

(1) مجلة المنار ج ١٩ ص ٣٦ بتصريف يسير فى اللفظ •

هذه المواقف • والدليل القوى هو الذى يثبت أمام النقد والاختبار ، فاذا انهار وتهافت أمام النقد والاختبار كما هو الشأن هنا — ترك ولم يعول عليـــه •

وهذا فى الرد الاجمالى ، أما الرد تفصيلا ، فانه يدور حـــول سببين كما يؤخذ مما أورد الطاعن من نصوص •

السبب الأول : فى الطعن كثرة الرواية التى تميز بها أبو هريرة عن بقية الصحابة ، ويرد مع كثرة الرواية أن مدة صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وأشهر ، وها لا تتسع الأحاديث الكثيرة التى يرويها •

السبب الثانى : استنكار بعض متـــون الأحاديث التى يرويها ، والتى كان يتوقع التكذيب بها ، أو الايذاء أو القتل إذا حدث بهـــا ، لأنها من أخبار الفتن التى أخبره بها النبى صلى الله عليه وسلم قبـــل وقوعهـــا •

فاذا أجبنا عن هذين السببين ، انهار بنيان الطاعن وانهدم الأساس الذى ركز عليه ، وحشد له الروايات ، وحرف من أجله النصوص ، وفهم فيها كما يشاء •

ونصحب الشيخ محمد رشيد فى اجابته على هذين العنصرين هنا ونبين رأينا فيه ، مراعين فى ذلك المنهج الصحيح فى البحث ، لا نحيد عنه ، لأن الحق غاية كل مؤمن ، وسبيل كل باحث عن الصواب

وعن كثرة أحاديث أبى هريرة رضى الله عنه يجيب الشيخ محمد رشيد ، ونجمل هذه الاجابة فيما يلى :

أولا : أنه قصد حفظ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وضبط أحواله ليستفيد منها ويفيد الناس ، ولأجل هذا كان يلازمه ويسأله، وكان أكثر الصحابة لا يجترئون على سؤاله إلا عند الضرورة ، وقد كانوا يسرون إذا جاء بعض الأعراب من البدو وأسلموا ، لأنهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم •

ثانيا : أنه كان يلازم النبى صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى فى زيارته لنسائه وأصحابه ، ليستفيد منه ولو فى أثناء الطريق ، فكانت السنين القليلة من صحبته ، كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة ، الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم ، إلا فى وقت الصلاة ، أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم إليها أو حاجة يفزعون إليه فيها•

ثالثا : أنه كان جيد الحفظ قوى الذاكرة •

رابعا : بشارة النبى صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت فى حديث بسط الرداء •

خامسا : دعاؤه له بذلك ، كما ثبت فى حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة الكبير رضى الله عنه عند النسائى •

سادسا : أنه تصدى للتحديث عن قصد ، لأنه كان يحفظ الحديث لأجل أن ينشره ، وأكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة إلى ذكره فى حكم أو فتوى أو استدلال •

سابعا : أنه كان يحدث بما سمعه ، وبما رواه غيره من الصحابة •

هذا استعراض لاجابة الشيخ محمد رشيد عن سبب كثرة حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وهى أسباب مؤيدة بالدليل فى كل عنصر من عناصرها

روى أحمد فى مسنده بسنده إلى أبى هريرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ، لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى ، لما رأيت من حرصك على العلم (١).

وروى البخارى بسنده إلى أن أبى هريرة قال : قيل يا رسـول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث .. الخ الحديث »(٢).

وقال زيد بن ثابت : قلنا : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علما لا ينسى فقال : سبقكم بها الغلام الدوسى (٣) .

وقال فيه ابن عمر رضى الله عنه : يا أبا هريرة ، كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمنا بحديثه (٤) .

وقال أبى بن كعب : كان أبو هريرة جريئا على النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن أشياء ، لا نسأله عنها (٥) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٥/١٠٨ .

(٢) فتح البارى ١/٢٠٣ ، وسير اعلام النبلاء ٢/٤٣٠ .

(٣) فتح البارى ١/٢٢٦ ، وسير اعلام النبلاء ٢/٤٣٢ ، وحلية الأولياء ١/٣٨١ ، والاصابة ٧/٢٠٤ .

(٤) المحدث الفاصل ص ١٣٤ ، وطبقات ابن سعد ٣/١١٨ رقم ٢ ، وفتح البارى ١/٢٢٥ وسنن الترمذى ٢/٢٢٤ ، وسير اعلام النبلاء ٢/٤٣٥ .

(٥) سير اعلام النبلاء ٢/٤٥١ .

وكان ابن عمر يكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين (1) .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها حين أرسل اليها ابن عمر يستفهم عن حديث الجنازة : صدق أبو هريرة (2) .

وقال طلحة بن عبيد الله : لا نشك أنه سمع ما لم نسمع ، وفى رواية : قد سمعنا كما سمع ، ولكنه حفظ ونسينا (3) .

ونكتفى بهذا فالاستقصاء فيه يطول ، وهو شاهد على ما أورده الشيخ محمد رشيد فى الاجابة عن استكثار حديث أبى هريرة رضى الله عنه وسببه ، كما يدل أيضا على وثاقته وعلمه ، واعتراف جلة الصحابة بذلك له رضى الله عنه ، وبهذا نرى أن ما أتى به الشيخ محمد رشيد من دليل على حفظ واشتغال أبى هريرة بالرواية ليحفظ على المسلمين حديث النبى صلى الله عليه وسلم .. الخ كاف فى هدم زعم الطاعن فى استكثار أبى هريرة رضى الله عنه (4) .

وأجاب الشيخ محمد رشيد عن استنكار بعض حديث أبى هريرة رضى الله عنه فقال : نقل الطاعن عن أبى رزين ، أن أبا هريرة قال على مسمع منه : ألا انكم تحدثون أنى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعزى هذا إلى (جزء ٤/٤٤٠) ولم يذكر اسم

---

(1) طبقات ابن سعد ٦٣/٤ قسم ٢ ، وسير اعلام ٤٣٥/٢ ، والبداية والنهاية ١٠٧/٨ وابن عساكر ٤٩٣/٤٧ .

(2) طبقات ابن سعد ٥٧/٤ قسم ٢ والاصابة ٢٠٥/٧ وحديث الجنازة نحو من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط الحديث .

(3) سير اعلام النبلاء ٤٣٦/٢ .

(4) وانظر مجلة المنار ج ١٩ ص ٣٧ .

الكتاب ، وظاهر عزوه الشاهد الذى قبله إلى البخارى ، أنه يعنى أن هذا فى البخارى أيضا . وإنما نعرفه من رواية مسلم (١) .

وذكر فى الشاهد الثالث أنه قال : لو حدثتكم بما سمعت لرميتمونى بالقشع ، وصوابه : لو حدثتكم بكل ما سمعت (٢) .

وذكر فى الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للأزرقى أنه قال حين رأى الكعبة محرقة ، بعد انصراف جيش الحصين بن نمير : يا أيها النـــاس لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعـــد نبيكم ومحرقوا بيت ربكم ، لقلتم ما من أحد أكذب من أبى هريرة يعنى لو حدثهم قبل احراق بنى أمية للكعبة بذلك لكذبوه ، لأن الخبر مما يستبعد تصديقه فعلم من قوله : انه كان يعلم بهذا الحديث قبـــل

---

(١) صحيح مسلم ، ونص الحديث : حدثنا ابو بكر بن ابى شـــيبة وابو كريب (واللفظ لأبى كريب) قالا : حدثنا ابن ادريس ، عن الاعمش عن ابى رزين قال : خرج الينا ابو هريرة ، فضرب بيده على جبهته فقال : الا انكم تحدثون انى أكذب على رسول الله صلى الله علية وسلم لتهتدوا وأضل الا وانى اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا أنقطع شسع أحدكم فلا يمشى فى الآخرى حتى يصلحها ٣/ ١٦٦٠ رقم ٢٠٩٨ وشسع النعل : أحد سيوره .

(٢) فى طبقات ابن سعد لو انبـــاكم بكل ما اعلم ، لرمانى النـــاس باخرق . وقالوا : ابو هريرة مجنون ، وفى رواية لو حدثتكم بكل ما فى جوفى ، ارميتمونى بالبعر ، قال الحسن راوى الحديث عن ابى هريرة : صدق والله . لو اخبنا ان بيت الله يهدم ، أو يحره ما صـــدقه الناس ، وفى اخرى : لو حدثتكم بكل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لرميتمونى بالعشم — يعنى بالجـــلود — ثم ما نظرتمونى ، ٤/ ١٧ قســـم ٢ .

وقوعه ، لأنه سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم • ودليل هـذا أنه قرنه بخبر مثله فى بعده عن الوقوع ، ولم يكن قد وقع ، وهو أنهم سيقتلون ابن نبيهم يعنى الحسين عليه السلام ، وقد وقع ذلك بعد وفاته رضى الله عنه •

كان أبو هريرة يعلم أن كثيرا من الناس ، لا يصدقون الروايات التى تستبعد عقولهم وقوعها ، وان كانت جائزة فى نفسها ، فيتوقع أن يكذبوه إذا هو حدث بها ، ويظنون أنه عزاها إلى الرسول لأجل قبولها، وكان يعتقد أن بنى أمية يقتلونه إذا هو حدث بكل ما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم عن أحداثهم ومفاسدهم ، وهذا هو مراده بقوله الذى رواه عنه البخارى فى صحيحه ، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم يشير إلى عنقه (1) •

أقول : بهذا أجاب الشيخ محمد رشيد على قول الطاعن ، ونصوصه التى حرفها فى اللفظ وحرفها فى الفهم ليصل الى مرادة فى الطعن على أبى هريرة رضى الله عنه مما سبق ونقلناه عن الطاعن وبينا فيه ذلـــك •

ولقد كان أبو هريرة الله عنه يصدر عن دينه الذى تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما يأخذ ويدع ، فهو الذى روى عنـــه صلى الله عليه والسلم « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » (2)•

---

(1) مجلة المنار جـ ١٩ ص ٤٠٠ وحديث الوعاءين فى فتح البـــارى ٢٢٧/١ •

(2) مقدمة صحيح مسلم ١٠/١ •

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » (1) .

والحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يكون بقدر ما يقع موقع الفهم من الناس ، ولا يفتنهم بما يرى أنه لا تبلغه عقولهم فيردون الحديث فيقعون فى الاثم ، روى الترمذى بسنده عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من حدث عنى حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » قال أبو عيسى : هـذا حديث حسـن صحيح (2) .

وروى البخارى فى صحيحه فى باب : من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا فى أشد منه . بسنده عن الأسود قال : قال لى ابن الزبير كانت عائشة تسر اليك كثيرا ، فما حدثتك فى الكعبة ؟ فقلت : قالت لى : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم — قال ابن الزبير بكفر لنقضـت الكعبـة فجعلت لهـا بابـين : بـابا يدخـل النـاس ، وبابا يخرجون « ففعله ابن الزبير » (3) .

وروى أيضا فى باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا وقال على : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسـوله » (4) .

فحين يبث أبو هريرة رضى الله عنه أحاديث الاحكام والحـكمة وغيرهما ، ويكتم أحاديث الفتن ، وما أخبره به النبى صلى الله عليه

---

(1) نفســه ١/١١ .
(2) عارضة الاحوذى ١٢٩/١٠ ، والمعجم المفهرس ١/٤٣٣ .
(3) فتح البـارى ١/٢٣٥ .
(4) نفسه ١/٢٣٦ وانظر المعجم المفهرس ١/٤٣٤ ـ

وسلم من أمور تقع فى المستقبل وهو ما كان يكنى عنه أبو هريرة ولا يفصح كقوله (أعوذ بالله من رأس الستين ، وامارة الصبيان) يشير بذلك الى خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبى هريرة فمات قبلها بسنة »(1) .

ولا يعنينا بعد ذلك أن تتخذ هذه شبهة يسأل عنها أبو هريرة رضى الله عنه ، مادام منهجه يتفق مع ما تلقاه ، وأسر به إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم ورواية الأزرقى فى أخبار مكة فيها ما يؤيد ذلك حين تحدرت دموعه رضى الله عنه وهو يرى احتراق الكعبة ، وهو يقول :

لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ، ومحرقوا بيت ربكم — لقلتم : ما من أحد أكذب من أبى هريرة . فقد قرن باحراق الكعبة الذى وقع الاخبار عن أمر لم يقع — وهو قوله : وقاتلوا ابن نبيكم ، مما دل على أنه كان يعلم بالأمرين معا ولم يحدث بهما خشية الفتنة .

وإنما يعنينا أن نكشف الشبهة لمن يريد أن يفهم ، لأن هذا واجب فرضه الله ، ولا أظن أن مثيرى هذه الشبهة من المبشرين وأمثالهم ، ممن يريدون أن يفهموا ، لأنهم يعتقدون أنهم وصلوا إلى درجة من الفهم تمكنهم من أن يفهموا غيرهم .

وبعد هذا يستمر الشيخ محمد رشيد فى توضيح بعض الشبهات التى أثارها الطاعن ويرد عليها فيقول :

بقى من شواهد الطاعن أربعة :

---

(1) انظر فتح البارى ١/٢٢٧ .

أحدها : قول عائشة رضى الله عنها : انك لتحدث بشىء ما سمعته ، وقد عزا الحافظ هذا إلى تخريج ابن سعد ، وكتابه ليس فى أيدينـــا ، فلا ندرى أذكر سببه بعينه أم لا ؟ والظاهر من جواب أبى هريرة أنهـــا أنكرت حديثا رواه ، لأنها لم تسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا وقع لها فى أحاديث غير واحد من الصـــحابة لهـــذه العلة ، كارتيابها فى حديث المعراج ، وفى حديث الرؤية فى الآخرة ، وفى حديث عبد الله بن عمرو فى موت العلماء ، واتخاذ الجهال ، الذين يضـــلون ويضلون ، ففى صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو ، فأخبر به خالته عائشـــة ، فأعظمت ذلك وأنكرته ، وقالت له : أحدثك أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول هـــذا ؟ على أنها هى التى أرسلته إليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لى عائشة : يا ابن اختى ، بلغنى أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج فالقه فسائله فانه قد حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ، ومع ما تعلم ويعلم كل الصحابة من ورع عبـــد الله وعدالته قد ارتابت فى هذا الحديث ، وبقيت مرتابة فيه مدة حول كامل ، قال عروة : فلما كان قابل : قالت له : ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكر لك فى العلم ، قال : فلقيته فساءلته فذكره لى نحو ما حدثنى به مرته الأولى • فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص • والجواب المشهور فى هذه المسألة : أن من حفظ حجة على من لم يحفظ (١) •

(١) مجلة المنار ج ١٩ ص ٤٢ . وحـــديث عبد الله بن عمرو وفى صحيح مسلم ٢٠٥٩/٤ رقم ٢٦٧٣ •

هذا جواب الشيخ ، وما ضمنه من أمثلة لانكار عائشة رضى الله عنها لبعض أحاديث الصحابة غير أبى هريرة ، وكتاب ابن سعد الذى لم يتوفر له ساعة البحث فيه القصة التى يشير إليها الطاعن رواها ابن سعد عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى عن جده قال : (قالت عائشة لأبى هريرة : انك لتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا ما سمعته منـــه ، فقال أبو هريرة : يا أمة ، طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلنى عنها شىء) [1] .

وروى الذهبى من طريق اسحاق بن سعيد عن أبيه قال (دخــل أبو هريرة على عائشة ، فقالت له : أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أى والله يا أماه : ما كانت تشغلنى عنه المرآة ، ولا المكحلة ، ولا المدهن . قالت : لعله .

ورواه بشر بن الوليد عن اسحاق ، وفيه : ولكنى أرى ذلك شغلك عما استكثرت من حديثى . قالت : لعله) [2] .

وأخرج ابن عساكر وابن كثير نحو هذا [3] .

وقد جرت مناقشات فى بعض الأحاديث بين عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما . وقد أجاب الزركشى عن ذلك ، كحديث ، إنما الطيرة

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢/١١٩ واسناده صحيح وانظر المحدث الفاصل ص ١٣٣ ب .

(٢) سير اعلام النبلاء ٢/٤٣٥ .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤٩٧/٤٧ والبداية والنهاية ٢٠٨/٨ .

فى المرأة (١) فتبين أنه لم يتفرد به ، وحديث (من غسل ميتا اغتسل ومن حمله توضأ) (٢) .

واقتصار الطاعن على رواية ابن سعد التى لم تفد اقرار عائشة رضى الله عنها لأبى هريرة رضى الله عنه كرواية الذهبى ، ففيها قولها : « لعله » يدل على مدى حرصه على الاتهام ، دون ما يرد هذا الاتهام وليس هذا من شأن البحث العلمى .

فالباحث إذا أراد أن يكون منهجيا ، فعليه أن يوضح الروايات ثم يبين رأيه بما يرجح ما يريد الوصول إليه ، دون أخفاء بعض النصوص ، وأظهار بعضها إذا كان يؤيد مدعاه .

أن أبا هريرة رضى الله عنه بين فى جوابه لعائشة رضى الله عنها ما يشغل المرأة فى بيتها مما هو شأن المرأة دائما ، الأمر الذى فوت على عائشة الاستماع إلى بعض ما كان يقوله النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اعترفت لأبى هريرة بجوابه ، ولو رأت فيه ما يخالف الحق لما سكتت لما عرف عنها من شجاعة أدبية ، بل وعملية جعلتها تخرج إلى على رضى الله عنه . فهل يظن أنها تسكت على أبى هريرة فى مثل هذا ؟

---

(١) انظر أصله عند مسلم ١٧٤٧/٤ وهو مروى عن عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة برقم ٢٢٢٥ .

(٢) انظر الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٢٥ ــ ١٢٩ والحديث فى سنن ابى داود ١٧٩/١ قال ابو داود : هذا منسوخ ، وسمعت احمد ابن حنبل ، وسئل عن السل من غسيل الميت ــ فقال : يجزيه الوضوء. وفى الباب عند ابى داود عن عائشة وهو ضعيف فيه مصعب بن شيبه وهو لين الحديث أ.هـ ، وانظر تقريب التهذيب ٢٥٠/٢ .

قال الشيخ محمد رشيد : حديث عبد الله بن عمر فى قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذى ، وهو فى صحيح مسلم وسنن النسائى وابن ماجه أيضا (١) وقد قال العلماء : أن مراد ابن عمر بقوله : « إن لأبى هريرة زرعا » هو أن أبا هريرة كان محتاجا إلى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزرع لأن له زرعا ، فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به • ويؤيد هذا ، ويفند زعم الطاعن ، أنه يريد التعريض ـ ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبى هريرة على نفسه (٢) •

أقول : هذا جواب الشيخ محمد رشيد هنا • وتفضيل ابن عمر لأبى هريرة على نفسه ثابت ولله الحمد ، أخرج البغوى بسند جيد عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنهما : أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه (٣) •

ولم يكن ابن عمر رضى الله عنه يقول هذا ، إلقاء للقول على عواهنه ، فانه كان يخبر ويدقق ويمحص ويسأل : ففى الصحيح عن نافع قال : قيل لابن عمر : حدث أبو هريرة أن من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط الحديث فقال : أكثر علينا أبو هريرة ، فسأل عائشة فصدقته • فقال : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة (٤) •

---

(١) نص الحديث عند أبى داود « من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد أو زرع ، انتقص من اجره كل يوم قيراط » وتجد مواضعه فى المعجم المفهرس للبخارى فى الذبائح والحرث والمساقاة ، ولأبى داود ٢/٩٧ وللترمذى والنسائى فى البيوع ، ولأحمد بن حنبل ج ٣ فى عدة مواضع منها : ٣/٤٧٢

(٢) مجلة المنار ج ١٩ ص ٤٢ ـ ٤٣ •

(٣) الاصابة ٧/٢٠٥ .

(٤) نفسه ٧/٢٠٥ .

لقد رباهم النبى صلى الله عليه وسلم على حرية وجرأة فى الحق ، ليس لها نظير ، وذكر هنا قول أسماء بنت عميس (1) رضى الله عنها لعمر رضى الله عنه حين قال لها : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله منكم : فغضبت وقالت : كذبت يا عمر ، كلا والله • كنتم مع رسول الله ، يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، ••• وأيم الله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد بلغت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة (2) هجرتان •

بهذا كانوا يجهرون فيما هو أهون من الكذب أو الخطأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، افتراهم يسكتون ، وقد وقع خطأ أى خطأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اللهم لا •

قال الشيخ محمد رشيد : ما نقله (الطاعن) عن الاصابة ، من أن مروان سمع من أبى هريرة حديثا لم يعجبه الخ ما تقدم • وقد حرف الطاعن الرواية وهذا نصها •• وروينـا فى فوائد المزكى ، تخريج الدارقطنى من طريق عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه « إذا صلى أحـدكم ركعتى الفجر فليضطجع على يمينـه » فقال مـروان : أما يكفى أحدنا ممشـاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينـه ؟ قال : لا • فبلغ ابن عمر

(1) كانت ممن هاجرن الى الحبشة وعادت الى المدينة حين خيبر . وانظر الحديث فى صحيح مسلم ١٩٤٦/٤ برقم ٢٥٠٣ •

(2) أى من عادوا من الحبشة معها فى سفينة وهى منهم ، والحديث فى صحيح مسلم كاملا برقم ٢٥٠٣ •

فقال : أكثر أبو هريرة . فقيل لابن عمر : هل تنكر شيئا مما يقول ؟ قال : لا . ولكنه اجترأ وجبنا » (١) .

قال الشيخ محمد رشيد : وعبارة المبشر الطاعن توهم أن ما أورده هو نص ما في الاصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » (٢) ايهام القارىء أن موضوع الحديث قبيح أو منكر أدبا ثم انه فسر الجرأة التي وصف بها ابن عمر أبا هريرة بالتهجم والتحدي . وهذا من أكبر الجرأة على القول بغير علم ، فالتحدي معناه المباراة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ونفى معنى صحيحا ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن (٣) . والمراد به : انه كان جريئا على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله ، فلا يكادون يسألونه إلا لضرورة ، فهذا معنى قول ابن عمر : اجترأ وجبنا ، وقد صرح بأنه لا ينكر شيئا مما يقول أبو هريرة ، ولكن القسيس المبشر يريد أن يقنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه وكذبه ، وقد فسر ابن الأثير « اجترأ وجبنا » بقوله : يريد أنه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجبنا نحن عنه ، فكثر حديثه وقل حديثنا » .

هذا وأن هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده ، فان رواية عبد الواحد بن زياد ليس بثقة فيما يرويه عن الاعمش عن أبي صالح

---

(١) الاصابة ٧/٢٠٥ وقد احتصر الطاعن فقال : وروى ابو هريرة حديثا لم يعجب مروان . فسأل عبد الله بن عمر فقال ... الخ الرواية .

(٢) الجملة التي بين قوسين من كلام الطاعن المبشر لا من الحديث .

(٣) فوصف ابن عمر نفسه بالجبن ليس صحيحا بالمعنى الذي يريده الطاعن كما يتضح مما يأتي .

كما صرح به الذهبى فى الميزان وذكر هذا الحديث من مناكيره عنه »(١).

أقول : أما ما نقله الطاعن عن الاصابة « كان ابن عمر إذا سمع أبا هريرة يتكلم قال : انا نعرف ما تقول ، ولكنا نجبن وتجترى (٢) . وعلق عليه بقوله : ولعل فى هذا ما يميط لنا اللثام عن مصادر الأحاديث، فانه يدلنـــا على عظم الاستسلام الى رواة الأحاديث غير المدققين ، والأرجح أن عبد الله لم يكن يجسر على مقلومة أبى هريرة وإنما جاهر برأيه بلهجة الازدراء » (٣) .

فقد علق عليه الشيخ محمد رشيد بقوله : « ليهنأ المسلمون بهـــذا الطـــاعن بشريعتهم بمثـــل هـــذا الخبط والخلط والتحريف والدعاوى المضحكة ، ومن ذا الذى لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبـــد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشى ، ما كان يجسر على تخطئة أبى هريرة الدوسى الضعيف ؟ (٤) .

أقول : أن هذا الطاعن المبشر ، لا يعلم شيئًا مما كان عليه الصحابة والمسلمون ، من جرأة وحرية لم تصل إليها الإنســـانية فيما سبق من عمرها أو بقى .

ولو أنه درس ، وفهم لما وقع فى مثل هذا الهزر الذى أتى به ، فانهم كانوا يجهرون برأيهم ، ويعلنونه فى وجه الخلفاء والأمراء بل

---

(١) مجلة المنار جـ ١٩ ص ٣٣ ، وانظر ايضا فى عبد الواحد تقريب التهذيب ، قال الحافظ فيه عبد الواحد بن زياد العبدى ، ثقة ، فى حديثه عن الأعمش وحده مقال ، ١/٥٢٦ .

(٢) الاصـــابة ٧/٢٠٥ .

(٣) مجلة الشرق والغرب عدد أول ابريل سنة ١٩١٦ .

(٤) مجلة المنار جـ ١٩ ص ٤٤ .

كان الأعرابى يقف أمام عمر رضى الله عنـــه ويقول : لو رأينـــا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، وكانوا يقبلون منهم هذا بل ويحمدون الله عليه أن هيأ لهم من يقومهم إذا أخطأوا •

وسبق ذكر موقف أسماء بنت عميس أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وما اجابته به • بل وما قامت به أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم من إنكار على عمر • وما اجاب به النبى صلى الله عليـــه وسلم من إنصاف للحق وتأييد للصواب •

ولم تكن أسماء ترى أن عمر كذب بل أخطأ ، وهو الصـــواب فى التعبير عن ذلك ، ولكنها عبرت عن الخطأ بالكذب ، لأن لصـــاحب الحق مقالا كما يقولون •

قال الطاعن : جاء فى الاصابة لابن حجر ، أن مروان اســـتاء من كلمة قالها أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية ، وأردف ذلك بقوله : إنما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ، فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت حتى مات ، وعلق الطاعن على ذلك بقوله : فالحادثة المذكورة تبين أن معاصرى أبى هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جدا ، لا تطل اكثاره من رواية الأحاديث التى كان يستشهد بها كلما شاء [1] •

وأجاب الشيخ محمد رشيد فاثبت الرواية بنصها لتوضيح ما حرفه الطاعن وحاول اخفاءه •

---

(1) مجلة الشرق والغرب عدد اول ابريل سنة ١٩١٦ •

والنص أورده ابن حجر فى الاصابة قال : أخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح ، سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا أن يدفنوا الحسن عند جده تدخل فيما لا يعنيك ، وكان الأمير يومئذ غيره ، ولكنك تريد رضا الغائب • فغضب مروان وقال : أن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة الحديث ، وإنما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى مات وأدور معه فى بيوت نسائه ، وأخدمه ، وأغزو معه ، وأحج فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقدوا له سبقنى قوم بصحبته ، فكانوا يعرفون لزومى له فيسألونى عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلى ، وطلحة والزبير ، ولا والله لا يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه : قال • فوالله مازال مروان بعد ذلك كافا عنه[1].

قال الشيخ محمد رشيد : فخلاصة هذه الرواية ، أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبى هريرة عليه أمرا كان لأهل بيته (بنى أمية) فيه سياسة ، والدولة دولتهم • فلم يجد كلمة يشفى بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب استكثاره اذعن له ، ولم يعد إلى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعمد هذا القسيس المبشر إلى هذه الرواية فيحرفها ، ليستدل بها على كذب أبى هريرة أو تكذيب الناس له ؟ وما هى إلا حكاية لشبهة الاكثار التى فندها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها •

---

(١) الاصابة ٢٠٥/٧ .

وجواب أبى هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى فى عهد معاوية أيضا ، فانه ذكر مروان نفى النبى صلى الله عليه وسلم لوالده الحكم (۲) •

أقول : هذا جواب الشيخ محمد رشيد هنـا على كلام الطـاعن المحرف فقد ساق النص مختصرا له ما يريد اخفاءه فقال (استاء من كلمة قالها أبو هريرة) وهى كلمة يقولها فى وجه من ظلم الحسـين واستباح دمه لا يأبه بما قد تجر وراءها ، لأنه يدفع عن دينه وعقيدته التى لقى الله عليها — تدخل فيما لا يعنيك ، ولكنك تريد رضا الغائب — تلك الكلمة التى أراد الطاعن أن يسترها ، لأنها تعبر عن شجاعة فى ابداء الرأى لا يعرفها الطاعن ، ولا يستطيع تعقلها •

ثم يسوق الاتهام على الأكثار ، ويعلق بقصر مدة صحبة أبى هريرة رضى الله عنه ، ولا يكمل ما أجاب به أبو هريرة مفندا هذا الزعم • ومبينا مكانته فى حفظ الحديث وروايته •

وهذه لهجة يعرفها من ثبت على الحق ووثق به ، ويجهلها من حاد عن الحق وتنكب طريقه ، لأن من حاد عن الحق ، يستولى عليه الشك ويغلبه الضعف لما يعلم من سوء عمله ، وسواد سريرته •

بل لقد زاد أبو هريرة رضى الله عنه فى دفاعه ، فهاجم مروان بالحق لا بالباطل ، وذكره بما كان من اخراج النبى صلى الله عليـه وسلم لأبيه من المدينة أن يساكنه بها •

وتلك وجهة من يتمكن من صلابة موقفه ، وضـآلة هؤلاء الذين يستكثرون حديثه لأنهم لا يعتمدون فى ذلك على دليل•

---

(۱) انظر مجلة المنار ج ۱۹ ص ٤٥ •

أما ما أشار إليه الطاعن من قلة مدة صحبته التى فندها أبو هريرة رضى الله عنه ، فى رده ، فالمحقق أن غزوة خيبر كانت فى محرم من السنة السابعة أى فى أول تلك السنة ، واستمرت الغزوة نحو ثلاثين يوما ، وأن أبا هريرة قدم المدينة على أشهر الروايات أيام فتح خيبر ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبها ، أى فى العشر الأول من صفر ، وأن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت يوم الاثنين (١٣ من ربيع أول سنة احـــدى عشرة للهجرة الموافق ٨ من يونيـــو سنة ٦٣٣ م) (١) .

إذا عرف ذلك تبين أن صحبة أبا هريرة رضى الله عنه بلغت أربع سنوات وثلاثة وثلاثين يوما . وإذا حذفنا من هذه المدة الزمن الذى أقامه أبو هريرة فى البحرين مع العلاء ابن الحضرمى سنة ثمان من الهجرة ، تبقى مدة الصحبة ثلاث ســـنوات كما صرح أبو هريرة رضى الله عنه بذلك (٢) .

وهذه المدة وأقل منها تكفى لتحصيل ما حصله أبو هريرة رضى الله عنه من الحديث — سيما إذا عرفنا دعاء النبى صلى الله عليه وســـلم له ، وما وقع له من بسط الرداء وضمه فما نسى شيئًا حدثه به صلى الله عليه وسلم (٣) .

قال الطاعن (٤) جاء فى مجموعة الرسائل للغزالى فى كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله : أقلد جميع الصحابة ، ولا أستجيز

---

(١) انظر نور اليقين للخضرى ٢٧٤ .
(٢) أبو هريرة رواية الإسلام ص ٢١٩ .
(٣) انظر الاصابة ٢٠٤/٧ .
(٤) تحت عنوان — شبهات اخرى فى ابى هريرة .

خلافهم برأيى إلا ثلاثة نفر ، أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب ... وأما أبو هريرة فكان يروى كلما سمع من غير أن يتأمل فى المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ .

« اقتبس كولد زيهر هذا القول فى كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن بدون اشارة إلى القيد المذكور ، فأبو حنيفة لم يرتب فى وثائق أبى هريرة ، ولكنه ارتاب فى قيمة أحاديثه باعتبارها أركانا للشريعة ».

« حلقة أبى حنيفة : على أن ارتياب أبى حنيفة وأتباعه فى قبــول كلام أبى هريرة كان مبنيا على ارتيابهم فى وثائقه ، فقد نقــل الدميرى فى كتاب الحيوان : أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الافتاء فى جامع بغــداد ، فأنكر الحنفيــون الاستشهاد بأبى هريرة ، لاشتباههم فى صدق روايتــه ، وكان الخليفــة هارون الرشــيد فى جــانب الفريق المرتاب » (1) .

وقد أجاب الشيخ محمد رشيد على الطاعن فبين ما فى كلامه من غلط وتحريف وايهام من وجوه :

منها : ان مجموعة الرسائل ليست للغزالى ، وإنما هى رسائل لكثير ممن قبله وبعده .

منها : أن كتاب المؤمل فى الرد إلى الأمر الأول ، ليس للغزالى كما توهمه عبارته .

ومنها : أن قوله : « أقلد جميع الصحابة » منقول من كتاب المؤمل عن أبى حنيفة ، وظاهر عبارة الطاعن أنه الغزالى لأنه هو الذى سبق

---

(1) مجلة الشرق والغرب عدد اول أبريل سنة ١٩١٦ م .

ذكره فى كلامه . ولهذا يتعجب من يرى لاحق كلامه ، وذكره فيه لأبى حنيفــة .

ومنها : أنه أورد شبهة واحدة ، وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين :

أحدهما : ادعاؤه أن أبا حنيفة لا يحتج بالأحاديث التى يرويهــا أبو هريرة .

ثانيهما : أن أتباعه كذلك لا يحتجون بها [1] .

ومنها : أن الأصل (يروى كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتب الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له المام بالعربية .

وبعد بيان هذا التحريف ، وتلك الأخطاء أخذ فى الاجابة فقال : أما الجواب عن هذه الشبهة ، فهى أن أبا حنيفة لم يطعن فى رواية أبى هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمه بالكذب .

وهذه العبارة التى فسرها الطاعن بهواه ، لا بما تدل عليه فى عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع ، هو العمل برأى المقلد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب فى هذا .

فأبو حنيفة يقول فى هذه الرواية عنه ، انه يقدم رأى الصحــابى على رأيه أى رأيه الذى يستنبطه من الكتاب أو السنة بالقياس — إلا رأى هؤلاء الثلاثة ، وعلل ذلك بقوله : أما أنس فاختــلط فى آخر عمره ، وكان يفتى من عقله ، وأنا لا أقلد عقله وأما أبو هريرة فكان يروى كل ما سمع من غير أن يتأمل فى المعنى ، ومن غير أن يعرف الناســخ والمنسوخ ، فقد صرح بأنه كان يروى ما سمعه ، وهذا ينفى اتهامه بأنه

(1) مجلة المنار ج ١٩ ص ٤٦ .

يكذب وصرح بأنه ما كان يقصد من الرواية استنباط الأحكام منها بالتأمل في معاني الأحاديث وبالبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ، ليقدم الأول عند التعارض ، وحاصل ذلك أنه راو غير مستنبط ، فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح ، فإن أبا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث أولا روايته والاهتداء به بنفسه ، وثانيا نشر السنة ، وايصالها إلى الناس ليهتدوا بها بحسب اجتهادهم عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة الوداع ، إذ قال « ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أدعى له منه » [1].

وفي رواية « رب مبلغ أوعى من سامع » [2] .

والرواية الأخرى عن أبي حنيفة وهي الأشهر أنه قال : أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادلة » [3] الثلاثة ، ولا أستجيز خلافهم برأيي إلا ثلاثة نفر — وذكرهم — وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل لأنها أظهر في المراد الذي بيناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه [4].

---

(1) صحيح البخاري باب حجة الوداع ٨٣/٨ . صحيح مسلم في باب تغليه تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٣٠٦/٣ برقم ١٦٧٩ ، واحمد في المسند ٣٧/٥ (الحلبي) وابن ماجة في مقدمة سننه ٨٥/١ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٩/١ . والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث لوحة ٣١ — ١ ، والقاضي عياض في الالماع ص ١٥ .

(2) صحيح ابن حبان ٢٢٦/٢٢٥/١ ، وجامع الصحيح للترمذي ١٠٩/٢ قال حديث حسن ، واحمد في المسند ١٨٣/٥ ، ط الحلبي ، وابو داود في سننه ٤٣٨/٣ والدرامي في سننه ٧٥/١ ، وابن ماجة ٨٤/١ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٧/١ والسخاوي في فتح المغيث ص ٢١٧ والقاضي في الالماع ١٣ .

(3) ابراهيم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر . .

(4) انظر مجلة المنار ج ١٩ ص ٤٧ .

وخلص الشيخ محمد رشيد من جوابه بأن الحنفية امتلأت كتبهم بمرويات أبى هريرة رضى الله عنه مما يدل على أخذهم بحديثه ، والزعم بأنهم يردون حديثه اعتمادا على رواية محرفة نسبها إلى حياة الحيوان فذلك باطل لأن كتبهم تكذبه •

على أن مذهب السواد الأعظم من الفقهاء المجتهدين ، أن رأى الصحابة ليس حجة فى الشريعة ، سواء كانوا فقهاء مستنبطين أو رواة ناقلين ، وإنما الحجة فى الرواية إذا صحت •

أقول : أن هذا الكلام المتهافت والذى أجاب عليه الشيخ محمد رشيد يصلح للتشويش ، وتشويه الحقائق ، ولا يصلح أساسا للبحث والمعرفة التى يدعونها وهم أبعد الناس عنها ، ونحن أدرى بكتبنا وما فيها — وصاحب الدار أدرى بالذى فيه ، وأدرى كذلك بقيمة هذا الذى عندنا •

لقد وقع بين مروان بن الحكم صار مروان أمير المؤمنين بعد ذلك وبين أبى هريرة رضى الله عنه من الملاحاة حين دفن الحسن رضى الله عنه ما سبق بيانه ، ورد أبو هريرة على مروان ردا شديد ، حتى قال الرواة : أن مروان مازال يتحاشى أبا هريرة بعدها •

وامتحن مروان حفظ أبى هريرة واتقانه ، قال أبو الزعزعة — كاتب مروان — أرسل مروان إلى أبى هريرة ، فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى إذا كان فى رأس الحول ، أرسل إليه فسأله ، وأمرنى أن أنظر يعنى فيما كتبه قبل ذلك عن أبى هريرة لمطابقته والمقابلة عليه — فما غير حرفا عن حرف (١) •

(١) الاصابة ٢٠٢/٧ ، وانظر سير اعلام النبلاء ٤٣١/٢ والبداية والنهاية ١٠٦/٨ وما أثبتناه من الاصابة وفى بعض الروايات الأخرى فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا اخر .

فماذا لو أنه أثبت عنه بعض التغيير في هذا الاختيار ؟ أكان يسكت عليه مروان ، وقد وقع بينهما ما وقع ؟

هذا عن حفظ أبي هريرة رضي الله عنه وإتقانه ، مما يدمغ الطاعن ويدفع زعمه .

أما عن موقف أبي حنيفة رضي الله عنه من الحديث بعامة وأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه بخاصة فقد يحسن أن نقول في ذلك كلمة لما وقع من الشبه في ذلك .

روى الخطيب البغدادي نصوصا ترمي أبا حنيفة رحمه الله بالضعف في الحديث وقلة الرواية (١) .

وقد رد عليه في ذلك الأستاذ الكوثري ، ونقد هذه النصوص من جهة سندها وبين تحامل الخطيب في سردها وايرادها (٢) .

والذي يؤيده الدليل في ذلك : أن أبا حنيفة من الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب ولا يصح أن يطلق اسم الاجتهاد على رجل لم يحط بأحاديث الأحكام على الأقل ، فكيف يرمى رحمه الله بقلة الحديث ؟ وأحاديث الأحكام مئات بل آلاف .

وتشهد كتب الأحناف بأنها حافلة بالآلاف من الأدلة الحديثية حتى جمع في ذلك السيد مرتضى الزبيدي كتابا سماه « الدرر المنيفة في أدلة أبي حنيفة » .

---

(١) انظر هذه النصوص في تاريخ الخطيب ١٣/٤٤٤ وما بعدها .

(٢) انظر في ذلك كتاب « تأنيب الخطيب على ما ساق في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب » .

وهناك عدة مسانيد لأبى حنيفة جمعها قاضى القضاة أبو المؤيد محمد ابن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ فى كتاب ضخم سماه « جامع المسانيد » وهو كتاب مطبوع يقع فى ٨٠٠ صفحة (١) .

ويتضح لنا أخذ أبى حنيفة بالحديث مما أخرجه البيهقى فى المدخل عن ابن المبارك قال : سمعت أبا حنيفة يقول : إذا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم ، وإذا جاء من التابعين زاحمناهم (٢) .

قال ابن القيم « أصحاب أبى حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة ، أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى ، وعلى ذلك بنى مذهبه ، كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر فى السفر مع ضعفه على الرأى والقياس ، ومنع قطع السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم والحديث فيه ضعيف ، وجعل أكثر الحيض عشرة أيام والحديث فيه ضعيف ، وشرط فى اقامة الجمعة المصر والحديث فيه كذلك وترك القياس المحض فى مسائل الآبار ، لآثار فيها غير مرفوعة فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأى قوله وقول الإمام أحمد » (٣) .

وقد أكد الذهبى أن الحنفية قدموا خبر أبى هريرة رضى الله عنه على القياس وكذلك فعل الإمام مالك . وبين أن أبا حنيفة قد ترك القياس

---

(١) مفتاح الجنة ٣١ .

(٢) اعلام الموقعين ١/٧٧ ، والحديث الضعيف عند السلف هو ما يسميه المتأخرون حسنا .

لما هو دون حديث أبي هريرة في مسألة القهقهة وانهم لم يتركوا حديث المصراة (١) لخصوص أبي هريرة رضي الله عنه بل لدليل أقوى منه (٢).

قال في شرح مسلم الثبوت بعد الكلام على هذا الحديث « وان فخر الإسلام ومن وافقه من الحنفية يذهب الى تقديم القياس على الحديث إذا خالف الحديث القياس من كل وجه ، فليس الاحناف هم الذين يقدمون القياس على الحديث بل احدهم — وهو فخر الإسـلام ومن وافقه منهم — قال في شرح مسلم الثبوت : أن أبا هريرة فقيـه مجتهد لا شك في فقاهته ، فانه كان يفتي زمن النبي صلى الله عليـه وسلم ، وبعده ، وكان هو يعارض قول ابن عباس وفتواه ، كما روى في الخبر الصحيح انه خالف ابن عباس في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ، حيث حكم ابن عباس بأبعد الاجلين ، وحكم هو برضع الحمل، وكان سلمان يستفتي منه فهذا — أي حديث المصراة — ليس من الباب في شيء (٣) .

وقد أخذ كل الفقهاء بحديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها) (٤) .

---

(١) المصراة : هي البقرة او الشاة او الناقة ، يجمع اللبن في ضرعها فلا تحلب يوما او اكثر ليخدع المشتري بكثرة لبنها وحديث أبي هريرة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تصروا الأبل ، والغنم من ابتاعها (يعني اشتراها) بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد ان يحلبهـا فان رضيها أمسكها وان سخطها ردها وصاعا من التمر .

(٢) سير اعلام النبلاء ٤٤٤/٢ ـ ٤٤٥ .

(٣) مسلم الثبوت ١٤٥/٢ — ١٤٦ .

(٤) سير اعلام النبلاء ٤٤٥/٢ .

ومناقشة ابن عمر لأبى هريرة رضى الله عنه لبعض أحاديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الجنازة واتخاذ كلب الزرع ، هو من باب طلب الاحتياط فى الرواية عنه صلى الله عليه وسلم كما كان من شأن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى ذلك .

بل ان ابن عمر عقب على حديث أبى هريرة فى الجنازة بعد تصديق عائشة له بقوله : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة (1) .

وقول ابن عمر « ان لأبى هريرة زرعا » لم يرد به اتهامه وإنما أراد أن أبا هريرة حفظ ذلك ، لأنه كان صاحب زرع وصاحب الحاجة أحفظ لها من غيره (2) .

بل أن ابن عمر صار يروى الحديث بعد ذلك بالزيادة التى رواها فيه أبو هريرة روى الإمام أحمد عن أبى الحكم البجلى عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اتخذ كلبا غير كلب زرع أو ضرع أو صيد ، نقص من عمله كل يوم قيراط ، فقلت لابن عمر : ان كان فى دار وأنا له كاره ؟ قال : هو على رب الدار الذى يملكها » (3) .

وعلى تشدد عمر رضى الله عنه فى الرواية ، وإقلال الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئلا يؤدى ذلك إلى الخطأ ، اباح لأبى هريرة ذلك ، بل أمره بالحديث بعد أن تأكد له حفظه واتقانه. قال أبو هريرة رضى الله عنه : بلغ عمر حديثى ، فأرسل إلى فقال :

---

(1) الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ص ١١٧ وانظر طبقات ابن سعد ٤ ٢/٥٧ ومسند احمد رقم ٧١٨٨ .

(2) ابن عساكر ص ٤٩١ ، ٤٩٢ جـ ٤٧ .

(3) مسند أحمد ٢٩/٧ رقم ٤٨١٣ باسناد صحيح .

كنت معنا يوم كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في بيت فلان ؟ قال : قلت نعم ، وقد علمت لم تسألني ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال يومئذ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذا فاذهب فحدث (١) ، وفي رواية قال له عمر : حدث الآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما شئت ، وفي رواية (فاذهب فحدث) (٢) .

قال الطاعن : هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس أساس الشريعة ، ولكن ما هي قضيتنا ؟ ان السؤال مهم جدا ، ويطلب الجواب عليه من الثلاثمائة مليون سني الموجودين في العالم (٣) .

واجاب الشيخ محمد رشيد فقال : هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى المام بشريعتهم ، وتاريخهم من النصارى وغيرهم .

ان أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة ولا أركانها ولا أصولها ولا فروعها وإنما رويا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام ، الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الأسس والأصول (٤) .

أقول : بهذا يختتم الطاعن مقاله في السنة وأبي هريرة رضي الله عنه وبهذا يختتم أيضا الشيخ محمد رشيد اجابته ودفاعه عن السنة وعن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممثلة في شخص أبي

---

(١) البداية والنهاية ١٠٧/٨ وسير اعلام النبلاء ٤٣٤/٢ .
(٢) ابن عساكر ص ٤٧/٤٨٧ .
(٣) مجلة الشرق والغرب عدد اول ابريل سنة ١٩١٦ .
(٤) مجلة المنار ج ١٩ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

هريرة رضى الله عنه • وقد أتى الطاعن بأشد فرية يمكن أن يفتريها هنا عاقل يؤمن بقواعد البحث ، ويحترم نتائج العلم •

ولو كان يؤمن بقواعد البحث ونتائج العلم ، لنظر فيما أتى به من طعن تبين تحريفه وزيفه ، وتبين سوء فهمه كما سبق أن بينه الشيخ محمد رشيد ، وعقبنا عليه في موضعه •

وهذا الطعن الأخير يكشف عن أنه يكتب للكتابة ، لا للبحث والنقد، وإلا لما ساغ له أن يقول : أن ابن عباس وأبا هريرة وضعا أساس الشريعة ، ثم لما ساغ له أيضا أن يتساءل عن قيمة هذه الشريعة •

ونقول : أن ابن عباس وابا هريرة لم يفعلا ذلك ، لأن هذه الشريعة من وحي الله فى كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم •

وقد ثبت اعجاز هذا الكتاب فلا يستطيع عاقل انكار اعجازه ، فليس فى مقدور بشر الاتيان بمثله أو بعشر سور مثله أو بآية منه وهو باق محفوظ فى الصدور وفى السطور للتحدى واسكات الجاهل المعاند •

ولو كانت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم معجزة حسية كعصا موسى وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ، لجاز لمعاند أن ينكر ذلك، ولانقطعت الحجة فى اقناعه ، بل انه وقع فعلا الانكار بين النصارى لهذه المعجزات بل إنهم نسبوها للشيطان (١) •

(١) انظر الوحى المحمدى ص ٧٣ ، ٧٥ فقد قالوا : أن الشاب والشابة الذين احياهما المسيح لم يكونا ماتا بالفعل ، بل لقد قال المسيح فى الفتاة التى احياها « لم تمت ولكنها نائمة » .

ـ أما معجزة القرآن فأنها باقية خالدة أبد الدهر ، لأن حفظه من دلائل اعجازه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » •

والسنة النبوية بيان لهذا الكتاب فهى ملحقة به فى الاعجاز ، ويكفى ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه من أخبار ببعض الغيبيات التى وقعت من هدم الكعبة ومقتل الحسين رضى الله عنه (١) •

وليس المجال للزيادة (٢) وإنما نختم المبحث بكلمة يسيرة لهذا الطاعن من الفصل ١٦ من انجيل متى نقلها الشيخ محمد رشيد فى خاتمة بحثه وفيها : ماذا يقول الطاعن هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل أن النبى صلى الله عليه وسلم طرد أبا هريرة كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطانا ، وهو كبير تلاميذه ورسله • ففى هذا الفصل من انجيل متى « ٢٢ فأخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلا : حاشاك يارب فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (٣) •

أين هذا مما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه • انه مر ذات يوم بسوق المدينة (وقد هاله انشغال الناس فى الدنيا) فوقف عليها فقال : يا أهل المدينة ما أعجزكم !!

---

(١) سبق الالمام بهذا فى فصل دفاع عن أبى هريرة هذا .

(٢) فى الوحى المحمدى زيادة بيان وبرهان على ان هذه الشريعة من عند الله ص ٦٥ ــ ٧٥ •

(٣) انجيل متى فصل ١٦ ، وانظره فى مجلة المنار ج ١٩ ص ١٩ •

قالوا : وماذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم هنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد فخرجوا سراعا ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم : مالكم ؟ قالوا : يا أبا هريرة فقد أتينـا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شـيئا يقسم ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحدا ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوما يصلون ، وقوما يقرأون القـرآن ، وقوما يتذاكرون الحـلال والحـرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم ، فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

(١) مجمع الزوائد ١٢٣/١ ، رواه الطبراني في معجمه الأوسط وإسناده حسـن .

الباب الثالث

محمد رشيد رضا والمعاصرون

الباب الثالث

الفصل الأول

مع الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

أولا : مناقشة حول حديث : لولا محمد ما خلقتك

كتب طالب من نجد بالأزهر كتابا تناول فيه الشيخ يوسف الدجوى بالنقد فى بعض المسائل الاعتقادية والفقهية وقلة اطلاعه على كتب السنة ، وعدم وقوفه على الصحيح وغيره •

وكان الأستاذ الدجوى يحرر باب الافتاء فى مجلة نور الإسلام التى تصدر عن مشيخة الأزهر وقتذاك •

ودافع عن نفسه فى هذه المجلة ، وتناول فى الرد على الطالب النجدى حديث رواه الحاكم فى المستدرك فى كتاب التاريخ — باب استغفار آدم عليه السلام بحق محمد صلى الله عليه وسلم قال : حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل ثنا أبو الحسن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الحنظلى ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى ثنا اسماعيل بن مسلمة انبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى • فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ • قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ،

فعلمت انك لم تضف الى اسمك إلا احب الخلق اليك • فقال الله : صدقت يا آدم ، انه لاحب الخلق الى ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك • قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى هذا الكتاب (١) •

وسأل أحد الطلاب الشيخ محمد رشيد عن رأيه فى رد الشيخ الدجوى الذى تضمن تصحيح هذا الحديث فأجاب الشيخ محمد رشيد على ذلك ونوضح هذا فيما يلى :

يرى الأستاذ الدجوى أن الحاكم صحح هذا الحديث وأن الحافظ الذهبى أقره على تصحيحه ، وأن للحافظ الذهبى كتابا جمع فيه الأحاديث الموضوعة التى فى المستدرك — وهو غير متداول — ولم يذكر هذا الحديث فيها ، فعدم ذكره له دليل على أنه رجع عن عده من الموضوعات الأمر الذى صرح به فى كتابه « تلخيص المستدرك » أو أنه مدسوس عليه واضاف الشيخ الدجوى : على أننا نقول : أن الذى قاله الذهبى فى تلخيص المستدرك يعد قول الحاكم : انه صحيح كذا ، بل هو موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه ولم يزد على ذلك » وقد رواه القاضى عياض فى الشفاء وان سنده فيه صحيح وحاول الشيخ الدجوى الدفاع عن عبد الرحمن بن زيد — أحد رواة الحديث — فان أهل الجرح والتعديل قالوا فيه : يغلب عليه الوهم وان الذى يغلب عليه الوهم قد يصح حديثه ، فلا يكون موضوعا (٢) •

---

(١) المستدرك ٢/٦١٥ •
(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٣١٠ الى ٣١٢ •

هذه خلاصة دفاع الشيخ الدجوى عن هذا الحديث ورواته • وقد أجاب الشيخ محمد رشيد فبين أن الذهبى زاد على ما نقله الشيخ الدجوى قوله : رواه عبد الله بن مسلم الفهرى ولا أدرى من ذا ؟ عن اسماعيل بن مسلمة عنه (١) أى عن عبد الرحمن بن زيد فقوله : ولا أدرى من ذا ؟ سببه الاشتباه بينه وبين عبد الله بن مسلم ابن رشيد الذى ذكر الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان عن الذهبى قول ابن حيان فيه « متهم بالوضع » ثم ذكر بعده الفهرى هذا وقال نقلا عن الميزان روى عن اسماعيل بن مسلمة بن تعنب ، عن عبد الرحمن بن أسلم خبرا باطلا فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك ، رواه البيهقى فى دلائل النبوة • ثم قال ابن حجر : قلت : ولا أستبعد أن يكون هو الذى قبله فانه من طبقته (٢) •

فالحافظ بن حجر يقول فى عبد الله بن مسلم الفهرى : راوى الحديث : انه من طبقة عبد الله بن مسلم بن رشيد يعنى أنه يضع الحديث أو هو هو (٣) •

واصطلاح المحدثين فى حكمهم على الاحاديث واكتفائهم أحيانا بالاستدلال على المعلوم منها بذكر علته من رجال السند المجروحين من غير وصف الواحد منهم بالوضاع أو الكذاب كلما ذكره ، اعتمادا على ما هو مدون بكتب الرجال المجروحين من هذه الأوصاف •

---

(١) المستدرك ٢/٦١٥ .
(٢) انظر لسان الميزان ٣/٣٥٩ رقمى ١٤٠ ، ١٤٥١ ط ١ بالهند .
(٣) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٣١٢ •

ودفاع الشيخ الدجوى عن الحديث بأنه لا يعقــل حكم الذهبى على الحديث بالوضع وهــو يعلم أن البيهقى رواه فى الدلائل التى مدحها مردود بما ذكره فى ميزان الاعتدال من حكمه ببطلان الحديث مع عزوه إلى كتاب الدلائل للبيهقى وقد وافقه الحافظ بن حجر فى ذلك ، فالمسألة نقل مدون لا مسألة نظريات عقلية (١) •

واجاب الشيخ محمد رشيد عن قول الشيخ الدجوى : أن سند القاضى عياض إليه صحيح لا مطعن فيه : بأنه زعم باطل لا ريب فى بطلانه فانه سند منقطع وينتهى الى ابن حميد الرازى وقد ضعفه بعضهم وأثبت آخرون كذبه وكان بعضهم يعــده مقبــولا فى بعض مروياته قبل أن يثبت عندهم كذبه ومنهم الإمام أحمد بن حنبل فقد نقل عنه ابنه صالح انه استأذن عليه مرة أبو زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة فتحدثا ساعة ثم قال له الثانى : يا أبا عبد الله رأيت محمد ابن حميد ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيت حديثه • قال إذا حدث عن العراقيين يأتى بأشياء مستقيمة وإذا حدث عن أهل بلده أتى بأشياء لا تعرف لا يدرى ما هى ؟ قال فقــال أبو زرعة وابن وارة : صــح عندنا انه يكذب قال صالح : فرأيت ابى بعد هذا إذا ذكر ابن حميــد نفض يده (٢) •

وعن عدم ذكر الحديث فيما جمعه الذهبى من موضوعات المستدرك مما يدل على أنه غير موضوع يجيب الشيخ محمد رشيد : بأن هــذا

---

(١) نفس المصدر السابق وانظر لسان الميزان ٣/٣٥٩ •

(٢) مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٢١٤ قال فى تقريب التهذيب فى ابن حميد حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأى فيه مات سنة ١٣٠ هـ ٢/١٥٦•

موافق لقاعدة له باطلة في الجدل والاستدلال على مشروعية كثير من البدع • والقاعدة المعروفة التي لا خلاف فيها بين العلماء هي أن شرعية الأحكام لا تثبت إلا بالدليل وعدم شرعيتها هو الأصل فلا يطالب مدعيه بالدليـــل •

وبعد هذا قال : لا نسلم أن الحافظ الذهبي لم يذكر هذا الحديث فيما جمعه من موضوعات المستدرك لأنه ليس في الأيدي نسخة منها •

وإذا وجدت نسخة مخطوطة لا تعد من الأصـــول المعتمـــدة في اصطلاح المحدثين فلا يصح الاحتجاج بها مع وجود المعارض لها • لاحتمال وقوع التحريف والزيادة والنقص من النساخ فيها ، ولو وجدت نسخة معتمدة لم يذكر فيها هذا الحديث لما صح أن تعد دليلا على رجوع الذهبي عما قاله في تلخيص المستدرك ، لاحتمال تركه سهوا فالعمدة ما صرح به لا ما سكت عنه •

وإذا عرفنا أنه صرح في هذه الرســـالة بأن هذا الحـــديث غير موضوع : فلا يصح ترجيح ما أثبته فيها على ما أثبتـــه في تلخيص المستدرك إلا إذا علم أنه جمعها بعد كتـــابه التلخيص المذكور وفاقا لما اشترطه علماء الأصول في النسخ •

وإذا فرضنا أنه صرح في هذه النسخة بأنه غير موضوع فتصريحه هذا يصدق بكونه واهيا منكرا لا يصح الاستدلال ولا العمل به حتى في فضائل الأعمال التي لها أصل مشروع ، لأن من قال من العلمـــاء بأن الحديث الضعيف يعمل به في مثل ذلك اشترطوا ألا يكون واهيـــا أو شديدا لضعف فضلا عن القول بتصحيحه (١) •

---

(١) المصدر السابق ج ٣٢ ص ٣١٥ •

وأرى بعد نقل هذه المناقشة أن الصواب فى جانب الشيخ محمد رشيد وأن دفاع الشيخ يوسف الدجوى عن عبد الرحمن بن زيد أحد رواة الحديث وتصحيحه للحديث لا يعتمد الأصول المرعية فى مثل هذه الأبحاث ، وأن رجوع الذهبى عن القول بأن الحديث موضوع غير وارد ، لأنه مؤيد بما فى ميزان الاعتدال ولسان الميزان عما هو فى تلخيص المستدرك .

على أنه لو عمل بمثل هذا الجدل الذى أورده الشيخ الدجوى — رحمه الله — محاولا به تصحيح الحديث لابطلنا كثيرا من الأصول فى هذا الباب ، ومنها العلم بالمتأخر فى التأليف من الكتابين . واعنى بهما — تلخيص المستدرك — والكتاب الذى جمع فيه الذهبى موضوعات المستدرك .

وعدم ذكر الحديث فى كتب الموضوعات ليس تصحيحا له ، لأن الصحيح هو ما انطبقت عليه شروطهم فى ذلك ، وليس منها عدم ذكره فى كتب الموضوعات .

والله اعلم ،،،

ثانيا : مناقشة حديث أبى ذر رضى الله عنه :

« أين تغرب الشمس »

بدأت مناقشة هذا الحديث بين الشيخ يوسف الدجوى والشـيخ محمد رشيد بعد فتوى للشيخ محمد رشيد فى مسـألة البدعة التى ابتدعها المؤذنون بمصر فى القرن الثامن الهجرى وهى زيادة السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الآذان ثم زيادة الصلاة مع السلام ، وزيادة نداء السيد البدوى أيضا بعد أذان الفجر ، فقد أفتى فى المنار بأنها بدعة فى شعار دينى تدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه مسـلم فى صحيحه وافتت مجلة نور الإسلام بأنها بدعة حسنة •

ثم نشرت مجلة نور الإسلام مقالا للأستاذ الدجوى فى الرد على صاحب المنار فى هذه المسألة أكثر فيه من الطعن والتهكم به ونسب إليه مسائل منها : تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم عن أبى ذر من أن الشمس تسجد تحت العرش•

ونعرض لهذا فى النقاط التالية :

١ — نصوص روايات الحديث عند البخارى ومسلم •

٢ — آراء العلماء فى هذا الحديث •

٣ — مناقشة الأستاذين فيه •

٤ — تعقيب برأيى فى هذه المناقشة •

١ ــ أورد الإمام البخارى الحديث فى ثلاثة مواضع :

(أ) فى كتاب بدء الخلق : حدثنا محمد بن يوسف : حدثنا سفيان عن الاعمش ، عن ابراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذرحين غربت الشمس: اتدرى اين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها : : أرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) •

(ب) فى كتاب التفسير ــ تفسير سورة يس ــ قال حدثنا أبو نعيم : حدثنا الاعمش ، عن ابراهيم التيمى ، عن أبية ، عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أبا ذر أتدرى اين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله تعالى : « والشمس تجرى لستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) •

(جـ) فى كتاب التوحيد قال : حدثنا يحيى بن جعفر : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش ، عن ابراهيم ــ هو التيمى ــ عن أبيه عن أبى ذر قال : : دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فلما غربت الشمس قال : يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب هذه ؟ قال : قلت

---

(١) فتح البارى ١٩٨/٧ •

(٢) المصدر السابق ١٦١/١٠ •

الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ : « ذلك مستقر لها — فى قراءة عبد الله » (١) ٠

(د) ورواه مسلم فى باب : فى قوله تعالى : « لا ينفع نفسـا ايمانها لم تكن آمنت من قبل » بسنده إلى أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما « اتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « ان هذه تجرى حتى تنتهى إلى مسـتقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة فلاتزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعى ، ارجعى من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة فلاتزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى ، ارجعى من حيث جئت ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتصبح طالعة من مغربها » فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » ٠

١ — رأى العلماء فى هذا الحديث :

قال الحافظ ابن حجر : والغرض منه هنا بيان سير الشمس فى كل ليلة وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة : أن الشمس مرصعة فى الفلك فانه يقتضى أن الذى يسير هو الفلك ، وظاهر الحديث أنها هى التى تسـير

---

(١) فتح البارى ١٨٧/١٧ وقال فى هداية البارى الى ترتيب أحاديث البخارى : رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى ٢١٠/١ وقال ابن كثير : رواه احمد ، انظر ٥٧١/٣ من تفسيره ٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٦/١ ٠

وتجرى ومثله قوله تعالى فى الآية الأخرى — كل فى فلك يسبحون أى يدورون ، قال ابن العربى : أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن وتأوله قوم على ما هى عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع •

وتعقب الحافظ ابن حجر العربى فقال : أن أراد بالخروج الوقوف فواضح والا فلا دليل على الخروج ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة ، أو تسجد بصورة الحال، فيكون عبارة عن الزيادة فى الانقياد والخضوع فى ذلك الحين (١) •

وقال الحافظ أيضا : وروى عبد الرزاق عن طريق وهب عن جابر عن عبد الله بن عمرو فى هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بنى آدم • فاذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول: أن السير بعيد وانى ان لا يؤذن لى لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله • ثم يقال : اطلعى من حيث غربت • قال : فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا ايمانها • واما قوله : تحت العرش فقيل : هو حين محاذاتها ولا يخالف هذا قوله « وجدها تغرب فى عين حمئة » فان المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب ، وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب •

وفى الحديث رد على زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهى اليه فى الارتفاع وذلك اطول يوم فى السنة • وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا •

---

(١) فتح البارى ١٠٨/١٠٧/٧ •

وقال الخطابى : يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لا نحيط به نحن • ويحتمل أن يكون المعنى أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش فى كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها ، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك، ويبطل فعلها ، وليس فى سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها فى سيرها ، ثم قال : قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات فى تأويل الحديث والآية : قلت : وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه فى كل يوم وليلة عند سجودها ، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجرى والله أعلم (١) •

رأى ابن كثير :

أجاب العماد ابن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلى رؤوس الناس ، فالشمس إذا كانت فى قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش ، فاذا استدارت فى فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام ، وهو وقت نصف الليل ، صارت أبعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد ، وتستأذن فى الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث (٢) •

ما نقله الفقيه ابن حجر الهيثمى :

أجاب ابن حجر الهيثمى فى الفتاوى الحديثية عن سؤال : إذا غابت الشمس أين تذهب ؟ بقوله : فى حديث البخارى أنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، زاد النسائى « ثم تستأذن فيؤذن لها ، ويوشك

(١) فتح البارى ١٠/١٦١/١٦٢ •
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧١ •

أن تستأذن فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها » ولا يخالف هذا قوله تعالى : « تغرب فى عين حمئة » لأن المراد به نهاية ادراك البشر لها حال الغروب ، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب ، وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجرى بالنهار فى السماء بفلكها ، وإذا غربت جرت بالليل فى فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها ، وكذلك القمر • وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها إذا غربت دخلت نهرا تحت العرش فتسبح ربها حتى إذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج قال : ولم ؟ قالت انى إذا خرجت عبدت من دونك ، وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تغيب فى عين حمئة كما فى الآية ، والحمأة بالهمزة : ذات الطين الأسود ، وقرىء حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش ، وتقول : يارب أن قوما يعصونك • فيقول لها ارجعى من حيث جئت ، فتنزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق وبنزولها إلى سماء الدنيا يطلع الفجر • قال إمام الحرمين وغيره : لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند آخرين ، والليل يطول عند قوم ، ويقصر عند آخرين الا عند خط الاستواء ، فيستويان أبدا ، وفى بلاد بلغار بموحدة مضمومة ثم معجمة لا تغيب الشمس عندهم ، ألا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع (١) •

---

(١) انظر تفسير الالوسى ١٣/١٢/٢٢ ط ادارة الطباعة المنيرية •

كلام الالوسى فى الحديث :

قال الشهاب الالوسى فى تفسير الآية « والشمس تجرى ... » من سورة يس : وفى غير واحد من الصحاح عن أبى ذر قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال : « يا أبا ذر ، أتدرى اين تذهب هذه الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : تذهب تسجد فستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجرى لمستقر لها) وفى رواية « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله تعالى ورسوله أعلم ، قال : ان هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ، » الحديث .

وفى ذلك عدة روايات ، وقد روى مختصرا جدا ، وأخرج أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « والشمس تجرى لمستقر لها » قال : (مستقرها تحت العرش) فالمستقر اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قرارا حقيقة .

قال النووى : قال بظاهر الحديث جماعة . قال الواحدى : وعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ثم قال النووى : وسجودها بتمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها.

ثم قال الالوسى : « والسجود تحت العرش قد جاء أيضـــا من روايات الامامية ، ولهم فى ذلك أخبار عجيبة ، منها أن الشمس عليها سبعون ألف كلاب ، وكل كلاب يجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربها ، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش ثم يسألون ربهم : هل نلبسها لباس النور أم لا ؟ فيجابون بما يريده سبحانه ، ثم يسألونه عز وجل هل نطلعها من مشرقها أو مغربها ؟ فيأتيهم النداء بما يريده جل شأنه ، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيهم النداء بما يحتاج إليه الخلق من قصر النهار وطوله . قال الالوسى : وفى الهيئة للجلال السيوطى أخبار من هذا القبيل والصحيح من الأخبار قليل ، وليس لى على صحة أخبار الامامية ، وأكثر ما فى الهيئة السنية تعويل. نعم ما تقدم عن أبى ذر مما لا كلام فى صحته ، وماذا يقال فى أبى ذر وصدق لهجته ؟ والأمر فى ذلك مشكل إذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش سواء قيل أنها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إليه فتسجد ، أم قيل : أنها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع فقد صرح أمام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف فى أنها تغرب عند قـــوم وتطلع على آخرين ، والليل يطول عند قوم ، ويقصر عنـــد آخرين ، وبين الليل والنهار اختلاف ما فى الطول والقصر (إلا) (1) عند خط الاستواء ، وفى بلاد بلغار قد يطلع الفجر قبل أن يغيب شفق الغروب، وفى عرض تسعين لاتزال طالعة مادامت فى البروج الشمالية وغاربة مادامت فى البروج الجنوبية ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على ما فصل فى موضعه ، والأدلة قائمة على أنها لا تسكن عنـــد غروبها

---

(1) ليست فى الاصل ، وعبارة امام الحرمين التى نقلناها عنــه آنفا بها هذه اللفظة .

وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها بناء على أن غروبها فى أفق ، طلوع فى غيره ، وأيضا هى قائمة على أنها لا تفارق فلكها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الأمر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلا ، وكــذا كونها تحت العرش دائما بمعنى احتوائه عليها وكونها فى جوفه كسائر الأفلاك التى فوق فلكها .

وأضاف الألوسى : وقد سألت كثيرا من أجله المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الأخبار الصحيحة ، وبين ما يقضى خلافها من العيان والبرهان ، فلم أوفق لأن أفوز منهم بما يروى الغليـل ، ويشــفى العليل » (١) .

مناقشة الأستاذين حديث سجود الشمس :

كتب الشيخ محمد رشيد مقالا فى المجـلد الثانى عشر من مجلة المنار فى سياق الأحاديث المشكلة ، وطرق الحـل لشكلاتها ، وذلك تأييدا للسنة ، لافصل فى مناظرة جرت بين الدكتور محمد توفيق صدقى الذى كتب مقالا بعنوان « الإسلام هو القرآن وحده » ورد عليه بعض العلماء ، وحكم الشيخ محمد رشيد فى المناظرة ، فانتصر للسنة ، وأقنع الدكتور محمد توفيق صدقى بخطئه ، وكتب اعترافا برجوعه عما أخطأ فيــه (٢) .

وكتب الشيخ محمد رشيد أيضا مقالا طويلا بين فيــه أحاديث الآحاد والدين .

---

(١) انظر روح المعانى ١٣/١٢/٢٣ ط ادارة الطباعة المنيرية .

(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٧٤ وانظر اعتراف الدكتور صدقى بخطئه فى المجلة ج ١٠ ص ١٤٠ .

وأحاديث الآحاد تفيد العلم أو الظن ، ذهب فيه إلى أن أحاديث الآحاد الصحيحة تفيد العلم وتوجب العمل بل ويستدل بها فى العقائد، وصحح فيه مسار عبارة المتكلمين « ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لأن المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن » •

فبين أن مراد المتكلمين بهذه العبارة « أن أحاديث الآحاد لا تقوم بها الحجة فى العقائد على المنكر لورودها ، وإنما تقوم بالتواتر لأنه لا سبيل إلى انكاره • أما أحاديث الآحاد فانما تقوم الحجة بها فى العقائد إذا صحت على ما هى شروط المحدثين فيها لأن المسلم يصدق مثل هذه الأحاديث ، فكيف يمكنه أن يرد مضمونها إذا كان فى عقائد الدين •

وإذا وقعت شبهة علمية على ما هى أصول المحدثين فى خبر الواحد فلا تقوم بهذا الذى وقع فيه شبهة ، حجة فى باب العقائد — ويعذر من خالفه حتى تنكشف له هذه الشبهة ، ويعود إلى اليقين •

واليقين الذى يعنيه هنا هو اليقين اللغوى ، وهو الاعتقاد الجازم المبنى على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس والضرورة، لا اليقين المنطقى المبنى على الحس والضرورة أو ما يؤدى اليهما بحيث لا يحتمل النقيض •

وفى كتب اللغة ما يساعد على هذا قال الأزهرى فى التهذيب : الظن يقين وشك ، وقال ابن سيده فى المحكم : هو شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبر (١) •

---

(١) انظر الفتاوى ٤/١٣٢٤ •

هذا ما قرره الشيخ محمد رشـــيد فى دفاعه عن خبر الواحـــد وأحاديث الآحاد التى كثرت فيه الكتابة فى عهده سلبا وايجابا ، وكان يقف هو موقف الحكم ، ليتمكن من الكلمة الأخيرة ، التى تفصـــل فى الموضوع •

وليتم له دفاعه انتقد تعريف الفيزروزبادى للظن فى القاموس بأنه التردد الراجح بين طرفى الاعتقاد الجازم • فقال : انه مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة ولهذا لم يسعه إلا أن يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم بمعنى أنه يستعمل فى اللغة بمعنى اليقين ـ فان أراد أن يوضع موضع العلم حتى فى الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح لأن العلم نقيض الجهل ، واليقين نقيض الشك قاله فى لسان العرب ثم قال : وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن (١) •

هذا جزء من المقال الطويل فى الدفاع عن خبر الآحاد والدفاع عن السنة فى وجه الناقدين والطاعنين فيها وقد تضمن فقرة تتـــاول فيها الشيخ محمد رشيد بعض أحاديث الصحيحين التى غلط فيها الرواة

فى نظره ونسوق نص العبارة التى انتقدها عليه الأستاذ المرحوم الشيخ يوسف الدجوى وهى « وجملة القول فى الصحيحين أن أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث ، لا مجال للنزاع فى متونها ولا فى أسانيدها والقليل منها مختلف فيه ، وما من إمام من أئمة الفقه ألا وهو مخالف لكثير منها فاذا جاز رد الرواية التى صح سندها فى صـــلاة

---

(١) المصدر السابق ، وانظر لسان العرب مادة ظن ١٤٢/١٧ وعلم ٣٣٧/١٢ •

الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل (١) ، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت (٢) لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وللروايات الموافقة لذلك • فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التى تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعــدم ضياع شىء منه (كالروايات فى نسخ التلاوة) ولا سيما لمن لم يجد لها مخرجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقى وأمثاله كثيرون• ومثلها الرواية فى سحر بعض اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم ، ردها الأستاذ الإمام (٣) ، ولم يعجبه شىء مما قالوه فى تأويله لأن نفس النبى صلى الله عليه وسلم أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولأنها مؤيدة لقول الكفار (فيما حكاه عنهم القرآن الكريم) : (وقال الظالمون أن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٤) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) (٥) •

واضاف الشيخ يقول : (ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب ؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع • الخ

---

(١) يعنى بذلك حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كسفت الشمس ثمانى ركعات فى أربع سجدات ، صحيح مسلم بشرح النووى ٣٤/٣ وهو حديث شاذ مخالف لما عليه العمل • وانظر مختصر صحيح مسلم ص ١٢١ .

(٢) تكلمنا على هذا الحديث وبينا صحته فى فصل أبى رية ولله الحمد.

(٣) تكلمنا عن هذا الحديث فى مقارنة بين الأستاذ وتلميذه فى الحديث وبينا هناك رأى كل منهما فى الحديث .

(٤) ، (٥) الفرقان آية ٨ ، ٩ .

وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ، ولما نجب عنه ، لأننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل فى الفهم ، فالشمس طالعــة فى كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيــا لا شبهة فيه فاذا قلنا أنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى •

ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التحتيــة فيه حسية لأن الجهات أمور نسبية فهى معنوية — إذا قلنا هذا أو أنه تمثيل لخضــوعها فى طلوعهــا وغروبها وهو أقرب فهــل ينطبق على السؤال الجواب انطباقا ظاهرا لا مراء فيه ؟ اللهم لا •

ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته فى الصحيح قد يخرج على أنه من باب الرأى فى أمور العالم ، والأنبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ، ولم يقل أئمة الذين أنهم معصومون فيها ، كما يدل عليه الحديث الصحيح فى تأبير النخل ، ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه •

من هذه الفقرة فى المقال الطويل الذى كتبه الشيخ محمد رشــيد فى الدفاع عن السنة وخبر الواحد ، وانه حجة فى باب العقائد وغيرها وذلك اجابة على هؤلاء الذين كتبوا فى أن السنة القولية (الأحاديث) قد نسخ بعضها بالقرآن وبعضها بالسنة (العملية) ولم يبق منها شىء يجب العمل به غير موجود فى القرآن [1] وأقنعهم بحجيــة الســنة (القولية والعملية) حتى رجعوا عن خطئهم وكتبوا يعتذرون عن موقفهم•

---

(١) مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٧٥ ، ٧٧٦ .

من هذه الفقرة وبسببها حمل الأستاذ المرحوم الشيخ يوسف الدجوى على الشيخ محمد رشيد رحمهما الله وقال : بل وصل الأمر من اجتهاد مجتهدنا أن اجترأ على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم عن أبى ذر — رضى الله عنه — من أن الشمس تسجد تحت العرش ، وقال : أن الأنبياء لا تعرف هذه العلوم ولو كان رشيدا لم يضق صدره بذلك ولوسعه إيمانه بالغيب ، فان لم يسعه إيمانه بالغيب ، فكان ينبغى أن يسعه علمه بسعة لغة العرب ، وكثرة مذاهب البيان فيها ، فان ضاق علمه كما ضاق إيمانه فما كان ينبغى أن تضيق سياسته وهى التى وسعت الشرق والغرب ، وبيان ذلك أنه كان يستطيع أن يقرر فى الحديث ما قرره العلماء فى قوله تعالى حكاية عن الأرض والسماء (قالتا أتينا طائعين) وكان ينبغى إذا لم يتسع صدره ولا إيمانه ولا علمه لشىء من ذلك أن تتسع سياسته لحسن المخرج منه بأية وسيلة غير تجهيل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو أن يرمى البخارى أو غيره من رواة الحديث بالخطأ والكذب ولا يتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان تكذيبهم أهون من تكذيبه صلى الله عليه وسلم فما أضيق دينه وعلمه وسياسته فالشيخ إذا مخطىء لله ورسوله ، مكذب للقرآن والسنة ، وان شئت فقل مجهل لهما إلى أن قال فى ختام مقاله : نعوذ بالله منها ومنه ثم ثم من الشيطان الرجيم (١) .

وأجاب الشيخ محمد رشيد على ذلك فقال : هذه عبارتنا بنصها وفصها (٢) التى استند إليها فى اتهامه إيانا برد حديث عمر فى رجم

(١) انظر مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٧٣ يعنى — منها — المنار .
(٢) سبق نقل عبارته فى هذا الفصل .

الشيخ والشيخة وانه كان آية من القرآن ورد حديث سحر اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم ، وحديث سجود الشمس وتكبيره الأمر بأنها وردت فى الصحيحين ونحن إنما ذكرناها وغيرها كحديث المعراج (١) وحديث صلاة الكسوف (٢) وحديث خلق السموات والأرض فى سبعة أيام (٣) من باب التمثيل للأحاديث المشكلة التى تتعلق بموضوع المناظرة التى حكمنا فيها بما بينـــا به مزية الصحيحين ، وأن ما انتقـــده المحدثون والمتكلمون والفقهاء من احاديثهما قليل ، لا ينافى تفضيلهما على غيرهما، وقد ذكرناها بموضوعها لا بنصوصها بل لم نذكر حديث عمر فى الرجم مطلقا ، لأن المقام مقام التمثيل لما انتقده بعض المتناظرين بالاجمال ، ولم نذكرها لاستئناف انتقاد عليها أو استشكال لها من عند أنفسنا ، ولا لأجل الأجوبة عنها ، فان هذا قد بيناه فى مواضع أخرى من المنار وتفسيره ، ولكل مقام مقال ، من تفصيل واجمال ، وهذا معهود فى جميع الكتب ، فكيف ينكر مثله فى الصحف ؟

ولكن باغى العنت ، بطرق المغالطة فى الجدل ، يجعل حكاية خصمه لقول مذهبا له ، وسكوته عن بيان شىء فى غير موضع البيان حجة عليه فيما بينه فى موضعه مع تجاهله ذلك البيان .

---

(١) يعنى حديث شريك عند البخارى فى المعراج اذ صرح بأنه رؤيا منامية وخالف غيره من رواة البخارى فى مسائل أخرى فيه . انظر مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٧٥ ، جـ ١٩ ص ٥٣٣ وما قاله الخطابى وابن حجر فى الحديث فى هدى السارى ١٤٣/٢ .

(٢) ذكرنا نصه عند مسلم فى الهامش ص ١٨٨ .

(٣) انظر هامش (١) ص ١٨٨ .

وأضاف الشيخ محمد رشيد يقول : وقد صرحنا فى ذكر حديث الشمس بأن وجه الاشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهد له ، وهوكون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الأرض طرفة عين ، لا السجود الذى زعمه — الأستاذ الدجوى — وافترى علينا تكذيبه • على أن شراح الصحيحين وغيرهم استشكلوا الأمرين واجابوا عنهما (١) ونحن صرحنا بأن الشمس يصدق عليها أنها ساجدة تحت العرش دائما بالمعنى الذى أثبت القرآن فيه سجود كل شىء لله عز وجل من الكواكب والشجر والنبات وغير ذلك ، وذكرنا توجيها آخر لسجودها وهو أنه تمثيل لخضوعها فى طلوعها وغروبها لمشيئته تعالى ، وهو عين المراد من قوله تعالى عن السموات والأرض (قالتا أتينا طائعين) ولكننا قلنا : ان سجود الشمس بهذا المعنى أو ذاك لا يرفع الاشكال بمخالفة مضمون الرواية للمعلوم بالقطع من مشاهدة وأدلة علمية على كونها لا تغيب عن الأرض كلها طرفة عين ، وقال العلماء قبلنا مثل قولنا (٢) •

هل حديث سجود الشمس من أمور العالم أو الغيب ؟ :

ان حديث سجود الشمس تحت العرش هو من أخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن عالم الغيب لا عن عالم الشهادة وقد وردت الاشارة إلى ذلك فى عبارة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى التى حمل بها على الشيخ محمد رشيد حيث جاء فيها « ولو كان رشيد لم يضق صدره بذلك ولو وسعه إيمانه بالغيب » (٣) ، وعبارة الشيخ رشيد استثنت عالم الغيب ونصها : « ولكن هذا النوع من الحديث (أى الذى

---

(١) سبق ذكر أجوبة العلماء واستشكالهم فى هذا الحديث .
(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٧٦ ، ٧٧٧ .
(٣) المصدر السابق ج ٣٢ ص ٧٧٢ .

استشكل العلماء معناه) على ندرته فى الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأى فى أمور العلم والأنبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ، ولم يقـل أئمة الدين : أنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح فى تأبير النخل ، ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه » (١).

وحديث سجود الشمس من الاخبار عن عالم الغيب فهو غير داخل فى العبارة التى أوهمت وليس داخلا فى باب الرأى فى أمور العالم الذى لا تتوقف صحة دعوة الأنبياء ونبوتهم على العلم بها على حقيقتها.

وحيث لم يدخـل مفهوم الحـديث فى العبـارة فلا تكذيب لله ولا لرسوله فيه من الشيخ محمد رشيد حسب دعوى الشيخ العجوى رحمهما الله.

وهناك دليل آخر يؤيد هذا فان عبارة الشيخ رشيد ورد فيها : اننى سئلت من قبل بعض علماء تونس عنه . واننى إلى الآن لم أجب عن هذا السؤال ، لأننى لم أجد جوابا مقنعا للمستقل فى الفهم (٢) ولو كان حديث الشمس عنده من هذا البعض الذى يقال فيه بالرأى لأنه فى أمور العالم لقال : انه كحديث تأبير النخل الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « انتم اعلم بأمور دنياكم » (٣) وبما معناه ، ولم يرجىء الجواب .

---

(١) المصدر السابق ج ٣٢ ص ٧٧٦ ، ٧٧٧ .
(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٧٨ .
(٣) الحديث فى هذا رواه مسلم ٩٥/٧ .

على أن العبارة التى نقلها الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ونسبها إلى الشيخ محمد رشيد ليست نص عبارته واليك نص العبارتين :

نص عبارة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى : ومثل هـذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعـد الغروب والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ إلى أن قال : فالشمس طالعة فى كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شـبهة فيه — أى فكلام النبى صلى الله عليه وسلم كذب لا شبهة فيه (١) •

وأصل العبارة فى كلام الشيخ محمد رشيد ، ومثل هـذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعـد الغروب ؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل فى الفهم ، فالشمس طالعة فى كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه • فاذا قلنا : أنها يصدق عليها مع ذلك أنها سـاجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ، ولأن كل مخلوق هو تحت العرش — إن لم تكن التحتية فيه حسـية لأن الجهـات أمور نسبية لا حقيقية فهى معنوية — إذا قلنا هذا أو أنه تمثيل لخضوعها فى طلوعها وغروبها وهو أقرب ، فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهرا لا مراء فيه ؟ اللهم لا •

---

(١) مجلة المنار ج ٣١ ٧٧٩ •

ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته فى الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأى فى أمور العالم والأنبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ، ولم يقل أئمة الدين : انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح فى تأبير النخل ، ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه » [1] .

فعبارة الشيخ محمد رشيد لا تفيد لمن تأملها أن حديث سجود الشمس تحت العرش وجواب النبى صلى الله عليه وسلم فيه من أمور الرأى فى أمور العالم . لأنها تقول : هذا النوع على ندرته فى الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأى ، ومعلوم أن ما سبق ذكره فى الكلام شمل حديث صلاة الكسوف (ثمانى ركعات فى أربع سجدات) وحديث خلق الله التربة يوم السبت وحديث شريك فى البخارى بأن المعراج كان رؤيا منامية وحديث القرآن الذى نسخت تلاوته وسحر النبى صلى الله عليه وسلم وسجود الشمس تحت العرش ، وحديث تأبير النخل ، كل هذا سبق ذكره فاذا قال بعده العبارة التى سبق ذكرها ، ولكن هذا قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأى فى أمور العالم ... الخ فان نص العبارة لا تفيد أن حديث سجود الشمس تحت العرش من هذا البعض الذى يقال فيه بالرأى ويتأكد هذا بقوله فى آخر العبارة : ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه . لأن سجود الشمس من الاخبار عن عالم الغيب حتما كما سبق بيانه وورد أيضا فى عبارة الشيخ الدجوى ما يفيد أنه من عالم الغيب فهو داخل فى الاستثناء .

---

(١) المصدر السابق ج ٣٢ ص ٧٧٦ .

والعبارة التى قالها الشيخ محمد رشيد تفيد أيضا أنه أرجأ الجواب عن غياب الشمس واورد جواب العلماء عن سجودها فى قوله : وقد سألنا بعض أهل العلم من تونس عنه ولما نجب عنه • وقوله : إذا قلنا أنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ••• ، أو أنه تمثيل لخضوعها فى طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجــواب لنطبــاقا ظاهرا لا مراء فيــه ؟ اللهم لا •

فالشيخ محمد رشيد أرجأ الاجابة عن غياب الشمس وأجابم عن سجودها لوضوحه وعدم وضوح الجواب عن غيابها •

وحكاية استشكال الأمر — وهو أن الشمس طالعــة فى كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم — قد علم مما سبق أن نقلناه عن الحافظ لبن حجر وابن العربى والخطابى وابن كثير وابن حجر الهيثمى وإمام الحرمين والالوسى مع أجوبتهم أيضــا التى علق على بعضها الشيخ محمد رشيد بما يفيد هضمه لهذه الاجوبة ، مع استقلاله فى الفهم الذى يمكن أن ينقله لجمهور المسلمين الذين يخاطبهم بمــا يكشف شبهاتهم •

وعنايته بالوصول إلى هذا الفهم هو الذى جعله يرجىء الجواب ، وإلا كان فى استطاعته أن ينقل لهم ما وقف عليه من أجوبه العلماء فى هذا ولا حرج •

فالشيخ محمد رشيد لم يأت بما هو مبتدع حين استشكل الحديث فقد استشكله غيره من العلماء كما أنه لم يبدأ الاستشكال فيه وفى غيره

من الأحاديث التى ذكرت بل جر إلى القول فيه اثارة المتناظرين لهذه الموضوعات وسؤال بعضهم فيه (١) .

ولهذا يوضح الشيخ محمد رشيد فى مناقشته للشيخ يوسف الدجوى أنه يذكرها لأن المقام مقام التمثيل لما انتقده بعض المتناظرين بالاجمال ، ولم نذكرها لاستئناف انتقاد عليها ، أو استشكال لها من عند أنفسنا ، ولا لأجل الأجوبة عنها ، فان هذا قد بيناه فى مواضع أخرى من المنار وتفسيره ولكل مقام مقال من تفصيل واجمال (٢) .

أن موقف الشيخ محمد رشيد وقيامه بالفتوى فى مجلته المنار كبرى المجلات الدينية فى العالم الإسلامى آنذاك ، والتزامه فيها بالدفاع عن الإسلام وما يثار حول أصوله من شبهات ، جعلته يمعن النظر مرات ومرات فيما يكتب ويفتى به المسلمين الذين اعتمدوا عليه فى حل مشكلاتهم الدينية وأمورهم الفكرية .

ومن هنا كان لا يكتفى بما كتبه العلماء فى الموضوع ، أما لعدم كفايته للعصر الذى يعيش فيه ، سنة الحياة فى التطور ، وتغير بعض النظريات العلمية .

واما لعدم دقته ومسايرته لما هو معلوم من نظريات علمية فى الوقت الذى كتب فيه .

واما لعدم وضوحه ، وحاجته إلى قوة فهم تعين على حسن التعبير عنه بالاسلوب الذى يكون مفهوما مقبولا لدى القارىء أو المطلع عليه .

---

(١) انظر مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٧٦ ، ٧٧٧ .

(٢) مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٧٧ .

ومن هنا نجده يستعرض أجوبة العلماء فى هذه المسألة ويعقب عليها وينتقدها ، حتى يصل إلى الاجابة المقنعة التى تتفق وطبيعة العصر الذي يعيش فيه ، ولا تتعارض مع نظريات علمية هى من الأمور المسلمة التى لا جدال فيها بعد هذا التقدم العلمى الكبير ، شعورا منه بمسئوليته أمام الله عن علمه الذي منحه الله إياه ، ثم مسئوليته فى الفتوى أمام جماهير المسلمين •

ونثبت هنا تناوله لأجوبة العلماء فى هذه المسألة وتعقيبه عليها بما يحدد موقفه •

سبق أن نقلنا مناقشة الحافظ ابن حجر لهذا الحديث وما نقله من أجوبة لابن العربى والخطابى فى الموضوع (1) •

وما عقب به الحافظ من قوله : وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه فى كل يوم وليلة عند سجودها ، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجرى والله أعلم وما نقله من حديث عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص فى هذه الآية قال: مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بنى آدم ••• الخ •

وعلى هذا يعقب الشيخ محمد رشيد فيقول : أقول : يعنى أن هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث •

وأما حديث عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذى نقله وسكت عليه ، فهو أعدى على تأويلنا وتأويلهم ، وابعد عنهما بعد الشمس عن العرش ، وفى معناه روايات أخرى أغرب منه •

---

(1) ص ١٦٥ من هذا الموضوع •

ووهب هذا وثقه ابن معين والعجلى وقال على بن المدينى وابن حبان : وهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج « وكفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » ولم يرو غير هذين ، وقال النسائى مجهول ، وكفى بقول على بن المدينى أنه لم يرو غير هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردود سواء كان ثقة أم لا ؟ (١) .

والشيخ محمد رشيد فى تعقيبه يبين ماذا يريد الحافظ ابن حجر أن يقوله بعبارة واضحة ثم يبين أيضا ما سكت عليه الحافظ ابن حجر من حديث عبد الرزاق ، وانه حديث مردود لجهالة وهب لدى أئمة هذا الفن ولأنهم عدوا ما أخذه عن عمرو بن العاص فلم يكن حديث الشمس منه.

وبهذا كفينا مهمة التأويل والجمع فى هذا الحديث . فقد كفت علة الحديث عن عناء الجمع . وهذا يدل على مدى عناية الشيخ رحمه الله بالنقد وعلم الرجال ليوفر جهده وبحثه فيما صح لا فيما هو ســاقط مردود .

وسبق أيضا نقل جواب ابن كثير الذى يؤخذ منه أن الشمس تدور فى فلكها لتكون أقرب ما تكون إلى العرش وقت الظهيرة ، وأبعد ما تكون منه وقت نصف الليل ، وحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع .

ويعقب الشيخ محمد رشيد على جواب ابن كثير فيقول : وهذا جواب من يصدق الفلكيين فى ثبات الشمس فى فلكها ، ودوران الفلك

---

(١) مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٨٧ ، وانظر تهذيب التهذيب ١١/١٦٠ ، وفى ميزان الاعتدال قال ابن المدينى وهب بن جابر الحيوانى : مجهـول . قال الذهبى لا يكاد يعرف (٤/٣٥٠) .

بها حول الأرض ، وقد نقض ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقربة للابعاد هذا المذهب اليونانى ، وأجمع علماء الفلك فى هذا العصر على كروية الأرض ودورانها تحت الشمس الثابتة فى مركزها ، على أن قوله منقوض على ذلك المذهب أيضاً ، إذ لا خلاف عند أهله فى كروية الأرض وسكنى الناس على سطحها من كل جانب فلا يتجه القول بأن العرش فوق رؤس المقيمين فى جانب منها دون آخر (١) ٠

والشيخ محمد رشيد فى هذا التعقيب يوضح بطلان دوران الشمس فى فلكها حول الأرض لتقرب وتبعد من العرش حسب دوران هـذا الفلك ٠ وتلك نظرية يونانية لا تصلح أساساً لبحث الآن الآن الثابت علمياً الآن أن الأرض كوكب تابع للشمس ، وهى ثابتة تدور حول نفسها، وتدور مجموعة الكواكب حولها ومن هذه الكواكب كوكب الأرض ٠

وسبق أيضاً أن نقلنا ما قاله ابن حجر الهيثمى الذى ضمن جوابه أن نسب إلى النسائى : ثم تستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسـتأذن فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها ، وضم إلى هذا روايات غريبة أخرى من أنها بمنزلة الساقيـة تجرى بالنهار فى السماء بفلكها وإذا غربت جرت بالليل فى فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ٠٠ الخ ما نقل ٠

كما نقل عن إمام الحرمين وغيره : لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عنـد آخرين الا عند خط الاستواء فيستويان أبدا وفى بلاد بلغار بموحدة مضمومة ثم معجمة لا تغيب الشمس عندهم الا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع ٠

---

(١) مجلة المنار ج ٢٢ ص ٧٨٧ ، ٧٨٨ ٠

ويعقب عليه الشيخ محمد رشيد فيقول : الشيخ أحمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ وهو قليل البضاعة فى الحديث ، وفى علوم المعقول ينقل من الكتب عند الحاجة وما عزاه إلى النسائى من لفظ الحديث ثابت فى البخارى وسائر الروايات التى ذكرها لا تصح •

وقد أورد كلام علامة المعقول الأكبر إمام الحرمين ولم يرده لأنه إمام الاشعرية والشافعية الذين يقلدهم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث (١) •

هذا التعقيب يوضح منزلة الشيخ أحمد بن حجر الهيثمى فى الحديث وفى علم المعقول وهو لا يهدف إلى تجريح الرجل ، وإنما يهدف إلى بيان سبب عدم قدرته التوفيق بين الحديث وما قاله إمام الحرمين من عدم غياب الشمس لأنها تطلع على قوم وتغرب عند آخرين•

وما نسبه للنسائى هو عند البخارى ومروياته الأخرى من دخول الشمس نهرا وابتلاع الحوت لها أمر لا يصح كما ذكره الشيخ محمد رشيد •

بقى ما علق به على اجابة الالوسى الذى ضمن جوابه نقولا عجيبة عن الامامية (٢) ونقولا عن الهيئة السنية ، وعلق عليها الالوسى بقوله : والصحيح من الاخبار قليل ، وليس لى على صحة اخبار الامامية وأكثر ما فى الهيئة السنية تعويل •

---

(١) مجلة المنار جـ ٣٢ ص ٧٨٩ •

(٢) سبق ذكرها ص ١٨٦ من هذا البحث •

وسأل الالوسى أجلة معاصريه عن التوفيق بين ما سمع من الاخبار الصحيحة وبين ما يقتضى خلافها من العيـان والبرهان ، فلم يوفق بالفوز بما يروى الغليل ويشفى العليل .

وعلق الشيخ محمد رشيد على جواب الالوسى فقال : انه رحمـه الله استنبط له حلا غريبا بعد مقدمات مؤلفه من خرافات كثيرة أغرب منه ، خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان ، وأن هذه النفس هى التى تصعد فتسجد تحت العرش ويبقى جسم الشمس المضىء على ما يراه الناس ، ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمى وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والمبتدعة كما فعل فى هذه المسألة عفا الله عنه (١) .

أقول : وليت الالوسى سكت عند عجز معاصريه عن التوفيق ، ولم يأت بهذه الاجابة التى يمكن أن نصفها بوصفه هو : لا تشفى العليل ولا تروى الغليل .

هذا تعقيب من الشيخ محمد رشيد على آراء العلماء واجوبتهم فى حديث الشمس وقد أثبتناه هنا لأمور :

أولها : التدليل على احاطة الشيخ بآراء العلماء فى مسألته .

ثانيها : التدليل على حسن فهمه لهذه الآراء ، وهضمه لها .

ثالثها : التدليل على أن هؤلاء العلماء استشكلوا معنى الحديث ، وأنه معارض فى ظاهره لما ثبت من أن الشـمس لا تغيب عن الأرض طرفة عين وأنها تغيب عن قوم وتطلع على آخرين . وأن الشيخ محمد

(١) مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٩١ .

رشيد حين استشكل بدوره معنى الحديث لم يأت بما لم يسبق إليه فى ذلك ، ولم يكن بدعا فيه •

رابعها : وهو ما عبر عنه الشيخ محمد رشيد بقوله : وحاصـل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والمتكلمين أنهم اتفقوا على أن الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وأن أحدا منهم لم يكفر أحدا ممن استشكله ، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله ، وأن لم يسلم له تأويله » (١) •

هذا ما عقب به الشيخ هنا على كلمة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله وقوله بأن الشيخ مخطىء لله ولرسوله مكذب للقرآن والسنة ، وان شئت فقل مجهل لهما (٢) •

ولو اطلع الشيخ يوسف الدجوى على آراء هؤلاء العلماء وأجوبتهم فى هذا لما وقف هذا الموقف من معاصره الشيخ محمد رشيد رحمهما اللـه •

ونقف عند هذا : ونشير إلى ما رواه ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنه قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض ، فوالذى نفسى بيده لهم أشد تغايرا من التيوس فى زربها (٣)، وقد تكلم السلف بعضهم فى بعض بكلام ، منه ما حمل عليه الغضب أو الحسد ومنه ما دعا إليه التأويل واختلاف الاجتهاد ، مما لا يلزم

---

(١) مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٩١ •
(٢) المصدر السابق ج ٣٢ ص ٦٨٠ •
(٣) جامع بيان العلم وفضله •

المقول فيه ما قال القلقل فيه ، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا واجتهادا (١) .

جواب الشيخ محمد رشيد عن اشكال الحديث :

علم مما تقدم استعراض الشيخ محمد رشيد الآراء واجوبة العلماء فى الموضوع وتعقيبه على ذلك بما يعرف منه فهمه وهضمه لهذه الاجوبة وعنايته بها .

ولأنه يقف موقف المدافع عن السنة المبين لها فى عصره لم يقف جهده عند هذا ، بل تجاوزه — بعد الاستفادة منه — إلى الاجابة عنه بما يناسب عصره ، ويساير ما جد من نظريات علمية ثابتة .

وليس معنى هـذا أن نجرى وراء كل سراب يسـمى بالنظريات العلمية ، فان هذا يؤدى إلى تناقضات تتسع بها فجوة مخالفة النصوص للواقع المشاهد ولا تضيق .

أن من المقرر الثابت فى ذلك « أن كل ما خالف الأدلة القاطعـة العلمية من الأحاديث الظنية فى متنها أو فى معناها وجب العمل بالقطعى دون الظنى اجماعا » (٢) .

والحكم بمخالفة الظنى للقطعى إنما يكون بعد ثبوت عدم امكان التأويل بالبرهان القاطع والدليل الساطع .

ينبغى هنا معرفة الحديث الذى يثبت به الظن من غيره لأن بعضهم يفهم أن الحديث ظنى وهو متواتر لفظا أو معنى والمتواتر لفظا أو معنى لا يخالف القطعى بحال من الأحوال ، لأنهما قطعيان فلا يتعارضان .

(١) قاعدة فى الجرح والتعديل ص ١٤ .
(٢) انظر الروض الباسم ص ٢٣٢ ، وانظر الفية السيوطى ص ١٣٢

هذا تمهيد لابد منه ان يريد أن يلج هذا البـاب ، لأنه لا يفتح إلا لقلة من العلماء • ومن دخل ينبغى أن يكون على حذر ، لأن الزلل فيه قريب غير بعيد (١) •

وقد شمر الشيخ محمد رشيد عن ساعد الجد ودخل هذا الميدان ، ونجمل اجابته فيما يلى :

الجواب الأول فى علة السند :

علم مما تقدم أن الشيخ محمد رشيد ذكر مضمون حديث الشمس مع أحاديث أخرى من أحاديث الشيخين المشكلة من باب التمثيل لاثبات قلة من الأمثلة لها فى الصحيحين ولم يكن من موضوع المقال ايراد ألفاظها ولا الحكم فى هذه المشكلات ، لأنه بين الجواب فى موضع آخر من المنار ، قال : حديث أبى ذر جندب بن جنادة الذى يعد متنه من أعظم المتون اشكالا ، فهو يقول : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأله : أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ قال : قلت لا أدرى ، قال : أنها تنتهى دون العرش فتخر ساجدة ، ثم تقوم حتى يقال لها أرجعى ، فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها : ارجعى من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، وهذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمى عن أبيه عن أبى ذر وهو — أى ابراهيم — على توثيق الجماعة له مدلس ، قال الإمام أحمد ، لم يلق أبا ذر ، كما قال الدارقطنى لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهما ، وكما قال ابن المدينى لم يسمع من على ولا ابن

---

(١) انظر تفصيلا جيدا فى هذا لابن ابراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ فى الروض الباسم ص٢٠٣ •

عباس ، وقد روى عن هؤلاء بالعنعنة فيحتمل أن يكون من حدثه عنهم غير ثقة • وأعنى بهذا أن روايته عنهم مرسلة ، ولم يذكر من حدثه بها فثبت أنه يرسل ويدلس كما قال الحافظ فى التقريب ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالعنعنة فهذه علة فى اصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن فى البخارى ولا فى الاعمش ولا فى ابراهيم التيمى أيضا » (1) •

الجواب الثانى فى علة متن الحديث :

ضمن الشيخ اجابته هذه الاجابة عن سؤال ورده يقول : من المقرر عند علماء الجغرافية أن الأرض لها دورتان يومية وسنوية ، وان الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين الارض ، ويقتضى هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول « **والشمس تجرى لمستقر لها** » فأرجو من فضيلتكم جوابا شافيا كافيا ؟

واجاب الشيخ فقال : إذا كان ما ذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك أيضا : أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية ، وأنها تدور هى والكواكب السيارة التى حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها ، وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا : أن مجاميع الشموس كلها ــ أو العالم كله ــ يجرى فى الفضاء لغاية مجهولة • وتجدون فى المجلد الرابع عشر من المنار : أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشموس والكواكب مركزا واحدا هو مصدر التدبير

---

(1) انظر مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ج ٢٢ منها ص ٧٢٥ وفى ابراهيم انظر تهذيب التهذيب ١٧٦/١ ، وتقريب التهذيت ٤٦/١ ، مات ابراهيم سنة ٩٢ أو ٩٤ هـ عن اربعين سنة .

والنظام لها ، وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (١) ، قال الشيخ محمد رشيد : ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر » (٢) ، فجريان الشمس ثابت بالاتفاق ، فان دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالى — يسمى جريانا أيضا ، وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذى قال به بعض المتأخرين كما ذكر فى تقويم لفلامريون المشهور .

على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا فى السير المعنوى كما يقال جرى القضاء بكذا .

وأما المستقر الذى تجرى الشمس إليه أوله ففيه وجهان :

أحدهما : أنه ما ينتهى إليه أمرها بخراب عالمنا هذا التى هى ركن نظامه ، فيكون جريانها كجريان غيرها ، بمعنى قوله تعالى فى أول سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) (٣) وهو بمعنى ما روى عن قتادة قال تجرى لمستقر لها : « لوقتها ولاجل لا تعدوه » (٤) .

---

(١) انظر مجلة المنار ج ١٤ ص ٥٩٠ ، ٥٩١ .
(٢) يونس الآية ٣ .
(٣) الرعد الآية ٢ .
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧٢ .

ثانيهما : أنه مستقر نظامها لا أجلها • وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — ويؤيده حديث ابى ذر فى كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روى بألفاظ مختلفة أظهرها أخصرها ، وهو ما رواه الجماعة إلا ابن ماجة وغيرهم عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (والشمس تجرى لمستقر لها) قال : (مستقرها تحت العرش) وبعض ألفاظه مشكل فى ظاهره جدا ورواته أقل ، وهو ما ذكر فيه سجودها له تحت العرش ، واستئذانها وان فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) (١) والراجح عندنا أن الحديث مروى بالمعنى وهو فى أمر غيبى أخطأ بعض الرواة فى فهمه كما أخطأوا فى أمثاله ولا سيما أحاديث الدجال المتعارضة المتناقضة (٢) •

رأيى فى مناقشة الأستاذين لحديث الشمس :

بعد ما سبق من ايراد مناقشة الشيخين الأستاذ يوسف الدجوى والأستاذ محمد رشيد رضا لحديث أبى ذر رضى الله عنه فى سجود الشمس يمكن استخلاص أهم العلامات التى تميز بها كل منهما فى المناقشة •

فقد تميزت مناقشة الشيخ الدجوى رحمه الله بالحدة واتهام خصمه بالكفر وتكذيب الله ورسوله ، الأمر الذى سبق أن دللنا على عدم وروده فى أجوبة الشيخ محمد رشيد فى الموضوع •

---

(١) الرحمن الآية ٦ .

(٢) مجلة المنار ج ٣٢ ص ٧٨٣ ، ٧٨٤ .

وأظن أن سبب هذا الاتهام هو التنافس بين المتعاصرين وكثيرا ما يقع هذا ، كما وقع نظيره فى سلف هذه الأمة حكاه عنهم ابن عبد البر فى فصل عقدة فى كتاب جامع بيان العلم وفضله بعنوان — حكم قول العلماء بعضهم فى بعض — قال فيه بعد حكاية بعض ما وقع بينهم : هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس ، وضلت فيه نابتة جاهلة لا تدرى ما عليها فى ذلك والصحيح فى هذا الباب أن من صحت عدالته ، وثبتت فى العلم أمانته ، وبانت ثقته وعنايته بالعلم ، لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتى فى جرحه ببينة عادلة تصح بها جرحه [1] على طريق الشهادات .. الى أن قال : أن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب : ومنه ما حمل عليه الحسد كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم ، ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه ، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا واجتهادا لا يلزم تقليدهم فى شىء منه دون برهان ولا حجة توجبه » [2] .

وقول ابن عبد البر فصل فى هذا الذى وقع من الشيخ يوسف الدجوى فى معاصره الشيخ واتهامه له واخراجه من الملة ، ولا أظن أن الشيخ محمد رشيد إلا مؤمنا بالله ورسوله ، معظما لهما ، مدافعا عن كتاب الله وسنة رسوله كأحسن واصح ما يكون الدفاع .

---

(1) فى الأصل جرحته فى اللفظين وقد آثرنا جرحه على ما جرى عليه اهل هذا الشأن وان كانت « جرحته » صحيحة لغة على انه اسم مرة.

(2) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٨٦ .

ولا ينفى هذا أن يقع تقصير فى تعبير ، أو اشتباه فى أسلوب وقع له ، ولكن العبرة ليست فى تتبع الزلات ، وتوليد الهفوات بل الصواب : أن يقاس ذلك بمقياس يسع الكليات التى يمكن أن تقوم الجزئيات التى وقع فيها الاشتباه من خلالها .

وهذا مبدأ هام ينبغى اعتباره فى الأحكام التى من هذا القبيل لأن البشر معرضون للكسل والملل فوق ما هو مقرر من أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء فالبشر يخطئون ويصيبون والشيخ محمد رشيد يعرض له ما يعرض لسائر البشر من خطأ وصواب .

وإذا قيس عمله وانتاجه فى باب السنة نجده قد أدى من الخدمات فى تمحيصها وفهمها واستخلاص مدلولاتها ما لم يتيسر مثله الا لمن هداه الله إلى الحق ، ووفقه إلى الصواب .

وقد رأينا فى هذا الباب كيف اختلفت أجـوبة العلمـاء وتعددت آراؤهم ، بل نستطيع أن نقول أن الخطأ فى أجوبتهم هنـا أكثر من الصواب لدقة المسألة ولأنها فى أمر غيبى ، ومع هـذا لم يكفر بعضهم بعضا أو يخرجه من الملة .

أما جواب الشيخ محمد رشيد الذى التزم بأن يكتب ما يفهم ، ويوافق الواقع ، فهو جواب متفحص للمسائل يجهد نفسه فى البحث والتنقيب ليصل إلى الجواب الذى يمكنه كتابته لاقناع مستفت قامت لديه شبهة فى مخالفة النص لما ثبت عند علمـاء الفلك وغيرهم بهـذا السـبيل .

وهو يأتى بالجواب بعد معاناة يدلك عليها ارجـاء الاجابة وتأخير الفتوى مما سبق ذكره فيما نقلناه من نصوص .

ويجيب بعد هذه المعاناة بما يصلح للاطمئنان سواء فى ذلك للسند أو المتن أو ترجيح الرواية المختصرة التى يمكن أن يرد إليها سائر الروايات التى تعددت ألفاظها وهى رواية أبى ذر رضى الله عنه التى رواها الجماعة إلا ابن ماجة فى السؤال عن مستقر الشمس ، والجواب عليه (مستقرها تحت العرش) (١) .

مع امكان رد النظريات العلمية التى ثبتت عند علماء الجغرافية والفلك إلى هذه الرواية دون تعارض فهم يقولون بأن مجاميع الشموس — أو العالم كله يجرى فى الفضاء لغاية مجهولة حول كوكب مجهول ، ونحن نقول : انها تجرى تحت العرش لغاية محددة ، ولأجل لا تتعداه بتدبير الله سبحانه وتعالى .

ومن هذا التدبير نرى سر نظامها الذى به تقوم السماء والأرض، فاذا حان وقتها انفرط هذا النظام ، لتقوم الساعة ، ويومئذ لا تنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا .

فمن اكتفى بهذا فى التأويل فهو خير له ، ومن لم تسكن نفسه إليه فليقل : انه مروى بالمعنى فى أمر غيبى اتفق الرواة عليه فى أخصر رواية رواها الجماعة إلا ابن ماجة وأن فى سند الروايات المطولة مدلس عنعن هو ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمى ولم يوضح عمن أخذه وهو معروف بين علماء الجرح والتعديل بأنه يرسل ويدلس كما سبق ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالعنعنة ، فهذه علة فى أصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن فى البخارى ولا فى الاعمش ولا فى ابراهيم أيضا .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧١ .

وأصل الحديث ثابت فى الرواية المختصرة التى رواها الجماعة إلا ابن ماجة كما سبق تقريره •

وعلى هذا الأصل المختصر تحمل الروايات الأخرى المطولة فى الصحاح وغيرها مما ترد عليه هذه المناقشات التى سبق ايرادها •

والرواية المختصرة هى لأبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (والشمس تجرى لمستقر لها) •

قال (مستقرها تحت العرش) •

وقد تضمن تعقيب الشيخ محمد رشيد هنا كلمة لابد من ابداء بعض الملاحظات عليها • قال رحمه الله : بعد العلم القطعى الثابت بالحس فى مثل هذه المسألة وما فى حكمها لا مندوحة لنا من أحد أمرين •

أما الطعن فى سند الحديث وأن صححوه ، لأن رواية ما يخالف القطعى من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم • وأقرب تصوير للطعن فيما اشتهر رواته بالصدق والضبط أن يكون الصحابى أو التابعى منهم سمعه من مثل كعب الأحبار ونحن نعلم أن أبا هريرة رضى الله عنه روى عن كعب ، وكان يصدقه ، ونرى الكثير من أحاديثه عنعنة لم يصرح رضى الله عنه بسماعها من النبى صلى اللى عليه وسلم ومن القطى أنه لم يسمع الكثير منها من لسانه صلى الله عليه وسلم لتأخر إسلامه فمن القريب أن يكون سمع بعضها من كعب الأحبار ومرسل الصحابى إنما يكون حجة إذا سمعه من صحابى مثله • ومثل هذا يقال فى ابن عباس وغيره ممن روى عن كعب وكان يصدقه •

وأما تأويل الحديث بأنه مروى بالمعنى ، وأن بعض رواته لم يفهم المراد منه فعبر عما فهمه (١) .

وقد سبق الكلام فى استشكال العلماء لهذا الحديث وأجوبتهم عليه وهو حديث أبى ذر رضى الله عنه : أتدرى أين تغيب الشمس ؟ مع جواب الشيخ محمد رشيد ومناقشته أيضا فى هذا الموضوع .

ونورد هنا مناقشة صاحب الأنوار الكاشفة لهذه العبارة قال : أما قوله لا مندوحة عن أحد أمرين . بل بقى ثالث وهو التوقف ، ويتعين حيث لا يتهيأ للناقد تأويل مقبول ولا طعن معقول .

وقوله : ان مخالفة القطعى من علامات الوضع ، محله اذا تحققت المخالفة ، ولم يكن هناك احتمال للتأويل البتة .

وقوله : وأقرب تصوير للطعن ... الخ الطعن المعقول هو الذى يتحرى أضعف نقطة فى السند ، فما باله عمد إلى أقوى من فيه وهو الصحابى وهو أبو ذر الغفارى . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر» ثبت من حديث أمير المؤمنين على وعدد من الصحابة (٢) .

وسماع بعض الصحابة من كعب ، لا يفيد أنهم كانوا يصدقونه فيما يخطىء فيه ، بل فيه ردهم عليه ذلك كما يأتى على أن أبا ذر لم

---

(١) مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٥ ، وانظر الأنوار الكاشفة ص ٢٩٥ واضواء على السنة ص ٣٩٤ .

(٢) انظر الأنوار الكاشفة ص ٢٩٦ ، وقد رواه الحاكم فى المستدرك ٣٤٢/٣ .

ينقل عنه إصغاء إلى كعب ولا الى من هو مثل كعب ، بل جاء أن كعبا قال فى مجلس عثمان رضى الله عنه : ما أديت زكاته فليس بكنز • فضربه أبو ذر بعصاه وقال : ما أنت وهذا يا ابن اليهودية ؟

وفى البخارى عنه أنه قال فى زمان عثمان : « لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل [1] •

وقد علق صاحب الأنوار الكاشفة عليه فقال : افتراه يستغنى عن إخوانه من جلة الصحابة هذا الاستغناء ثم يأخذ عن كعب أو نحوه [2]•

فالشيخ محمد رشيد لم يكن فى جانب الصواب فى هـذا التعليق لما بيناه ولو أنه اقتصر على استعراض استشكال العلمـاء وتعليقه مع اجابته لكان أجدى وأنفع وأبعد من الزلل •

بقى أن نبين هنا موقفه من كعب الأحبار ووهب بن منبه [3] اللذين سار رأيه فيهما لما بثاه من مرويات عن أهل الكتاب فى التفسير وغيره•

وقد أشار إلى النقد عليهما فى نفس الموضوع الذى نحن بصدده وقد بينا أنه لا صلة بين حديث أبى ذر وكعب • ولكنا نتابع بيانه مجاراة للشيخ محمد رشيد • إذ كان يتكلم فى أحاديث الصحيحين المنتقدة •

---

(1) فتح البـارى ١٩/٤ •

(٢) ص ٢٩٦ الأنوار الكاشفة •

(٣) هو كعب بن ماتع الحميرى ثقة من الثانية مخضرم ، كان من اهل اليمن فسكن الشام ، ومات فى خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة ، وليس له فى البخارى رواية • تقريب التهذيب ١٣٥/٢ •

ووهب بن منبه بن كامل اليمانى ، أبو عبد الله الأبناوى ، ثقة من الثالثة تقريب التهذيب ٣٢٩/٢ •

والحق أن الإسلام وضع موازين تناول المسلم لما عند أهل الكتاب بحديث النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى صحيح البخارى عن أبى هريرة « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » وفيه عن ابن عباس أنه قال « كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محصنا لم يشب ، وقد حدثكم أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه » وفيه أن معاوية ذكر كعب الأحبار فقال « ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وان كنا من ذلك لنبلو عليه الكذب » ..

قال ابن كثير بعد أن حكى أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار (أنت تقول : أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال له كعب : ان كنت قلت ذلك فان الله قال (وآتيناه من كل شىء سببا). وهذا الذى أنكره معاوية رضى الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب. والحق مع معاوية فى ذلك الانكار فانه كان يقول عنه : إن كنا لنبلو عليه الكذب يعنى فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه. ولكن الشأن فى صحفه أنها من الاسرائيليات التى غالبها بدل وصحف فهو محرف مختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم إلى شىء منها بالكلية ، فانه دخل منها على الناس شر كثير ، وفساد عريض ، وتأويل كعب قول الله (وآتيناه من كل شىء سببا) واستشهاده فى ذلك على ما يجده فى صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق ، فانه لا سبيل للبشر إلى شىء من ذلك ، ولا إلى الترقى فى أسباب السموات . وقد قال الله فى حق

بلقيس (وأوتيت من كل شيء) أى مما يؤتى مثلهما من الملوك • وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعـداء وكبت ملوك الأرض ، واذلال أهل الشرك • قد أوتى من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا والله اعلم » (١) •

وهذا نقد جيد وليس فيه اتهام لكعب بشيء من الكذب على هذا التأويل ولقد كانوا يعرفون هذا الميزان فى النقد ويستعملونه كلما دعت الحاجة •

حدث أبو هريرة رضى الله عنه كعبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثه كعب عن التوراة ، قال أبو هريرة لكعب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة ••• وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو فى الصلاة يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه » • فقال كعب : ذلك يوم فى كل سـنة • فقلت « بل هى فى كل جمعة » فقرأ كعب التوراة ، ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم • هو فى كل جمعة » (٢) •

وزاد أبو هريرة رضى الله عنه أنه قص ذلك على عبد الله بن سلام فلما بلغ قول كعب : ذلك يوم فى السنة • قال عبد الله بن سلام كذب كعب • ثم قرأ كعب فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى كل جمعة • فقال عبد الله صدق كعب (٣) •

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠١/٣ بتصريف يسير •
(٢) سنن النسائى ١١٤/٣ •
(٣) المصـدر السـابق ١١٥/٣ •

وروى البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه فى التفسير باب قوله : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ••• » عن سعيدبن جبير قال : انا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال : سلونى ، قلت : أى أبا عباس جعلنى الله فداءك ، ان بالكوفة رجلا قاصـــا يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى اسرائيل (١) ••• قال ابن عباس : حدثنى أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) •

هذا بعض نقدهم لما رواه أهل الكتاب مما ثبت فى الصحيح • وليس فيه أنهم تعمدوا الكذب فيما يروونه عن كتب أهل الكتاب ، وليس فيه أن الصحابة كانوا يسكتون على ما يجدونه مخالفا لما عندهم فى الكتاب أو السنة •

والذى يتتبع ذلك يجد منه ما يزيد من اطمئنانه إلى استعمال ميزان النقد السليم الذى تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك •

هذا فيما ثبت من الرواية أما ما لم يثبت منها مما نقل عنهم فلا ذنب لهم فيه ، الأمر الذى ينبغى أن نكون منه على حذر ، لنعرف من أين تكون العلة فيما ينقل من أخبار أهل الكتاب ؟ وبهذا يكون النقد مجديا ويكون الجرح مبنيا على أساس •

وقد سبق نقل كلمة سيدنا معاوية رضى الله عنه فى كعب ، وتفسير ابن كثير لهذه الكلمة • ووقع فى كلام ابن عباس رضى الله عنه ما يدل

---

(١) اى أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل، وانما هو موسى ابن ميشا ابن افرائيم بن يوسف عليه السلام كما ورد فى رواية اخرى •

(٢) فتح البـــارى ٢٦/١٠ •

على كلام معاوية رضى الله عنه ويصدق تفسير ابن كثير قال : « يدل من قبله فوقع فى الكذب » فكعب لم يكن يكذب ، وإنما نسب إلى الكذب فيما وقع من بعض عباراتهم لأن من قبله يدل فنقل هذا المحرف فكان الكذب فيه ، لا منه •

أخرج البخارى لوهب حديثا ليس مسندا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بل هو قول لأبى هريرة رضى الله عنه قال الإمام البخارى بسنده إلى وهب بن منبه عن أخيه (همام) قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو : فانه كان يكتب ولا أكتب(١)• قال الإمام البخارى : تابعه معمر ، عن همام عن أبى هريرة •

وفى كتاب الجنائز ، وقيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح الا له أسنان ، فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك (٢) •

وليس هذا الحديث مرفوعا بل هو موقوف على أبى هريرة • قال الحافظ : وروى عن معاذ بن جبل مرفوعا نحوه • أخرجه البيهقى فى الشعب • وزاد « ولكن مفتاح بلا أسنان • فان جئت بمفتاح له أسنان

---

(١) فتح البارى ٢١٧/١ ، واجاب الحافظ فى شرح الحديث هذا عن قلة حديث عبد الله بن عمرو ، فالمروى عن ابى هريرة يزيد على مرويات عمرو بأضعاف مضاعفة بأن ابن عمرو كان مشغولا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم • وكانت اكثر اقامته بعد فتوح الأمصار بمصر والطائف ، ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بأن لا ينسى ، وما ظفر به عبد الله من كتب أهل الكتاب فى الشام فتجنب الأخذ عنه كثير من التابعين — انظر فتح البارى ٢١٧/١ •

(٢) فتح البـارى ٣٥٣/٣ •

فتح لك ، وإلا لم يفتح لك » وهذه الزيادة نظير ما أجاب به وهب . فيحتمل أن تكون مدرجة فى حديث معاذ [1] .

وإنما أثبتنا ما لوهب فى صحيح البخارى لنبين أنه ليس من رواة صحيح البخارى — وان وثقه الجمهور — لأنه ليس له فيه حديث مسند ورجال الصحيح من روى عنهم المسند .

قال الشيخ محمد رشيد : والحق أن البخارى قدس الله سره لم يرو عن كعب شيئا ، ولم يرو عن وهب حديثا مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنما روى عنه عبارة (هى فى كتابة العلم لأبى هريرة كما سبق) وعلق أخرى كما علمت آنفا [2] .

ورغم تأويل ابن كثير لعبارة معاوية رضى الله عنه فى كعب بما يبعد عنه تهمة الكذب . فقد كان ينتقد ما يروى عنه مما يخالف فيه المحفوظ عندهم قال بعد نقل ما روى عن كعب فى أن الذبيح اسحاق لا اسماعيل: فهذا إن كان محفوظا فالأشبه أن السياق إنما هو عن اسماعيل ، وانما حرفوه باسحاق حسدا منهم كما تقدم والا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان اسماعيل لا اسحاق فانه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام [3] .

وقال ابن كثير فى النقد على كعب هنا أيضا [4] : وهذه الأقــوال — والله أعلم — كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فانه لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديما ، فربما استمع

(١) فتح البــارى ٣/٣٥٣ .
(٢) مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٨ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ١٦/٤ .
(٤) أى فى زعم كعب أن الذبيح اسحاق لا اسماعيل .

له عمر رضى الله عنه • فترخص الناس فى استماع ما عنده • ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها ، وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده (١) •

وهذا نقد حاد من الحافظ ابن كثير لا يعدله الا نقد الشيخ محمد رشيد الذى يقول فيهما : اننــا نرى الحافظ ابن كثير يســتنكر بعض الروايات عن كعب ووهب من غير طعن فى سندها لعلمه بصحته ، وهذا يتضمن تكذيبهما ، وان لم يصرح به إذ موضوعه نقد المروى لأنه باطل لا الطعن فى الرواة (٢) •

والشيخ محمد رشيد يقول هذا وهو بصدد نقد بعض المرويات التى سبق ذكرها ومنها استشكال العلماء لحــديث أبى ذر رضى الله عنــه موضوع هذا البحث وهو لا ينكر أن جمهور رجال الجرح والتعــديل عدوا كعبا ووهبا من الثقات فى الرواية ولم يقبلوا طعن ابن الفلاس منهم فى وهب لأنهم نقلوا عنه ما يدل على رجوعه عما رماه به من البدعة وأن منهم من تأول تكذيب معاوية لكعب بأنه يعنى وقوع الكذب فى رواياته لكذب من أخذ عنهم لا لكذبه هو ـــ كما نقل ابن التين عبــارة ابن عباس رضى الله عنه فى كعب وهى : بدل من قبله فوقع فى الكذب• وقال ابن حبان فى الثقات : أراد معاوية أنه يخطىء أحيانا فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كاذبا (٣) •

---

(١) تفسير القرآن العظيم٤/١٧ جـ ٤١ مطبعة الاستقامة •
(٢) مجلة المنار جـ ٢٧ ص ٦١٤ •
(٣) انظر المصدر السابق ص ٥٤٢ •

والذي يتأمل عبارة معاوية رضى الله عنه « ان كان من أصـــدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب • وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » يجدها نصاً فى جرح كعب ، وأن تأويل ابن كثير وابن حبان لها بعيد والأصل فى تأويل العبارة مرجع الضمير فى عليه ، هل يعود إلى الكتاب أم يعود إلى كعب • فالقسطلانى أورد أن الضمير يعود على كعب يعنى أنه يخطىء فيما يقوله فى بعض الأحيان ، ولم يرد أنه كان كاذبا • وأورد بصيغة التمريض — قيل — ان الهاء فى — عليه — راجعـــة إلى الكتاب •

ويرى الشيخ محمد رشيد — والحق معه — أن الضمير يعود على كعب لأن الحديث عنه لا عن الكتاب الذى لم يذكر عمدة فى كلام معاوية• والعبارة استدراك على ما قبلها ، ولا معنى لهذا الاستثناء على القول باحتمال عود الضمير إلى الكتاب (1) •

والخلاصة فى هذا : أن نقدهم لروايات كعب ووهب أبعد الجزء الأكبر مما روى عن أهل الكتاب ، سواء كان هذا المروى مخالفا لما عندهم من كتب أهل الكتاب أو مما وقع فيه التبديل والتحريف • وأننا لسنا بحاجة إلى شىء من هذه المرويات كما قرره الحافظ ابن كثير وتبعــه الشيخ محمد رشيد فى ذلك •

وأنه يجب البحث فى مرويات كعب ووهب على أساس من النقـــد المقارن بالأصول التى ينقلون عنها مما لم يكن ميسورا فى العصـــور المتقـــدمة •

---

(1) نفســـه ص ٥٤٣ .

وأن تبعة نقل الاسرائيليات فى التفسير وغيره تقع عليهما، قال الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة فى كعب : وكنا نحب لو أنه أراحنا من كل هذا الركام المتهافت الذى سمم العقول والأفكار وجر على المسلمين البلاء (١) .

وقال فى وهب : ونحن لا ننكر أن بسببه دخل فى كتب التفسير اسرائيليات وقصص بواطل ، ولكن الذى ننكره . أن يكون هو الذى وضع ذلك ، واختلقه من عند نفسه . ولكنا مع هذا : لا نخليه من التبعة والمؤاخذة ان كان واسطة من الوسائط التى نقلت هذا إلى المسلمين . وألصقت بالتفسير الصاقا ، والقرآن منها برىء ، وياليته ما فعل » (٢).

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى التفسير ص ١٤٨ .
(٢) نفســه ص ١٤٩ .

الفصل الثانى

تحريف أبى رية لما نقل عن رشيد رضا

كان لكتاب — أضواء على السنة المحمدية — وقع سىء على علماء الحديث لما فيه من افتراء على السنة ، وترديد لمزاعم المستشرقين فيها ، وتهجم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد أكثر مؤلف الكتاب من النقل عن الشيخ محمد رشيد ، لأنه من كبار أئمة الفقه المجتهدين عند أهل السنة ، الذين يعتد برأيهم ، ويوثق بعلمهم ويؤخذ عنهم ، وأنه بلا منازع شيخ محدثى أهل السنة فى عصرنا (١) •

والذى ينظر فى هذه النصوص التى نقلها مؤلف هذا الكتاب وعزاها للشيخ محمد رشيد يجد أنها نصوص حرفت من أجل الاستدلال بها على ما يريد من طعن فى السنة وتحامل على الصحابة رضــوان الله عليهم •

ومؤلف الكتاب ليس محرفا فى النصوص التى عزاها للشيخ رشيد فحسب ، بل حرف نصوصاً أخرى عزاها لابن كثير ، وفعل ما هو أعظم من ذلك فنسب كلام النظام من رؤساء الاعتزال ، وشتائمه لكبــار الصحابة رضوان الله عليهم لابن قتيبة الذى نقل كلام النظام فى كتابة

---

(١) اضواء على السنة ص ٣٥ محمود ابو رية ص ٣٥ .

تأويل مختلف الحديث ليرد عليه ولكن أباريه نسب كلام النظام الى ابن قتيبه وتغافل عن رد ابن قتيبة عليه . والرد على الكلام مباشرة وليس بعيدا عنه ، وإنما فعل ذلك ليصل إلى غرضه فى الطعن على الصحابة رضوان الله عليهم ، والنيل من مكانتهم فى نفوس المسلمين .

ويوهم هذا أيضا أن ابن قتيبة وهو من أئمة أهل السنة فى عصره على مذهبه ورأيه فى السنة والصحابة .

ونسوق هذا المثال الذى حكاه ابن قتيبة ورد عليه . فنسبه أبو رية الى ابن قتيبة وأهمل جوابه عليه .

نقل أبو رية فى كتابه أضواء على السنة المحمدية ونسبه إلى ابن قتيبة قوله : (١) « انه لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين إليه ، اتهموه ، وأنكروا عليه ، وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك ، ومن سمعه معك ؟ وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها أشدهم انكارا عليه لتطاول الأيام بها وبه » .

فهذا الكلام الذى نسبه أبو رية لابن قتيبة ، أورده ابن قتيبة لتفنيده ونقضه كما نقض غيره من كلام النظام واتهامه للصحابة رضوان الله عليهم .

وكان مما قال فى رده : فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمته وشبع بطنه ، وكان فقيرا

---

(١) اضواء على السنة ص ٢٠٣ ، وانظر تأويل مختلف الحديث ص ٣٨ .

معدما ، وأنه لم يكن يشغله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودى »(1) ، ولا الصفق بالأسواق يعرض أنهم كانوا يتصرفون فى التجارات ، ويلزمون الضياع (2) فى أكثر الأوقات وهو ملازم له لا يفارقه فعرف ما لم يعرفوا ، وحفظ ما لم يحفظوا — أمسكوا عنه وكان مع هذا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه . وكذلك كان ابن عباس يفعل ، وغيره من الصحابة ، وليس هذا كذبا — بحمد الله — ولا على قائله إن لم يفهمه السامع — جناح ، إن شاء الله .

وهكذا فند ابن قتيبة هذه التهم وغيرها . وقال فى آخر ذلك : فهذه أقاويل النظام ، قد بيناها ، وأجبناه عنها (3) .

هذا نمط من اجتهاد أبى رية فى تحرى النص وتوثيقه يبين أنه ذا نية غير سليمة فى الأخذ بالنص ، ونسبته إلى غير صاحبه كليسة ، فضلا عن تحريفه والحذف منه وقطعه عما يبينه ويوضحه من مقدمته أو خاتمته .

ونلم بعد هذا بما حرفه من نصوص عزاها للشيخ محمد رشيد لتكون سلما له فى التهجم على السنة والقدح فى الصحابة رضوان الله عنهم .

قال أبو رية فيما عزاه للشيخ محمد رشيد : وما يدرينا أن كل الروايات أو الموقوفة منها — ترجع إليهما — كعب ووهب — فإن الصحابة

---

(1) الودى : على « فعيل » صغار الفسيل ، واحده « ودية » .
(2) أى العقارات كما فى المصباح .
(3) انظر تأويل مختلف الحديث ص 41 ، 42 ، ط بيروت 1972 م.

رضوان الله عنهم لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل • بل يذكرونه بالمناسبات من غير عزو غالبا ، وكثير من التابعين كذلك •

وبالرجوع إلى النص فى مصدره تبين أنه حذف منه ما يساعده على الطعن والتجريح فالنص يقول : وما يدرينا أن تلك الروايات الخ• فأسقط أبو رية منه كلمة « تلك » التى أشار بها الشيخ محمد رشيد إلى مرويات كعب ووهب عن أهل الكتاب لتوهم العبارة بأن كل روايات الصحابة ترجع اليهما • فانظر إلى هذا الدس والتلاعب فى نقل النصوص لتتفق مع أهوائه وأغراضه •

ومن النصوص التى نقلها عن الشيخ محمد رشيد ويترها عن مقدمتها وخاتمتها لتؤدى المعنى الذى يهدف اليه فى الطعن على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قوله : (٢) « انه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن ، وإخبار النبى صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التى تقع بعده ، ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب فى نفسه • ولو انفرد بمثله غير صحابى لعد من العلل التى يثبت بها فى روايته ، كما هو المعهود عند نقاد الحديث ، أهل الجرح والتعديل ، وكذلك نرى الناس مازالوا يتكلمون فى بعض روايات أبى هريرة (٣) •

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٢٠ •
(٢) المصدر السابق ص ٢١٩ •
(٣) انظر مجلة المنار ج ١٩ ص ٩٧ •

فقد ساق أبو رية هذا النص دون مقدمته وخاتمته لما فيهما من ثناء على أبى هريرة ، وتقرير لنبوغه فى الحفظ والضبط وعدالته وثقته فى الرواية وقوة الذكر (الذاكرة) .

قال الشيخ محمد رشيد مقدمة لما نقله أبو رية متعمدا حذف مقدمته (قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضى الله عنه ، راوية ثقة عدل ، وأنه من نوابغ البشر فى الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر . وعلم أيضا أنه انفرد .. الخ ما نقله أبو رية متعمدا حذف هذه المقدمة) (١) .

وأى عيب بعد هذا التقدير الثابت لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه إذا سمع ما لم يسمع غيره فرواه فكان مظنة الغرابة ، لأن الموضوع دقيق فى ذاته لأنه فى الفتن وبعض المغيبات التى تقع بعده صلى الله عليه وسلم ؟

ثم انه تقدير ثابت لأبى هريرة رضى الله عنه لأنه صحابى لو انفرد بمثل ما يرويه غيره لعد من العلل التى يثبت بها فى روايته ، فأى تقدير بعد هذا يمكن أن يثبت لأبى هريرة رضى الله عنه .

ولكن أبا رية أراد أن يستدل بهذا النص على عكسه تماما ، سيما بعد أن حذف مقدمته ، لأنها أثبتت له ما أراد هو نفيه .

أما خاتمة النص الذى أورده وتعمد أيضا حذف هذه الخاتمة فهى : « ومن عرف ترجمة أبى هريرة معرفة تامة يجزم بعدالته وبراءته من الكذب على أحد من الناس ، بله الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى روى هو وغيره عنه أنه قال « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر » (٢) .

---

(١) مجلة المنار ج ١٩ ص ٩٧ .
(٢) المصدر الجزء والصفحة السابقة .

فهذه خاتمة ناصعة أراد أبو رية أن يخفيها ويمحوها لأنها لا تساعده فى الوصول إلى هدفه .. وهذا يبين لنا أى هدف كان يهدف ، وأى غاية كان يسعى اليها .

كما تبين لنا البعد ما بين هدفى الرجلين ، الذى أراد هو أن يجعل من السيد رشيد رضا باحثا يسعى إلى مثل هدفه وهيهات .

وليس أبو رية على هذا النحو فيما سبق من نص فحسب ، بل أن حذف ما لا يفيد أو يعارض ما يريد أن يصل إليه ، هو دينه الذى لا يفارقه . وانظر إلى هذا النص الذى نقله عن الشيخ محمد رشيد أيضا ، قال أبو رية « كان اسلامه فى سنة سبع من الهجرة فصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ونيفا ، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبى صلى الله عليه وسلم وانما سمعها من الصحابة والتابعين ، فاذا كان جميع الصحابة عدولا فى الرواية ، كما يقول جمهور المحدثين فالتابعون ليسوا كذلك ، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار وأكثر أحاديثه عنعنة ، على أنه صرح بالسماع فى حديث « خلق الله التربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار (١) .

هذا ما نقله عن الشيخ محمد رشيد وقد تعمد أن يحذف منه ما لا يتفق وهواه . فقد قال الشيخ مقدمة لكلامه : « أقول أن أبا هريرة رضى الله عنه ، كان من أحفظ الصحابة وهو صادق فى تحديثه ، ولكن اسلامه كان فى سنة سبع ... الخ ما نقله أبو رية » (٢) .

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٢) مجلة المنار ج ١٩ ص ٤٣ .

وهذا الذى حذفه أبو رية يدل على مدى حقده على أبى هريرة رضى الله عنه وتحامله عليه بتحريف ما يقع فى ذلك من نص وحذف ما يكون تقريرا عن حال أبى هريرة رضى الله عنه ، وما كان عليه من حفظ وضبط وعـدالة .

على أن الذي حذفه أبو رية هنا من خاتمة النص لا يختلف عما حذفه من مقدمته ونسوقه بيانا للحقيقة ، وانصافا للصواب . قال الشيخ فى خاتمة النص الذى ساقه أبو رية : « وأما نهى عمر له عن التحديث فلأن عمر رضى الله عنه ، كان يرى التشديد فى رواية الحديث وكتابته ، وهذه مسألة كبيرة سبق للمنار سبح طويل فيها ، وقد كتب بعض المبشرين بالنصرانية مقالا طـويلا بالطعن فى حديثـه وجاؤا بشبهات على ذلك من بعض الكتب ، وغرضهم من الطعن فيه الطعن فى رواية السنة وصحتها ، وقد فندنا كلامهم فى مقال مفصل نشرناه فى المجلد التاسع عشر » (١) .

هذا ما حذفه أبو رية من خاتمة النص لأنه لا يسير مع هواه ، ولأنه يكشف عن بعض ما يهدف إليه أبو رية من الطعن فى أبى هريرة رضى الله عنه ، ليكون على مذهب المبشرين فى الطعن فى رواية السنة وصحتها ، وهو الأمر الذى تصدى له الشيخ محمد رشيد وفنده بقوة منطق ، ورصانة حجة فى رده على المبشرين الذين طعنوا فى السنة ، وتناولوا أبا هريرة رضى الله عنه ، وأتهموه بما لا يليق (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .
(٢) انظر المجلد ١٩ من مجلة المنار ص ٥٠/٢٥ ، ص ١٠٩/٩٧ .

ورغم يقينى من خلال الدراسة والبحث فيما كتبه الشيخ محمد رشيد واقتناعى بما قدم من خدمات لدينه وأمته ، إلا أن هذا لا يمنع من القول بأنه جانب الصواب فى بعض المواقف ، وزل قلمه الذى كثيرا ما وضح وبين ، ودافع عن الإسلام فى وجه المبشرين وأمثالهم ٠

ومن هذه الزلات دندنته فى النص السابق حول عدالة الصحابة رضوان الله عليهم ٠ وقوله فى أبى هريرة رضى الله عنه : « قد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار وأكثر أحاديثه عنعنة ، على أنه صرح بالسماع فى حديث « خلق الله التربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار » ٠

أما سماعه من كعب الأحبار ، فليس فيه ما يجد مطعنا عليه ، لأن غيره سمع كذلك من كعب الأحبار ، ولأنه قد ورد الحديث بإباحة ذلك، وعدم تكذيبهم أو تصديقهم فيما ينقلون عن كتبهم ، لئلا يقع تصديق باطل ، أو تكذيب حق ٠ قال البيهقى : « ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حدثكم أهل الكتاب ، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ٠ وقولوا آمنا بما أنزل الله من كتاب » (١) وقال : أخبرنا أبو عمر والأديب أنا أبو بكر الاسماعيلى ثنا القاسم بن زكريا حدثنا أبو موسى محمدين المثنى ثنا عثمان بن عمر ثنا على — يعنى ابن المبارك — عن يحيى ابن أبى كثير عن سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ٠ وقولوا آمنا بالله وما أنزل

(١) الاسماء والصفات ص ٣٣٧ احياء التراث العربى ببيروت ٠

إلينا وما أنزل اليكم ، وآلهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » • رواه البخارى فى الصحيح عن محمدين بن بشار عن عثمان بن عمر » (١) •

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (٢) •

ثم ماذا على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه إذا بين فيما يرويه أنه عن كعب وجاء من روى عنه فنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع الغلط ممن روى عن أبى هريرة لا منه ؟

قال بسر بن سعيد : اتقوا الله ، وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب ثم يقوم • فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) •

فأى ذنب اقترفه أبو هريرة رضى الله عنه فى هذا ؟ وهل من العدل أن يحاسب هو على خطأ غيره ؟ اللهم لا •

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٠ •

(٢) هداية البارى الى ترتيب احاديث البخارى • وقال : ولا حرج : اى لا ضيق عليكم ولا اثم فى تحديثكم عنهم بما وقع لهم من الاعاجيب ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الأخذ عنهم ، والنظر فى كتبهم وذلك قبل استقرار الأحكام الإسلامية ، والقواعد الدينية خشية الفتنه . ثم لما زال المحذور اذن لهم فى ذلك ، لما فى سماع الأخبار التى وقعت فى زمانهم من الاعتبار ١٠/١٩٥ : كما قال والحديث رواه البخارى والترمذى •

(٣) سير اعلام النبلاء للذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ ص ٤٣٦ •

وأما الشطر الثانى من الكلام فهو قوله : على أنه صرح بالسماع فى حديث « خلق الله التربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار » .

وهو يشير بهذا إلى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم قال : « حدثنى سريج بن يونس وهارون بن عبد الله قالا : قال ابن جريج اخبرنى اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » (١) .

وقد تكلم عدد من الحفاظ على هذا الحديث . قال على بن المدينى « وما أرى اسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من ابراهيم بن أبى يحيى قلت وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذى عن أيوب بن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف وروى عن بكر بن الشرود عن ابراهيم بن أبى يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد ، واسناده ضعيف والله اعلم » (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٤٩ رقم ٢٧٨٩ باب ابتداء الخلق وخلق آدم .

(٢) الاسماء والصفات للبيهقى ص ٣٨٤ وانظر تقريب التهذيب ٢/٢٨٦ .

وابراهيم بن أبى يحيى غير محتج به فلا يثبت الخبر عن أيوب ولا من فوقه وابن المدينى من كبار شيوخ البخارى ، ولكن البخارى أعل الحديث بغير ما أعله به ابن المدينى فقال : وروى اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله التربة يوم السبت » وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح » (١) .

قال ابن كثير : « وهكذا رواه مسلم عن سريج بن يونس وهارون ابن عبد الله والنسائى عن هارون ويوسف بن سعيد ثلاثتهم عن حجاج ابن محمد المصيصى الأعور عن ابن جريج به مثله سواء .

وقد رواه النسائى فى التفسير عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى عن محمد بن الصباح عن أبى عبيدة الحداد عن الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء ابن أبى رباح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدى فقال : يا أبا هريرة . أن الله خلق .. وذكر تمامه بنحوه . فقد اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى وغيرهم من الحفاظ (٢) ،

وساق كلام البخارى المتقدم فى أن الأصح عنده أن أبا هريرة أخذه عن كعب الأحبار فانهما كانا يصطحبان ، ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبى صلى الله عليه

---

(١) التاريخ الكبير للإمام البخارى ٤١٣/١/١ ط ١ الهند .

(٢) قال فى الاسماء والصفات ص ٣٩٣ « هامش » : اتفق الناس على أن السبت لم يقع فيه خلق . وأن ابتداء الخلق يوم الاحد ، كما ذكره الحافظ عبد القادر القرشى فى الجامع من طبقاته مؤاخذا لمسلم فى تخريجه الحديث .

وسلم ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأكد رفعه بقوله : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى» ثم فى متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض ، وما فيها فى سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن، لأن الأرض خلقت فى أربعة أيام ، ثم خلقت السموات فى يومين من دخان » (١) .

وتكلم ابن كثير عن هذا الحديث فى تفسيره ، عند قوله تعـالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » ٥٤ الأعراف فعزا الحديث إلى أحمد ومسلم والنسائى وسند أحمد : حدثنا حجاج ابن جريج ، أخبرنى أسماعيل ابن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله ابن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله ... الخ الحديث .

وقال : وفيه استيعاب الأيام السبعة ، ولهذا تكلم البخارى وغير واحد من الحفاظ فى هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبى هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا والله أعلم (٢) .

---

(١) البداية والنهاية ١/١٧ ه ١ مكتبة المعارف ببيروت ومكتبه النصر . الرياض وابن كثير يشير الى مخالفـة الحديث لآيات : (الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ٤ السجدة ، وقوله تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى اربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ..) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ من فصلت .

(٢) تفسير القرآن العظيم ط ٤ مطبعة الاستقامة ٢/٤٣٦ .

وقد أشار العماد بن كثير إلى عنصرين من عناصر المخالفة فى الحـديث :

١ ــ أنه ليس فيه خلق السموات •

٢ ــ أنه استوعب الأيام السبعة فى الخلق • والقرآن يبين أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام كما سبق •

٣ ــ وقد أشار الحافظ القرشى فى الجامع من طبقاته إلى أن أول الستة يوم الاحد ، وحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بدأ فيـه الخلق يوم السبت •

هذه خلاصة ما أورده الحافظ من مخالفة فى هذا الحديث •

وكلام الحفاظ هنا لا يتجه فيه الاتهام إلى أبى هريرة رضى الله عنه ، مع دخول كلامهم فى فن نقد الحديث وأدب المحدثين •

والذى أرجف باتهام أبى هريرة رضى الله عنه ، وتبجح فى هذا هو أبو رية فقد ظن أنه وقع على صيد ثمين ، ودليل قوى لا ينقض فى اتهام أبى هريرة رضى الله عنه والنيل منه ، وبالتالى الطعن فى السنة وزعزعة مكانتهـا فى نفوس المسـلمين كما يهـدف إليـه المبشرون وتلاميذهم •

واستظهر أبو رية فى ذلك بكلمة السيد محمد رشيد رضـا فى الحديث وهى كلمة لا تحمل المعنى الذى يريد ابرازه ، ووسم أبى هريرة رضى الله عنه به وان كانت من زلات القلم التى تحسب عليه •

قال أبو رية : « ومن العجيب أن أبا هريرة رضى الله عنه ــ قد صرح فى هذا الحديث (بسماعه) من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به • وانى لاتحدى الذين يزعمون أنهم

على شيء من علم الحديث عندنا ، وجميع من هم على شاكلتهم فى غير بلادنا أن يحلوا لنا هذا المشكل » (1) •

ونعرض عما أضافه بعد هذا من تهم وتعليقات ، ونقف عند هذا النص لنرى هل صحيح أنه مشكل غير قابل للحل ؟ وهل الاتهام فيـــه موجه إلى أبى هريرة رضى الله عنه ؟ ومن الذى وجه هذا الاتهام ؟ أهم الحفاظ الذين تكلموا فى هذا الحديث ، وهم أعرف بحديثهم ومن يأخذون عنه الحديث ؟ أم أن أبا رية هو الذى وجه هذا الاتهام ؟

لقد رأينا كلام ابن المدينى الذى أعل الحديث بأن اسماعيل بن أمية أخذه عن ابراهيم بن أبى يحيى ، وإبراهيم غير محتج به فلا يثبت الخبر بروايته •

وأعل الإمام البخارى الحديث بأن الاصح أن أبا هريرة أخذه من كعب الأحبار • ومعنى هذا أنه رواه عنه • وروى حديثا آخر صحيحا أوله أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى • فوهم من أخذ من عن أبى هريرة ، وجعل ما رواه عن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب كما ورد ذلك فى نص بسر بن سعيد المتقدم •

وقد صرح أيضا بهذا ابن كثير فيما سبق من نص نقلناه عنه قال : فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم • وأكد رفعه بقوله : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى (2) •

---

(1) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٩ •

(2) البداية والنهاية ١٧/١ .

فأى اتهام فى كلام هؤلاء الحفاظ لأبى هريرة رضى الله عنه ؟ اللهم لا اتهام فى كلامهم ، وإنما المتهم غيرهم ، وسيجازى كل بما اجترح •

هذا ما يقال عن الاتهام ، أما عن الحديث فهل وقفت جهود المحدثين عند هذا ؟ أم أن جهودهم استمرت فى البحث والتمحيص لحفظ السنة، والدفاع عنها ؟ لقد استمرت هذه الجهود وستستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

ومن هذه الجهود ما وقفت عليه فى حل ما أشكل من هذا الحديث : قال صاحب الأنوار الكاشفة ما حاصله : أعل البخارى الخبر بغير ما أعله به ابن المدينى • فاسماعيل ابن أمية ثقة عندهم غير مدلس ، لهذا قال البخارى : وقال بعضهم : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح ومؤدى صنيع البخارى أنه يحدث أن أيوب أخطأ لثلاثة أمور • الأول: استنكار الخبر لما مر • الثانى : أن أيوب ليس بالقوى • وتكلم فيه الأزدى ولم ينقل توثيقه عن أحد من الأئمة ، ووثقه ابن حبان ، وتوثيق ابن حبان فيه تسامح معروف • الثالث : الرواية التى أشار إليها بقوله: وقال بعضهم وليت البخارى ذكر سندها ومتنها • فقد تكون ضعيفة فى نفسها ، وانما قويت عنده للأمرين الآخرين •

ويدل على ضعف الرواية التى أشار إليها البخارى ، أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ، ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد • وهو قول أهل الكتاب المذكور فى كتبهم وعليه بنوا قولهم فى السبت (١) • وفى الدر المنثور أخرج ابن أبى شيبة عن

---

(١) انظر الاسماء والصفات ص ٣٨٣ وتاريخ الطبرى ١/٢٤/٢٥ •

كعب قال : بدأ الله بخلق السموات والأرض يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة • الخ (١) وأسنده ابن جرير في تاريخه فهذا يدفع أن يكون ما في الحديث من قول كعب •

وأيوب لا بأس به وصنيع ابن المديني يدل على قوته عنده وقد أخرج له مسلم في صحيحه كما علمت وان لم يكن حده أن يحتج به في الصحيح • فمدار الشك في هذا الحديث على الاستنكار ، وقد يجاب عنه بما يأتي :

لم ينص في حديث أبي هريرة على خلق السماء ، والاشارة إلى النور في اليوم الخامس وفي السادس خلق الدواب • والدواب في حياتها تحتاج إلى الحرارة ، والنور ومصدرهما الأجرام السماوية •

وليس في الحديث أنه خلق غير آدم عليه السلام في اليوم السابع• وليس في القرآن ما يدل على أن خلق آدم كان في الأيام الستة ، ولا في القرآن ولا السنة ولا المعقول ، أن خالقية الله عز وجل وقفت بعد الأيام الستة بل هذا معلوم البطلان فخلق آدم في اليوم السابع لا يعارض آيات القرآن •

والآثار الواردة في أن ابتداء الخلق يوم الأحد ، فما كان فيها مرفوعا فهو أضعف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه • وغير المرفوع منه معامته من قول عبد الله بن سلام وكعب ووهب ومن يأخذ من الاسرائيليات • وتسمية الأيام كانت قبل الإسلام تقليدا لأهل الكتاب،

---

(١) الدر المنثور ٣/٩١ .

ولم يغيرها الإسلام لعدم الضرورة • وهذا لا يعد اعترافا بمدلولات هـذه التسمية • إذ أنهـا أصبحت لا تدل على ذلك ، وإنما تدل على مسمياتها فى ترتيب الأيام فقط (١) •

هذا مجمل ما يقال فى هذا • ومنه يتبين أنه لم يحم أحـد من المحدثين حول اتهام أبى هريرة رضى الله عنه ، وأنه من المستبعد أيضا أن يكون أخذه عن كعب وغيره ممن يروون عن أهل الكتاب ، لأن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه يخالف أصولهم التى ينقلون عنها فى ترك العمل يوم السبت حسب مدلول التسمية عندهم •

وأن استيعاب الأيام السبعة فى خلق آدم وحده فى اليوم السابع فى آخره وهذا لا يعارض آيات القرآن الكريم فى خلق السـموات والأرض فى ستة أيام ، لأن خالقيته تعالى لم توقف بعد خلق السموات والأرض •

فاذا أضفنا إلى هذا معنى الآية « وان يوما عند ربك كألف سـنة مما تعدون » مع ما ورد من الآثار « وجعل كل يوم ألف سنة » وخلق آدم فى آخر اليوم السابع ، فان التناسب واضح بين القرآن والحديث ان شاء الله •

ومما يستأنس له فى ذلك : أن تسـمية الأيام حادثة بعـد خلق السموات والأرض • فالتعبير بها عن الخلق فيه تجوز • قال الطبرى : اليوم اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمت أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التى

(١) انظر الأنوار الكاشفة ص ١٨٩/١٩١ •

علقها ، فأثبت مواقيت ، وسميتها بالأيام ولا شمس ولا قمر • وهـذا ان لم تأت ببرهان على صحته • فهو كلام ينقض بعضه بعضا •

وأجاب فقال : ان الله سمى ما ذكرته أياما ، فسميته بالاسم الذى سماه به وكان وجه تسمية ذلك أياما ولا شمس ولا قمر ، نظير قـوله تعالى : « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » (١) ولا بكرة ولا عشى هنالك إذ كان لا ليل ولا شمس ولا قمر (٢) •

فهذه اجابات عن استنكار ما استنكروه فى هذا الحديث • وهى ليست اجابات متمحلة والحمد لله • وليس فيها على كل حال اتهـام لأبى هريرة سواء قلنا بصحة الحديث أو بعدم صحته ، ونقله عن كعب والحمد لله الذى يعصم من الهوى والزلل •

---

(١) سورة مريم الآية ٦٢ .
(٢) تاريخ الطبرى ١/٢٤/٢٥ ط دار المعارف .

تحكم فى فهم النص على وجه غير سليم

وأبو رية بعد ما تقدم له من تحريف فى النصوص التى ينقلها عن الشيخ محمد رشيد وغيره من العلماء ، يتحكم فى فهم النص كما يريد، لا كما ينبغى أن يفهم .

وأسوق شاهدا على هذا ما نقله عن الشيخ محمد رشيد قال (١) : « لا شك فى أن أحاديث الجامع الصحيح للبخارى فى جملتها أصح فى صناعة الحديث ، وتحرى الصحيح من كل ما جمع فى الدفاتر من كتب الحديث . ويليه فى ذلك صحيح مسلم ومما لا شك فيه أنه يوجد فى غيرهما من دواوين السنة أحاديث أصح من بعض ما فيهما . وما روى من رفض البخارى وغيره لمئات الألوف من الأحاديث التى كانت تروى يؤيد ذلك ، فانما نفوا ما نفوا لينتقوا الصحاح الثابتة » .

فأبو رية يعلق على الفقرة الأخيرة « لينتقوا الصحاح الثابتة » بقوله : أى فى رأيهم لا أنها صحيحه ثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهو تحكم فى فهم النص لا معنى له . فالذى ينتقى ويدقق ويمحص فانما يريد أن يصل الى الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإمام البخارى رضى الله عنه بما اشترط فى صحيحه من العلم باجتماع كل راو بمن روى عنه ، لأجل الثقة بسماعه منه . فضلا عن معاصرته له ، انما عبر عن أقصى درجات التوثيق فى

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٣٠٤ وانظر النص فى مجلة المنار ج ٢٩ ص ١٠٤ .

نقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا تلقت الأمة كتابه بالرضى والقبول ، فاذا جاء أبو رية بعد ذلك ليشكك فى ثبوت ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بالتحكم فى فهم نص لا يدل على ما يريد ، فهو مخالف لما أجمعت عليه الأمة وهى لا تجتمع على ضلالة بحمد الله ٠

على أن فحوى النص ومضمونه لا يساعدان على الفهم الذى أراده أبو رية من النص ٠ فمضمون النص يجعل صحيح البخارى أول كتب الحديث صحة ويليه صحيح مسلم ، فهما أولى كتب السنة عناية باخراج الصحيح ، الموثق نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وقد أصبح هذا المضمون علميا بعد توارد الأخـذ من هذه الكتب واستمرار البحث والتمحيص فيما نقلته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال القرون الطويلة منذ تلقى الصحابة رضوان الله عليهم عنه صلى الله عليه وسلم وحتى عصرنا الحاضر ٠

ومعنى هذا أن التشكيك فى هذه السنة ورواتها لا سيما صيحى البخارى ومسلم لم يعد أمرا علميا يمكن أن يدعيه متناول لهذه السنة يتجرد وبعد عن الهوى والغرض ٠

ولكن أبا رية الذى يريد بتحكمه فى فهم النص أن يلقى ظـلالا من الشكوك فى أحاديث صحيح البخارى الذى يقول فيه السيد محمد رشيد : « ومع هذا نقول بحق ٠ أن صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله » وكان هذا النص ضمن ما نقله أبو رية عن السيد ، بل وضمن النص السابق (١) ٠

---

(١) انظر أضواء على السنة المحمدية ص ٣٠٦ .

ورغم تحفظنا على بعض ما يبسطه الشيخ محمد رشيد من أبحاث في السنة وفهم فيها ، واعتقادنا فيه بأنه بشر يخطىء ويصيب ، إلا أنه يختلف في تناوله للسنة عن أبي رية الذي يحرف النصوص وينسبها إلى غير قائليها ويتحكم بعد ذلك في فهم النص حسب هواه وميله لا حسب قواعد اللغة وفحوى الكلام ، وقد مرت أمثلة على كل هذا .

وفي هذه الطريقة جناية على البحث في أي فن أو علم ، فضلا عن جنايته الخطيرة في أبحاث السنة ، التي تقوم أساسا على الأمانة العلمية في تحري النص وتوثيقه ، وصيانته من العبث به ، حتى لا يفهم على غير وجهه ، أو يخالطه دخيل أو مدسوس .

ولا نود الاستطراد في هذا ، ولكنا نود أن نتول لأبي رية ما نقله هو عن الشيخ محمد رشيد : ان المسلم لا يمكن أن ينكر حديثا من هذه الأحاديث بعد العلم به الا بدليل يقوم عنده على عدم صحته متنا أو سندا . فالعلماء الذين أنكروا صحة بعض الأحاديث لم ينكروها الا بأدلة قامت عندهم قد يكون بعضها صوابا وبعضها خطأ ، ولا يعد أحدهم طاعنا في دين الاسلام (١) .

ولو أن أبارية اتبع هذا المنهج ، وتجرد عن الهوى ، لما كان لنا أن نعيبه حتى في خطئه ، لأن الخطأ من شأن البشر . ولكنه حاد عن منهجهم في البحث وتناول الحديث ، واتبع هواه الذي أضله عن الحق والصواب .

وقد أثار أبو رية في نقله عن الشيخ محمد رشيد هنا أيضا نقطتين :

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٥ وانظر مجلة المنار جـ ٢٩ ص ٢٠٤ .

الأولى : موضوع حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم • وسيأتى الكلام فيه فى موضوع — مقارنة بين علم الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد فى العلم بالحديث •

الثانية : موضوع حديث الذباب الذى رواه الامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ورواه أيضا النسائى وابن ماجه ، وصححه ابن حبان ، قال الحافظ أخرجه البزار ورجاله ثقات • رواه حماد بن سلمة عن ثمامة فقال : عن أبى هريرة ورجحها أبو حاتم ، ووقع فى رواية أبى داود وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة « وأنه يتقى بجناحه الذى الذى فيه الداء » (١) •

ونص رواية البخارى : حدثنا قتيبة : حدثنا اسماعيل بن جعفر ، عن عتبة بن مسلم مولى بنى تيم عن عبيد بن حنين مولى بنى رزيق ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان فى احدى جناحيه داء وفى الآخر شفاء •

ونعرض عما وقع من تصحيف فى اسم « عبيد بن حنين » فقد أورده أبو رية عبد بن حنين • وهو تابع للاصل فى ذلك • فقد وقع مصحفا فيه أيضا (٢) •

---

(١) انظر فتح البارى ٣٦٣/١٢ وسنن بن ماجه ١١٥٩/٢ .

(٢) انظر اضواء على السنة المحمدية ص ٣٠٦ ، ج ٢٩ ص ٥١ من مجلة المنار .

ولو أراد أبو رية أن يقف على رأى الشيخ محمد رشيد — الذى ينقل عنه — فى موضوع حديث الذباب ، لما كان هذا بعيداً عنه ، فقد ورد ذلك فى نفس المصدر الذى نقل عنه وقبله بصفحتين على التحديد. ولو فعل اسلم من التصحيف أيضا لأن اسم الراوى ورد فى هـذا الموضوع أيضا — عبيد — بلا تصحيف .

وننقل بعد هذا مناقشة الشيخ محمد رشيد فى هذا الحديث . قال رحمه الله بعد تقرير كلام الفقهاء وقولهم : بتحريم كل ضـار قطعا تحريماً قطعيا وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل ان كان الظن ضعيفا فغمس الذباب فى المائع الذى يقع فيه لا يتفق مع قاعدة تحريم الضار ولا مع قاعدة اجتناب النجاسة ، والرأى لا يمكن أن يصل الى التفرقة بين جناحى الذبابة فى أن فى أحدهما سام ضار والأخر ترياق واق من ذلك السم ، فان صح الحديث بلفظه ، ولم يكن فيه غلط من الرواة ، ولم يكن معناه معروفا مسلما فى ذلك الزمان فالمقصود فيه أن يكون عن وحى من الله تعالى ، وحينئذ يمكن أن يعرف ببحث الأطباء المبنى على القواعد الحديثة كالتحليل الكيميائى ، والبحث الميكرسكوبى بأن يجمع كثير من أجنحة الذباب اليمنى واليسرى كل على حدتة ، وينظر فى أكبر منظار مكبر ، ثم يحلل فينظرها هـل يختلف تركبه ثم تأثيره فى بعض الأحياء كشانهم فى هذه النظائر . فان ثبت بالتجربة القطعية أن الجناحين سواء فى الضرر كما هو الغالب فى النظر ثبتت معارضة الواقع القطعى لمتنه ، وهو ظنى لأنه خـبر واحد ، فيحكم بعدم صحته ان لم يمكن تأويله كما هو الظاهر .

ولا خلاف فى ترجيح القطعى على الظنى مـن منقول ومعقول ومختلف كما بينه شيخ الاسدم فى كتاب النقل والعقل .

هذا وإننا لم نر أحدا من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث فالظاهر أنهم عدوه مما لا دخل له فى التشريع كغيره من الأحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية .

ولقد تكلم علماؤنا فى معناه ، وذكروا اعتراضا عليه لبعض الناس جهلوه به . وهو قوله : كيف يجمع جناحاه بين الدواء والشفاء ؟ وردوا عليه بأن كثيرا من المخلوقات تجتمع فيها المتضادات كالحية فيها السم ، ولحمها يجعل فى الترياق منه ، والنحلة يخرج من فمها العسل النافع ، ومن أسفلها القذر الضار . ونقلوا عن بعض الأطباء أن فى الذبابة سماء فإذا وقعت فى طعام أو شراب أو غيرهما تلقى بسمها على ما تخشى أن يضرها ، أى كما تفعل كل الحشرات السامة ، وذكروا أن من المجربات شفاء لسعة الزنبور بدلكها بالذباب أو الزنبور نفسه .

وفى الطب الحديث أن نسم للجنة الخفية التى يسمونها الميكروبات منها الضار والنافع ، وأنهما يتدافعان ويتقاتلان فى دم الانسان حتى يغلب أحدهما الآخــر . فعلى هذا لا يمكن القطع بأن متن الحديث مخالف للواقع ونفس الأمر وأن كل ذباب يغمس فى الطعام أو الشراب فهو ضار الا بتجارب خاصة بهذا الأمر .

هذا وان اخراج البخارى لهذا الحديث فى جامعه لا يعصمه من التماس علة فى رجاله تمس مناعة صحته ، فان مداره عنده على عبيد بن حنين مولى بنى رزيق انفرد به ، وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع ابن عمر مثلا .

ومن الغريب أنه لم يذكر فى تهذيب التهـذيب أن له رواية عن أبى هريرة (١) فان كان بينهما واسطة يكون منقطعا • ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل •

وفيه أن أبا حاتم قال فيه : كان صالح الحديث ، وهى أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبى وغيره عليها كلمه لا بأس به •

فاذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنـين هذا غير صـحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب ، لا يكون قد ضيع من دينه شيئا• ولا يقتضى ارتيابه هذا أو جزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن فى البخارى لأنه قبل روايته ، لأنه لم يعلم جارحا يجرحه فيه الا هـذا الشذوذ الذى يجبره حديث أبى سعيد عند النسائى وابن ماجه بمعناه وان كان على غير شرط البخارى فى الصحيح • ولكن يرد على المرتاب تصحيح ابن حبان لحديث أبى سعيد ، وقد يقول : اذا وجدت علة فى رواية البخارى تمنعنى من القول بصحة الحديث مع كونه أشـد الحفاظ تحريا فيما يخرجه صحيحه مسندا ، فهل يمنعنى منه تصحيح ابن حبان المعروف بالتساهل فى التصحيح ؟ (٢) •

هذا مجمل ما قاله الشيخ محمد رشيد فى حديث الذباب • ومنه يفهم مدى ادراكه وفهمه لوجوه النقد كما هو منهج المحدثين ، مع تحريه ودقته حين يتكلم فى الرجال وألفاظ التوثيق والجرح والتعديل • ومنه يعلم أيضا أنه لم يجزم بعدم صحة حديث الذباب ، وتأمل قوله : فعلى هذا لا يمكن القطع بأن متن الحديث مخالف للواقع ونفس الأمر

---

(١) انظر التهذيب ٧/٦٣ •

(٢) انظر مجلة المنار ج ٢٩ ص ٤٨/٥٠ •

وأن كل ذباب يغمس فى الطعام أو الشراب فهو ضـــار الا بتجـــارب خلصة بهذا الأمر •

هذا ما يمكن أن يعبر عن رأيه فى حديث الذباب رغم تقليب وجهات النظر فى الموضوع • وترديد الأمر بين اجتهاد الأطباء واجتهاد الفقهاء كما تقد م •

ان حركة الفكر التى شهدها عصر رشيد ألزم العالم فى الدين أن يقوم على رسالته ويحوطها بسياج من النقد والتمحيص ، لتقف أمام تيار الفكر المادى الذى تميزت به ثقافة هذا العصر •

ومن ثم قام الشيخ محمد رشيد برسالته متسلحا بسلاح عصره ، ليرد عن السنة شبهات الملحدين ، وتهجم المبشرين والمستشرقين •

وكان مقصد المسلمين فى كل أنحاء العالم فى الفتوى ، فكان يفتى فى كل مسألة بما يناسب حال السائل أو تقتضيه المناسبة •

ومن هنا تعددت أساليبه وعباراته فى تناول الموضوع •

ومن هنا أيضا وجب على الباحث ألا يسارع بتصوير رأى عن الشيخ محمد رشيد فى مسألة ، الا اذا اطلع على كل ما يتصل بموضوعه مما كتبه الشيخ ليستخلص منه ما يريد •

ولكن ، أنى لنا أن نقول لأبى رية هذا • وهو الذى يتلمس الهفوات ويتتبع الزلات ؟ لتساعده على الوصول الى ما يريد •

وفى هذا النص يستفتيه سائل فى حكم من كفر محمـــد توفيق صدقى لعدم تسليمه بحديث الذباب ، فأجاب بحدة على من حكم بذلك مبينا حكم من كفر مسلما بهذا وأنه قد يصدق عليه حديث « اذا قـــال

الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما » رواه البخارى من حديث أبى هريرة وابن عمر مرفوعا (١) .

وأشار الى الحديث اشارة خفيفة لم يبين فيها رأيه فيه لأنه كتب هذا الرأى فى الاجابة على مجموعة أسئلة وردته ضمن السؤال فى حكم تكفير محمد توفيق صدقى (٢) .

فجاء أبو رية بما يصور أنه يرد حديث الذباب فى هذا . وترك ذاك الذى يصور حقيقة موقفه كما سبق .

وهذا من الحيل التى يتعمدها أبو رية فى البحث ، لأنه رسم لنفسه غاية يريد الوصول اليها فى البحث . ولم يوصله بحثه الى الغاية ، كما هو الذى ينبغى أن يكون فى عمل الباحث المتجرد .

وقد انتقد على الامام البخارى ، ما وقع له فى بعض الطرق فى حديث تحاج الجنة والنار ، من أن النار لا تمتلىء حتى ينشىء الله خلقا آخر وقالوا : انه مما وقع فيه الغلط ، وقد مال إليه كثير من المحققين كالبلقينى وغيره .

ومن الغريب فى ذلك محاولة بعض الأغمار ممن ليس له المام بهذا الفن لا من جهة الرواية ، ولا من جهة الدراية كنسبة الغلط إليه ، كأنه ظن أن النقد من جهة المتن لا يسوغ ، لأنه يخشى أن يدخل معه أرباب الأهواء ، ولم يدر أن النقد اذا جرى على المنهج المعروف لم يستنكر . وقد وقع ذلك لكثير من أئمة الحديث مثل الاسماعيلى فانه بعد أن أورد

(١) مجلة المنار ج ٢٩ ص ٥٠ .

(٢) اجابة الشيخ التى ضمنها رأيه ص ٤٨ ، ٤٩ من مجلة المنار ج ٢٩ والنص الذى أورده أبو رية ص ٥١ من نفس المصدر .

حديث يلقى ابراهيم أباه أزر يوم القيامة • وعلى وجه آدم قترة — الحديث — قال : وهذا خبر فى صحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد • فكيف (١) يجعل ما بأبيه خزيا له مع اخباره بأن الله قد وعده بأن لا يخزيه يوم يبعثون ، وعلمه بأن لا خلف لوعده، فانظر كيف أعل المتن بما ذكر (٢) •

فالنقد اذا جرى على أصول المحدثين ومنهجهم الذى وضعوه لذلك لم يستنكر بل المستنكر هو عدم اعمال النقد على هذا المنهج ، حتى قال يحيى بن سعيد القطان لمن قال له : أما تخشى أن يكون هؤلاء خصماؤك يوم القيامة ؟ (أى الذين تكلم فيهم من الرواة) : قال : لأن يكونوا خصمائى أحب الى من أن يكون خصمى النبى عليه الصلاة والسلام حيث لم أذب عن حديثه • وأجاب غيره بما يشبه ذلك (٣) •

ولكن أبارية عدل عن منهجهم فى النقد • فأتى بما استنكره عليه كثيرون وردوا على أكاذيبه (٤) •

ومما نقله وعزاه للشيخ محمد رشيد قوله (والنبى مبين للقرآن بقوله وفعله فى البيان التفصيل والتخصيص والتقييد • ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من أحكامه ، أو نقص خبر من أخباره ، ولذلك كـان

---

(١) فى الأصل فقد وهو تصحيف .

(٢) انظر توجيه النظر ص ١٣٦ •

(٣) انظر المصدر السابق ص ١١٧ •

(٤) وممن ردوا عليه الاستاذ عبد الرحمن المعلمى اليمانى فى كتابه الأنوار الكاشفة والاستاذ محمد عبد الرزاق حمزة فى كتابه ظلمات ابى رية والاستاذ محمد محمد السماحى فى كتابه المنهج الحديث ثم نشر رده فى كتاب سماه (ابو هريرة فى الميزان) وتناوله بالرد ايضا الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى .

التحقيق « أن السنة لا تنسخ القرآن » والعمدة فى الدين كتاب الله تعالى فى المرتبة الأولى ، والسنة العملية المتفق عليها فى المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم « وأحاديث الآحاد فيما رواية ودلالة فى الدرجة الثالثة » .

ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا فى الآخرة مقربا عند الله تعالى وقد قرر الغزالى ذلك (١) .

وأبو رية يسوق هذا النص فى فصل عقده بعنوان مكان السنة فى الدين ، حشد فيه نقولا عن الموافقات للشاطبى ، وعن الامام مالك والشافعى ليخلص الى القول بأن السنة متضمنة فى القرآن الكريم ، وبيان أن رتبة السنة التأخر عن الكتاب فى الاعتبار . وأنها تبين ما فى الكتاب . أو تزيد على ما الكتاب .

وقد تعقب الأستاذ عبد الرحمن المعلمى اليمانى الشيخ محمد رشيد فى عبارته فقال : « المعروف بين أهل العلم ذكر الكتاب والسنة ثم يقسمون السنة الى متواتر وآحاد وغير ذلك » (٢) .

وقد يكون هذا خلافا لفظيا . فانهم يذكرون الكتاب والسنة كما قال ولكنهم يفرقون فى السنة بين صحيح وحسن وضعيف الأمر الذى يقتضى تقديم بعض السنة على بعضها الاخر .

كما تعقبه فى بقية العبارة « ومن عمل بالمتفق ... الى وقد قرر الغزالى ذلك . فأورد عبارة الشيخ محمد رشيد » فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك كل أسباب هذا التفرق والاختلاف . حتى قال الغزالى

---

(١) اضواء على السنة ص ٢١/ ٤٢ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ٢٤ .

فى القسطاس المستقيم بالاكتفاء بالعمل المجمع عليه ، وعد المسائل الظنية المختلف فيها كأن لم تكن » (١) .

ونقل الاستاذ اليمانى عبارة الغزالى فى القسطاس المستقيم من وعظ العامى الطالب الخلاص من الخلاف فى الفروع بأن يقول له : لا تشغل نفسك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ من جميع المتفق عليه . فقد انفقت الأمة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع ، وأن الكسب الحرام ، والمال الحرام ، والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة ... حرام والفرائض كلها واجبة ، فإن فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف . قال : فان هو طالبنى بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلى وليس بعامى .... نعم : لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها وقال : أنا تشكل على مسائل .. فأقول له : ان كنت تطلب الأمان فى طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط ، وخذ بما يتفق عليه الجميع ، وتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه ... فان قال : هو ذا يثقل على .. فأقول له : الآن اجتهد مع نفسك ، وانظر الى الأئمة أيهم أفضل .. فمن غلب على ظنك أنه الأفضل فاتبعه » (٢) .

والمقارنة بين نص الشيخ محمد رشيد ونص الامام الغزالى تبين أن الشيخ محمد رشيد تفيد عبارته ترك العمل بما هو مختلف فيه . وعبارة الغزالى لا تفيد ترك العمل بما هو مختلف فيه ، بل العمل بكل ما يؤدى الى رفع الخلاف كقوله : « توضأ من كل ما فيه خلاف » .

(١) المغنى والشرح الكبير ١٦/١ وانظر الأنوار الكاشفة ص ٢٤ .
(٢) الأنوار الكاشفة ص ٢٥ وانظر القسطاس المستقيم ص ٨٩/٩٠.

وقد كان هذا الفرق الدقيق موضع نقد الاستاذ اليمانى على الشيخ محمد رشيد رحمهما الله .

والذى تبين لى أنه جدل نظرى لا يعتمد الواقع العملى فى عبارة الإمام الغزالى ، وأن الذى يرزق العمل بالواجبات وترك المنهيات . ويتجنب مواطن الخلاف فهو بفضل ونعمة من الله .

(ملاحظات صاحب الأنــوار الكاشفة على صاحب المنار)

ما سبق من بحث مع أبى رية فيما حرفه من نصوص عزاها للشيخ محمد رشيد ونثبت فيما يلى نصوصا أخرى له استعملها أبو رية فى كتابه فكانت موضع مؤاخذة عليهما معا .

وقد ألم بهذه النصوص الأستاذ المرحوم عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى فى كتابه الأنوار الكاشفة .

ومما انتقده قول الشيخ محمد رشيد فى نقد المتون : ومن تعرض له منهم كالامام أحمد والبخارى لم يوفه حقه كما تراه فيما يــورده الحافظ ابن حجر فى التعارض بين الروايات الصحيحة له ولغيره (١) .

وقد علق الأستاذ المعلمى بقوله : من أنعم النظــر فى الرواة والمرويات ومساعى أئمة الحديث فى الجمع والتنقيب والبحث والتخليص والتمحيص عرف كيف يثنى عليهم ، وأبقى الله لمن بعدهم ما يتم به الابتلاء ، وتنال به الدرجات العلى ، ويمتاز به هؤلاء عن هؤلاء (٢) .

ولا أظن أن من يتناول مسائل علم الحديث ينكر هذا ، أو يحط من شأنه لأنه جلى لا يحتاج الى توضيح ، والشيخ محمد رشيد أحــد هؤلاء الذين تناولوا علم الحديث ، ووقفوا على جهودهم فيه ، بل واستفاد من هذه الجهود عمليا فى مسائلة فى الوقوف على أحوال

---

(١) انظر الأنوار الكاشفة ص ٢٩٢ ، ومجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٥ واضواء على السنة ص ٣٩٣ .

(٢) الأنوار الكاشكة ٢٩٢ .

الرواة وتوثيقهم أو العدول بهم الى ما ينافى ذلك من جرحهم لفقد العدالة أو الضبط والاتقان أو الشذوذ ونحوه من العلل •

كما دفعه سلوك درب الدفاع عن السنة ، والوقوف الى جانبها فى وجه أعدائها الى اجادة فن النقد للحديث سندا ومتنا ، بعد معرفة درجته ليوضع فى مكانه من حيث الاحتجاج به والأخذ به فى الأحكام العملية أو طرحه وعدم التعويل عليه اذا كان ساقطا واهيا •

ومن هنا حكم بعدم استكمالهم لنقد المتون كما فعلوا فى نقد الأسانيد ، وبيان أحوال الرواة •

والسنة كالقرآن الكريم تمثل جانبا من شرع الله فى التوضيح والبيان والتخصيص والتقييد الى الاستقلال بالتشريع فيما لم ينزل به قرآن كما قرره العلماء وألمنا به فى غير هذا الموضع •

والقرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة للبشر والسنة منه بهذه المكانة فهما مصدرا التشريع الصالحان لكل زمان ومكان •

ويقتضى ذلك استمرار البحث والتنقيب فيهما لكل طبقة من الطبقات وجيل من الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وسيجد كل جيل من الثروة فى هذين الكنزين ما يؤكد هذه الصلاحية ، وهذه الجدة على مر السنين والأيام •

فالعمل فى السنة لم ينته بانتهاء تدوينها وحفظها ، ومعرفة رواتها وتوثيقهم أو بيان عدالتهم ، بل ان العمل فيها ولها سيستمر ما بقى مسلم يدين بالاسلام على وجه الأرض •

فما قرره الشيخ محمد رشيد فى ذلك هو الأصل الذى لا يعدل عنه وهو لا يعتمد على انتقاص جهود المتقدمين ، لأنه يقوم حيث انتهت جهودهم .

ومثل الذى قاله قد قاله بعض الباحثين فى السنة حديثا . قال الشيخ طاهر الجزائرى : واعلم أن الدارقطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد، وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض ، لا يدركه كثير من العلماء الأعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الأصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين .

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد لما عرفت (1) .

والأستاذ اليمانى يرى أيضا ما يراه الشيخ محمد رشيد فى هذا، فهو يقول : وأبقى الله لمن بعدهم ما يتم به الابتلاء وتنال به الدرجات، ويمتاز به هؤلاء عن هؤلاء (2) .

قال صاحب الأنوار « لم يكن يحيى بن معين وأبو حاتم وابنه وأمثالهم يعرفون ما يصح من ذلك وما لا يصح لعدم اطلاعهم على تلك الكتب » (3) .

---

(1) توجيه النظر ص ٣٣٤ .
(2) الأنوار الكاشفة ص ٢٩٣ .
(3) نفسه ص ٢٩٨ وانظر مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٦ .

وهذا النص نقله عن أضواء على السنة (١) معزوا للشيخ محمد رشيد وقد علق عليه صاحب الأنوار بقوله : فى هذا أمور . الأول أن الأئمة كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم وسنته . فبذلك كانوا يعرفون حال كعب ووهب فى ما نسباه الى النبى صلى الله علية وسلم ، فاذا وثقوهما فمعنى ذلك أنهم عرفوا صدقهما فى هذا الباب . وهذا هو الذى يهم المسلمين . فأما ما حكياه عن صحف أهل الكتاب فليس بحجة سواء أصدقا فيه أم كذبا .

الثانى : تقدم فى فصل الاسرائيليات ، ما يعلم منه أن غالب ما ينسب الى كعب لايثبت عنه ، وأن فى كتاب فضائل الشام سبع عشرة حكاية عن كعب لاتثبت عنه ولا واحدة منها ، ويغنى أن يكون حال وهب كذلك . فمن أراد التحقيق فليتتبع ما يثبت عنهما صريحا بالأسانيد الصحيحة ثم ليعرضه على كتب أهل الكتاب الموجودة كلها ، ويتدبر الأمر الثالث من تتبع (كتب) (٢) اليهود ما كان موجودا فى العالم عند ظهور الاسلام وبعده الى مدة من نسخ كتبهم فى العالم كله واتلافها لمخالفتها ما يرضونه من نسخ حديثه أبقوها ، مع ما عرف عنهم من استمرار التحريف عمدا ، وانقراض كثير من كتبهم البته ، ثم ليحكم (٣) .

هذا تعقيب صاحب الأنوار على عبارة الشيخ محمد رشيد . وصحيح أنهم كانوا يعرفون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفهمون أن الحديث يشذ اذا خالف ما روى الناس فهو غير مقبول عندهم (٤)

---

(١) نفسه ص ٣٩٤ .
(٢) ليست فى الاصل والسياق يقتضيها .
(٣) الأنوار الكاشفة ص ٢٩٨ .
(٤) التقييد والايضاح ص ٢٩٨ .

وقد قال ابن مهدى لا يكون اماما أبدا من أخذ بالشاذ من العلم [1] ولكن الحق هدف في ذاته وتربية النفس عليه فى الحياة من الأصول التى لا يفرط فيها مؤمن .

وقـــد أمرنا بأن نؤمن بكتب الله ، والايمان بهذه الكتب يجعل من مهمة المسلم العناية بتمحيصها وتنقيتها وابعد بها عن التحريف ما وسعه الى ذلك سبيل ، فقوله : أماما حكياه عن صحف أهل الكتـــاب فليس بحجة سواء أصدقا فيها أم كذبا هو بعيد عن منهج المؤمن بهذه الكتب سواء جعل منها حجة أم لا ؟

ولعمرى : ان الذى يكذب فى النقل من كتب أهل الكتاب يكذب على الله ومن كذب على الله يكذب أيضا على رسل الله .

وقد كان من خلقهم ترك حديث من يكذب على الناس فضلا عن ترك حديث من يكذب فى النقل عن كتب الله .

قال مالك بن أنس : لا تأخذوا العلم عن أربعة ، وخـــذوا ممن سواهم : لا يؤخذ من سفيه معلن بالسفه وان كان أروى الناس ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ولا من كذاب يكذب فى حديث الناس وان كنت لا تتهمه بكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له عبـــادة وفضــــل اذا كان لا يعـــرف الحديث [2] .

---

(1) الالمـــاع ص ٢١٥ .
المحدث الفاصل ل ١٧ ، وترتيب المدارك ٦١/١ .

(2) الالماع ص ٦٠ وهو فى التمهيد ٦٦/١ والكفاية ص ١١٦ واسعاف المبطأ ص ٣ وفتح الملهم ١٢٩/١ وجامع بيان العلم ٤٨/٢ — والكامل لابن عدي ج ١١/٣ .

فليست مسألة النقل عن أهل الكتاب والخطأ في ذلك مقطوعة الصلة بالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لأنه إذا ثبت كذبهما في ذلك ، فنترك ـ مروياتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المذهب • كما يفهم من قول مالك وناهيك به في الحديث ـ من ترك الأخذ عمن يكذب في أحاديث الناس فما بالك بمن يكذب في النقل عن كتب أهل الكتاب ، وهو فوق الكذب في أحاديث الناس •

على أن عدم أطلاع يحيى بن معين وأبى حاتم وابنه وأمثالهم على كتب أهل الكتاب لايعد مطعنا فيهم لعدم تداولها بينهم ، ويكفى علمهم بكتابهم وسنة نبيهم في معرفة الثابت وطرح الشاذ والمعلول والمنكر •

قال صاحب الأنوار الكاشفة : واننا نرى بعض الأئمة المجتهدين قد تركوا الأخذ بكثير من الأحاديث الصحيحة (١) •

والشيخ محمد رشيد يقول هذا في معرض جرح كعب ووهب لما لا حظه من نقد ابن كثير لبعض ما صح سنده اليهما مع عدم الحاجة الى شيء من هذه المرويات كما تقدم •

ولكن أبارية استعمل هذه النصوص في عكس ما يريده منها الشيخ محمد رشيد من دفاع عن السنة بعدم نقص شيء منها اذا أسقطنا منها ما يرويه كعب ووهب عن أهل الكتاب ولهذا نرى الشيخ محمد رشيد يقول : واننا بهذا الطعن في روايتها ندفع شبهات كثيرة عن الاسلام ، ولا سيما تفسير كتاب الله تعالى بالمأثور عن السلف وقصص الأنبياء حتى خرافات كثيرة يأخذها القارئون للتفسير وقصص الأنبياء بالتسليم (٢) •

(١) الأنوار الكاشفة ص ٢٩٩ ، وانظر مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٦ وهو في اضواء على السنة ص ٣٩٥ والنص للشيخ محمد رشيد •
(٢) مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٤ •

فجاء أبو رية يدعى أن السنة ليست واجبة الاتباع بدليل ترك بعض الأئمة المجتهدين للأخذ بكثير من الأحاديث الصحيحة .

ووضع النص عن الشيخ محمد رشيد ليساعده فى دعواه التى يدعيها ويسلك اليها السبل المختلفة من الطعن على أبى هريرة وغيره من الصحابة والتشكيك فى المرويات وعدم العمل بها لدى بعض الأئمة المجتهدين .

ورغم بعد ما بين هدف أبى رية الذى يشكك فى السنة ويطعن فى رواتها وهدف الشيخ محمد رشيد الذى يؤمن بالسنة ويدافع عنها الا أن أبا رية يحشد عنه وعن غيره النصوص ليصل الى هدفه ، الأمر الذى حمل صاحب الأنوار الكاشفة رحمه الله على تعقب الشيخ محمد رشيد لبعض ما تحمل كتاباته من أفكار ساعدت أبا رية فى نظر بعض الباحثين .

والسنة بحمد الله أكبر من أن يحتج عليها بكلام أبى رية أو غيره ، فهى حجة على كل من تبلغه من المسلمين ، وما كان هؤلاء الأئمة المجتهدون الا على العمل بها متى صحت ، ذلك فرض الله فى كتابه قال تعالى : « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون — وان يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين — أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون — انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون — ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » [1] .

---

(١) النور الآيات من ٤٨ — ٥٢ .

قال الامام الشافعى رضى الله عنه : فأعلم الله الناس فى هذه الآية أن دعاءهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم ، دعاء الى حكم الله لأن الحاكم بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا سلموا لحكم رسول الله فانما سلموا لحكمه بفرض الله .

وأنه أعلمهم أن حكمة حكمه على معنى افتراضه حكمه ، وما سبق فى علمه — جل ثناؤه — من اسعاده بعصمته وتوفيقه ، وما شهد له به من هدايته واتباعه أمره .

فأحكم فرضه بالزام خلقه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واعلامهم أنها طاعته . فجمع لهم أن أعلمهم أن الفرض عليهم اتباع أمره ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن طاعة رسوله طاعته . ثم أعلمهم أنه فرض على رسوله اتباع امره جل ثناؤه (١) .

فلا حجة فى قول أحد على السنة بعد فرض الله اتباع أمره وأمر رسوله والآيات فى ذلك كثيرة .

والعلماء غير معصومين . وأخـذهم بالحـديث يختلف حسـب اختلاف أفهامهم ، ومدى ما وقع لأحدهم من صحة الحديث فيأخذ به أو عدم صحته فيتركه ولا يعمل به .

وقد رفع الله العنت عن هذه الأمة ، وجعل الدين يسر فلم يكلف الا بما فى وسع الناس أن يأتوا به ، وأقر اختلاف الأفهام كما فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف عن الأحزاب « أن لا يصلين أحد

---

(١) الرسالة ص ٤٩ ط ١ مصطفى البابى الحلبى .

الظهر (١) الا في بني قريظة » فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة ، وقال آخرون : لا نصلى الا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت قال : « فما عنف واحدا من الفريقين (٢) .

وقال صاحب الأنوار الكاشفة نقلا عن — أضواء على السنة فيما عزاه للشيخ محمد رشيد : وما كان منها غير خرافة ، فقد تكون الشبهه فيه أكبر كالذى ذكره كعب من صفة النبى صلى الله عليه وسلم في التوراه (٣) .

ويقول هذا الشيخ محمد رشيد في معرض جرحه لكعب ووهب أيضا وقبله : فماذا تكون قيمة روايات هذا الاسرائيلى (كعب الأحبار) وهذا الفارسى (وهب بن منبه) وأكثرها خرافات اسرائيلية شوهت كتب تفسير كتاب الله وغيرها من الكتب ، وكانت شبها على الاسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة بأنه كغيره دين خرافات وأوهام (٤) .

وتعليق صاحب الأنوار على ذلك هو : وأنه ما ذكره كعب — ثابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن التوراه ، ويروى عن عبد الله بن سلام وعن كعب ، فأما الشبهة التى أشار إليها فلا يكاد يوجد حق لا يمكن أن يحاول مبطل بناء شبهة عليه ، فمن التزم أن

(١) عند مسلم الظهر ، ووقع عند البخارى لا يصلين احد العصر .

(٢) مختصر صحيح مسلم ص ٣١٦ وهو في مسلم بشرح النووى ١٦٢/٥ .

(٣) الأنوار ص ٢٩٩ ومجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٧ وأضواء على السنة ص ٣٩٥ .

(٤) مجلة المنار ج ٢٧ ص ٦١٧ .

يتخلى عن كل ما يمكن بناء شبهة عليه أوشـك أن يتخلى عن الحـق كلـه (١) .

وقد نظرت سنن الدرامى فرأيت أنه روى فى باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث عن كعب وابن سلام وابن عباس ونورد نص حديث ابن عباس رضى الله عنه قال الدارمى : أخبرنا مجاهد بن موسى ثنا معن بن عيسى ثنا معاوية بن صالح عن أبى فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟ فقال كعب : نجده محمد بن عبد الله يولد بمـكة ويهاجر الى طابة (٢) ويكون ملكه بالشام ، وليس بفحاش ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء وضراء ، ويكبرون الله على كل نجد ، يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم ، دويهم فى مساجدهم كدوى النحل ، يستمع مناديهم فى جو السما (٣) .

وأصل هذا الحديث ثابت فى القرآن الكريم قال تعالى « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين

---

(١) الأنوار الكاشفة ص ٢٩٩ .

(٢) اسم من اسماء المدينة انظر فتح البارى ٤/ ٤٦٠ .

(٣) سنن الدارمى ١/ ٦ رواته ثقات . ومعاوية صدوق له اوهام . روى له الستة الا البخارى .

تقريب التهذيب ٢/ ٢٥٩ . والأحاديث الثلاثة الأخرى فى سند أولهما ابو الاحرص سلام بن سليم السعدى ، متروك الحديث انظر الضعفاء والمتروكين ص ٤٧ والضعفاء الصغير للبخارى ص ٥٥ ولا تخلوا اسانيد الآخرين ممن تكلموا فيه .

يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (١) وقال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » (٢) وقال تعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » (٣) .

ومادام الأصل قد ثبت بنص القرآن الكريم ووردت الرواية به وهى غير مخالفة فى معناها ، ولا شذوذ فيها فالدندنة حولها نقص فى الإيمان ، وخلل فى الأخذ بالدليل والبرهان .

نعم قد توجد ظلال حول بعض مرويات كعب ووهب كما نلاحظه من تعقب الحافظ ابن كثير فى مثل ذلك قال بعد روايات منكره فى قصة بلقيس والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الأمة من أخبار بنى اسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ ، وقد أغنانا الله سبحانه وتعالى عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة (٤) .

---

(١) الصف الآية ٦ .
(٢) الانعام الآية ٢٠ .
(٣) الاعراف الآية ١٥٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣ /٣٦٦ ط ٤ مطبعة الاستقامة .

ووجود هذه الظلال يؤيدها أيضا انقطاع الرواية عند أهل الكتاب وتغييرهم وتبديلهم وتحريفهم كتبهم قال ابن تيمية بسبين كعب وبين النبى الذى ينقل عنه ألف سنة وأكثر وأقل • وهو لم يسند ذلك عن ثقة بل غايته أن ينقل عن بعض الكتب التى كتبها شيوخ اليهود • وقد أخبر الله عن تبديلهم وتحريفهم فكيف يحل للمسلم أن يصدق شيئا من ذلك بمجرد هذا النقل ، بل الواجب ألا يصدق ذلك ولا يكذبه أيضا الا بدليل على كذبه (1) •

ولكن هذه الظلال لا تقتضى الشك فيما هو حق أو تكذيب ما يقوم الدليل على صدقه • وقد قام الدليل على صدق نقلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم بثبوت أصل هذا فى القرآن الكريم فما معنى الدندنة حول هذا ؟

فالتشبيه الذى ورد فى عبارة الشيخ محمد رشيد من قوله « كالذى ذكره كعب من صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة » لم يصادف محله • وهى دندنة تحسب عليه لا له •

ولماذا تكون الشبهة فيما هو غير خرافة أكبر ؟ اننا اذا طبقنا هذا وحذفنا كل حق ورد على لسان أهل الكتاب ، لمجرد وروده عندهم ، تكون بذلك قد وضعنا لبنة فى الهدم لا يعلم الا الله مداها •

وقد علمنا ديننا أن نقبل الحق من أين جاء • والحكمة ضالة المؤمن لا يحيد عنها اذا عرفها ولا تحيد عنه •

نقل صاحب الأنوار الكاشفة عن أبى رية وعزاه للشيخ محمد رشيد بقوله : « وأنى لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول صحابى يخالف

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٩ •

ظاهر القرآن ، وأن وثقوا رجاله ، فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن » (١) .

ونقل صاحب الأنوار فى تعليقه على هذا قول الشيخ محمد رشيد : النبى صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله . ويدخل فى البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ، لكن لا يدخل فيه ابطال حكم من أحكامه أو نقض خبر من أخباره .

قال صاحب الأنوار : ان أراد بقوله « يخالف القرآن » مالو صح لكان إبطالا أو نقضا فذاك ، فأما البيان بالتفصيل والتخصيص والتقييد ونحوها فانه يثبت بخبر الواحد بشرطه ، وأدلة خبر الواحد ، ومنها جريان العمل به فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعمل أهل العلم تشمل هذا (٢) .

وهذا التعليق لا شيء فيه مختلف بين الشيخ محمد رشيد وصاحب الأنوار .

وهو واضح ، فلا أحد يختلف فى تثبيت خبر الواحد — أعنى من الشيخ رشيد وصاحب الأنوار — والعمل به بشرطه فى تفسير السنة وتقييدها وتخصيصها وبيانها مجمل الكتاب فقط هو يختلف فى نسخ خبر الواحد الكتاب فيرى أن خبر الواحد لا ينسخ الكتاب . وهذا موضع خلاف بين العلماء يراجع فى موضعه من كتب الأصول .

---

(١) الأنور الكاشفة ص ٢٩٩ .
(٢) نفسه ص ٢٩٩ .

ثم أورد صاحب الأنوار عبارة للشيخ محمد رشيد نقلا عن أبى رية الذى حرفها أيضا قال : جل أحاديث الآحاد لم تكن مستفيضة فى القرآن الأول (١) .

ونص العبارة : جل الأحاديث التى يحتج بها أهل الحديث على أهل الرأى وعلى القياسيين من علماء الرواية هى من أحاديث الآحاد التى لم تكن مستفيضة فى العصر الأول (٢) .

فحذف أبو رية من النص التى يحتج بها أهل الحديث على أهل الرأى وعلى القياسيين التى يشير بها الشيخ محمد رشيد الى هذا النوع وحده من حديث الآحاد لا الى كل حديث الآحاد . لتكون العبارة مؤدية الى ما يهواه من عدم وجوب العمل بحديث الآحاد ؛ ومدار السنة عليه كما هو معلوم .

ثم نقل صاحب الأنوار عن الشيخ محمد رشيد : فعلم بذلك أنها ليست من التشريع العام الذى جرى عليه عمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وليست مما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الشاهد فيه الغائب (٣) .

وقد أخذ من هذه أبو رية ، وولد عنها أن هناك دينا عاما ودينا خاصا هو القرآن الكريم الذى يجب الأخذ به . وأما من السنة فهو من الدين الخاص الذى لا يستحب العمل العمل به (٤) .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٠٠ .
(٢) المغنى ١/١٨ .
(٣) المغنى ١/٨ والأنوار ص ٣٠٠ .
(٤) انظر اضواء على السنة فصل مكانة السنه من الدين وفصل كتابة الحديث ص ٣٩ الى ٥٣ .

وجمع صاحب الأنوار الكاشفة الاثنين فى النقد عليهما وشتان بين ما يهدف اليه كل منهما .

فما يهدف إليه الشيخ محمد رشيد هو أن بعض الأحاديث عرفت عند الشاميين وخفيت على الحجازين فعمل كل منهم بما صح عنده ، حتى علم بما عند غيره فعمل به تبعا لقاعدة اليسر ورفع الحرج فى هذا الدين ، دون أن يكون لهذا الاختلاف أثر عندهم .

وهدف أبى رية انتحال من السنة وطرحها ليعمل بالقرآن وحـــده وتلك وسيلة لهدم القرآن نفسه فهى بيان للقرآن ويوشك أن يكون هدم البيان هدم للمبين كما هو معلوم (1) .

والخلاصة فى هذا : أن أبا رية أساء متعمدا فى النقل عن الشيخ محمد رشيد . وغير وبدل وحرف فيما ينسبه إليه من نص كما أو ضخناه وولد من عبارته ما لا تحتمله . وأنه بهذا قدم صورة مشوهة له لدى من يطلع على كتابه ، ولا يراعى ما تعمده من تشويه للصورة ليصل الى غرضه الخبيث .

وأن الشيخ محمد رشيد غريب عن هذه الأفكار التى يحملها أبو رية ويتمثل هذا فيما أثبتناه من تحريف أبى رية . كما يتمثل بصورة أوضح فى التزام الشيخ محمد رشيد فى كتبه التى صـــدرت بالفتوى التى جمعت فى ستة مجلدات تضم ١٠٦١ فتوى واستعمل فيها ستمائة حديث بنى هذه الفتاوى عليها الأمر الذى يرد زعم أبى رية ، ويكذب افتراءه .

وكتاب الفتاوى مطبوع مشهور لا مخطوط أو مجهول ويستطيع أن يتناوله من يريد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(1) انظر ما يكمل هذا فى مقدمة المغنى والفتاوى للشيخ محمد رشيد .

الفصل الثالث

(مع الامام الشهيد الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله)

عنى الإمام الشهيد الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه (التفسير والمفسرون) بالحديث عن نشأة التفسير وتطوره وألوانه ومذاهبـــه ، مع عرض شامل لأشهر المفسرين ، وتحليل كامل لأهم كتب التفســـير من عصر النبى صلى الله عليه وسلم الى العصر الحاضر كما يؤخذ من عنوان الكتــاب •

وهو جهد ينوء به كاهل أفراد اذا قاموا به ، فضلا عن أن يقوم به فرد واحد ليبث فى الكتاب من العناء ما يشهد به كل من وقف على الكتاب وعرف سعة موضوعه وخطورته •

وقد تناول الكتاب تفسير المنار • وعرض لمسائل يقول بها الشيخ محمد رشيد رضا فى التفسير •

والذى يعنينا من هذه المسائل ما يتصل منها بالحديث الذى هو موضوع هذه الدراسة ، وتلك هى المسائل التى تناولها مما له صـــلة بالحــديث •

رأيــه فى الســحر :

قال الشيخ الذهبى « ان صاحب المنار لا يرى السحر الا ضربا من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة » ، وهو يوافق بهذا القول قــول شيخه وقول المعتزلة من قبله • ولهذا نراه عندما

ما فسر قوله تعالى فى الآية (٧) من سورة الأنعام « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيدهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين » يقول : والآية تدل على أن السحر خداع باطل ، وتخييل يرى ما لا حقيقة له فى صورة الحقائق (١) .

وأضيف هنا ما قاله الشيخ محمد رشيد فى الموضع موضحا معنى الآية بما يتفق مع الفقرة السابقة قال :

ويقول بعض المتكلمين : ان السحر من خوارق العادات ، وان الفرق بينه وبين المعجزات انما هو فى أختلاف حال من تصدر الخوارق على أيديهم ، لا فى كون آيات الأنبياء حظ وكون السحر باطلا ، والآية تبطل هذا القول ولا تقوم الحجة بها عليه اذ يكون معنى دفع المشركين حينئذ : ما هذا الكتاب الذى نزل على الوجه الذى اقترحنا الا خارقة من خوارق العادات لا ريب فيها . ولكنها صدرت على يد ساحر فهى اذا من السحر ، لا على يد من ادعى النبوة حتى تسمى آية أو معجزة فيكون حاصلة الطعن فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم وانكار ادعائه النبوة . وهذا المعنى مخالف للواقع على كون الآية تتبرأ دنوه منها ... ولعله لم يخطر على بال أحد يفهم العربية وان كان من شيعة ذلك المذهب الكلامى الذى فسر السحر بما ذكر خلافا لظواهر الكتاب والسنة . فقد نص القرآن على أن السحر تخييل لما ليس واقعا . وأنه كيد ومكر . وأنه يتعلم تعلما ، والخوارق لا تكون بالتعلم . وقال تعالى : « ما جئتم به السحر ان الله سيبطله » (٢) .

(١) التفسير والمفسرون ٢/٥٨٤ .
(٢) يونس الآية ٨١ .

وقال فى آية أخرى « ليحقق الحق ويبطل الباطل »(١) فتعين أن يكون السحر باطلا لا حقا (٢) .

وليس معنى هذا أن السحر لا أثر له . فانه يكون له من الأثر مثل ما يكون لما هو حقيقة بل وأشد .

والذى يعنينا من هذا ليس هو تحقيق ذلك لأنه ليس من موضوع البحث ولكن الذى يعنينا منه هو موقف الشيخ من الحديث فى ذلك وهو متفق عليه .

وقد بينا موقفه من حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى موضوع مقارنة بين الشيخ محمد عبده وتلميذه فى الحديث . وكذلك بين الشيخ الذهبى ذلك فقال : ولم يستطع الشيخ أن يرد حديث البخارى فى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل شيخه ، ولكنه تأول الحديث على أنه من قبيل العقد عن النساء ، وبين أن عذر من طعن فى الحديث هو أن هشاما راوى الحديث عن أبيه عن عائشة مطعون فيه من كثير من أئمة الجرح والتعديل (٣) .

وفى الموضوع الذى أشرنا إليه آنفا بسط لهذا مع بيان روايات عائشة رضى الله عنها فى ذلك . وبيان اجابة علماء الجرح والتعديل عن الطعن فى هشام .

---

(١) الانفال الآية ٨ .
(٢) تفسير ج ٧ / ٢٦٠ ط الهيئة المصرية العامة .
(٣) التفسير والمفسرون ٢/٥٨٤ .

رأيــه فى الجــن :

قال الدكتور الذهبى : كما يرى أن الجن لا ترى للانسان على أى حال من الأحوال ، ويرجع أن من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منــه وتخيل ، ولا حقيقة له فى الخارج ، أو لعله رأى حيوانا غريبا كبعض القردة فظنه أحد أفراد الجن • يقول هذا ثم يعرض فى الهامش لذكر حديث أبى هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة • وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم له بأنه شيطان — وهو فى البخارى — ولغــيره مــن الأحاديث التى تدل على أن الانسان يرى الجنى ويبصره • ثم يقول بعد أن يفرغ من رده للروايات : والصواب أنه ليس فى هذه الروايات كلها حديث صحيح (١) •

والحديث الذى يشير إليه الشيخ الذهبى بقوله : ثم يعرض فى الهامش هو فى البخارى منقطع ونص عبارة الشيخ محمد رشيد : ومنه حديث أبى هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة ، وأخبار النبى أياه بأنه شيطان ، وهو فى البخارى منقطع ووصله النســائى والاســماعيلى وأبو نعيم • وللطبرانى معناه عن معاذ ، وقصة أخرى عن أبى أسيد وللنسائى عن أبى بن كعب وأما أثر أبى أيوب فعند الترمــذى وقال حسن غريب •

والصواب أنه ليس فى هذه الروايات كلها حديث صحيح • ولذلك لم يرد النووى على ما نقله عن النهاية شيئا منها • (٢) •

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٥٨٤ •

(٢) تفسير المنار ٧/٤٣٨ ط الهيئة المصرية العامه للكتاب •

والمنقطع منه الاسناد الذى فيه قبل الوصول الى التابعي او لم يسمع من الذى فوقه • والساقط بينهما غير مذكور لا معينا ولا مبهما (١) •

والحديث كما ساقه البخارى قال : وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان • فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : انى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة • قال : فخليت عنه • فأصبحت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته ، فخليت سبيله ، قال : أما أنه قد كذبك وسيعود • فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه سيعود • فرصدته فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال : دعنى • فانى محتاج ، وعلى عيال ، لا أعود • فرحمته فخليت سبيله • فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك ؟ قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما أنه قد كذبك وسيعود • فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام • فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله

(١) التقييد والايضاح ص ٣٦ •

صلى الله عليه وسلم • وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود • قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها • قلت : ما هن ؟

قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى — الله لا إله إلا هو الحى القيوم — حتى تختم الآية ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ • ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله • فأصبحت • فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ • قلت يارسول الله : زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله • قال : ما هى ؟ قلت : قال لى : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم — الله لا إله إلا هو الحى القيوم — وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح •

وكانوا أحرص شىء على الخير • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما أنه قد صـــدقك وهو كذوب (١) •

قال الحافظ ابن حجر : هكذا أورد البخارى هذا الحديث هنا ، ولم يصرح فيه بالتحديث • وزعم ابن العربى أنه منقطع وأعاده كذلك فى صـــفة ابليس وفى فضائل القرآن لكن باختصار (٢) •

وقد أورده الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية وقال : كـذا رواه البخارى معلقا بصيغة الجزم • وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة • والحافظ بن مردويه فى تفسيره ••• (٣) •

---

(١) فتح البـــارى ٥/٣٩٢ •
(٢) المصدر نفســـه •
(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٦ •

وعلة القول بعدم صحة حديث من هذه — الذي يقول به الشيخ محمد رشيد — هو ما رآه من ظاهر تعارض هذا الحديث وما فى معناه مع قوله تعالى : « أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (١) ، قال ابن عباس رضى الله عنه : ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ير الجن حين استمعوا القرآن منه ، بل علم ذلك بالوحى لقوله تعالى : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن » (٢) ولكن روى عن ابن مسعود أنه رآهم ، وفى أحاديث أخرى أنه كان يرى الشياطين وكان الشافعى رحمه الله يرى أن رؤيتهم من الخوارق الخاصة بالأنبياء فقد روى البيهقى فى مناقبه عن صاحبه الربيع أنه سمعه يقول : من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته الا أن يكون نبيا وخصه بعضهم برؤيتهم على صورتهم التى خلقوا عليها ، واختلفت فرق المسلمين فى تشكلهم بالصور ، فالجمهور يثبتونه ، ولكن بعضهم يقول : أنه تخييل لا حقيقة، وهو مروى عن عمر رضى الله عنه فقد قال ما معناه : أن أحدا لا يستطيع تغيير الصورة التى خلقه الله عليها ، ولكن تخييل كتخييل سحرة الانس . وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس قال : أى رجل منكم تخيل له الشيطان ، فلا يصدن عنه ، ليمض قدما فانهم منكم أشد فرقا منكم منهم ، وقد علق عليه الشيخ محمد رشيد بقوله : وهو صحيح فى كون الشياطين وسائر الجن العاقلة تخاف من البشر الذين خلقهم الله تعالى أرقى منهم (٣) .

---

(١) الأعراف الآية ٢٧ .
(٢) الجن الآية ١ .
(٣) انظر تفسير المنار ٣٢٨/٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ولما قام عنده من دليل على عدم رؤية الجن كما تقدم حسب مدلول الآية نراه يقول : والمختار عندنا أن البشر فى حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن فى حالتهم التى خلقوا عليها كما قال تعالى فى الشيطان : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » لا لأنهم لا يطيقونها لهو انها • بل لأن أبصار البشر لا تدرك كل الموجودات • والملك والجن منحهما الله القدرة على التشكل باختيارهما• فاذا تمثل الملك أو الجان فى صورة كثيفة كصورة البشر أو غيرهم أمكن البشر أن يروه ولكنهم لا يرونه على صورته وخلقته الأصلية بحسب العادة وسنة الله فى خلق عالمه وعالمها ، فاذا وقع ذلك كرؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل مرتين كان من خوارق العادات (١)•

وبعد هذا الذى تقدم من قول الشيخ الذهبى رحمه الله : كما يرى أن الجن لا ترى للانسان على أى حال من الأحوال • مع ما نقلناه من نص يعبر عن رأى الشيخ محمد رشيد رحمه الله • وهو أن البشر فى حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن فى حالتهم التى خلقوا عليها •

ويمكن رؤيتهم متشكلين بالصور الكثيفة • وقد منحهم الله القدرة على ذلك فنفى الرؤية للجن فى كل حال لا يعبر عن رأى الشيخ محمد رشيد كما رأيت فيما نقلناه من نص فى ذلك •

---

(١) تفسير المنار ٧/٢٦٤ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
بتصرف يسير فى اللفظ .

أما الحديث الذى أشــار الشيخ الذهبى إليه وهو فى صــحيح البخارى ، وأن الشيخ محمد رشيد لا يصححه فهو منقطع كما سبق أن نقلنا من نص فى ذلك وعزوناه الى ابن العربى وابن كثير • والهامش الذى أشار إليه الشيخ الذهبى ينص فيه الشيخ محمد رشيد على أنه منقطع •

ولعل ضخامة الموضوع وسعته لم تمكنا الشيخ الذهبى رحمه الله من الوقوف على حقيقة رأى الشيخ محمد رشيد فى رؤية الجن وعدم تصحيح الحديث والله أعلم »



(رأيه فى معجزات النبى صلى اللــه عليه وسلم)

قال الشيخ الذهبى رحمه الله : ولقد نجد صاحب المنار يذهب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم مذهبا بعيدا ، فيقرر أنه لا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم • وينكر بعض معجزاته الكونية ، ويتأول ما يشهد لها من آيات ، ويجحد صحة ما يقوم باثباتها من الأحاديث (١) وما يسلمه من بعض الآيات الكونية فهو فى نظــره أكرام للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه وليس من قبيل المعجزة ، أو الحجة على صدق دعوته (٢) •

يشير الشيخ الذهبى بعبارته الى موضوع له أهمية كبرى ومبحث له أصوله العميقة وفيناه حقه من التمحيص والدراسة فى مبحث انشقاق القمــر •

والشيخ يقرر فى هذا البحث أن معجزة النبى صلى الله عليــه وسلم التى تحدى بها هى القرآن الكريم وحده •

وأن معجزاته صلى الله عليه وسلم الأخرى لم يقع بها التحدى وأن سياق حديث أنس رضى الله عنه : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم اية فأراهم انشقاق القمر (٣) • يعارض فى ظاهرة

---

(١) فى الأصل عن الأحاديث وهو تصحيف .

(٢) التفسير والمفسرون ٢/٥٨٥ .

(٣) راجع ذلك فى مبحث انشقاق القمر .

آيات القرآن الكريم التى بينت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط الآيات المقترحة . وهى آيات كثيرة بينتها فى موضعها من مبحث انشقاق القمر .

كما تعارض الأحاديث الصحيحة أيضا . روى الحاكم قال : حدثنا أبو العباس محمد بين يعقوب ثنا هارون بن سليمان الأصبهانى ثنا عبد عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم : ادع الله ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ، ونؤمن بك . قال : أو تفعلون ؟ قالوا : نعم . فدعا الله فأتاه جبريل . فقال : ان ربك يقرىء عليك السلام ويقول : ان شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العاملين . وان شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة .

قال يارب . بالتوبة والرحمة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى على تصحيحه (١) .

وروى الحاكم بسنده عن ابن عباس قال : فسأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن تنحى عنهم الجبال فيزرعوا فيها فقال الله عز وجل : أن شئت آتيناهم ما سألوا فان كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم وان شئت أن أستانى بهم لعلنا نستحيى منهم فأنزل الله : وما منعنا أن نرسل بالآيات ألا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى على ذلك (٢) .

---

(١) المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ٣١٤/٢ .
(٢) نفسه ٣٦٢/٢ .

وآية القمر ليست نصا فى معنى حديث أنس رضى الله عنه : سأل أهل مكة ... الخ) سواء قلنا بالمجاز أو بالحقيقة فى تفسيرها . كما بينت ذلك فى موضعه هناك من تفسير الآية .

فيقول الشيخ الذهبى رحمه الله عن الشيخ محمد رشيد : أنه يذهب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم مذهبا بعيدا ، يوهم أنه يرفض هذه المعجزات كما هو شأن الفلاسفة لأن الآيات العلوية عندهم غير قابلة للخرق والالتئام .

والحق أنه لا ينكر انشقاق القمر ولكنه ينكر فقط أن يكون وقع اجابة لطلبهم لما قام عنده من دليل سبقت الاشارة إليه .

وهو بهذا يختلف عن الفلاسفة فى تعليل ذلك عنه وعندهم . بل هو يعد القرآن الكريم معجزة المعجزات التى يتضاءل انشقاق القمر — على ضخامته — أمام هذه المعجزة الباقية الثابتة له صلى اللـه عليه وسلم .

والشيخ محمد رشيد فى تناوله لهذه المسألة ، يقر الآيات الكونية ويشهد بها قال رحمه الله : ان ما رواه المحدثون بالأسانيد المتصلة تارة والمرسلة أخرى من الآيات الكونية التى أكرم الله بها عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هى أكثر من كل ما رواه الانجيليون وأبعد عن التأويل ، ولم يجعلها برهانا على صحة الدين ، ولا أمر بتلقينها للناس .

ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعـد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها ، لأن البشر قد بدأوا يدخلون بها فى سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه

فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة لنظام المألوف فى سنن الكون (1) .

فهو مع إيمانه بهذه الآيات الكونية يقلل من شأنها ازاء المعجزة الكبرى وهى القرآن الكريم .

أما موقفه من حديث أنس رضى الله عنه المرسل فى الصحيحين فقد بين فى موضعه فى مبحث انشاق القمر . والله أعلم هـ .

(1) الوحى المحمدى ص 79 ط 8 .

الفصل الرابع

(مع الأســـتاذ الشيخ محمد محمد أبو زهو)

فى كتـــابة الحـــديث

عنى المحدثون بجمع الروايات حول كتابة الحديث نهيا واباحة عند تناولهم لموضوع كتابة الحديث وتدوينه •

وكما هو دأبهم انتقدوا ومحصـــوا هذه المرويات التى اســـتدلوا ببعضها على النهى ، وببعضها على الاباحة ليختاروا أرجح الأمرين ، شأنهم فى التحرى والتدقيق للاستنباط ، واستخراج مدلول النص فيما يعرض لهم من مسائل يحتكمون فيها الى النص والدليل •

ومن قبل عرض لهم ما يشبه هذا من جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه وفى عهد عثمان من بعده •

لقد كانوا يترددون كثيرا فيما لم يتبين لهم نص عليه من الدين أو فيما تعارضت فيه النصوص وقد تدافعت •

وانما كانوا يفعلون ذلك لعدم جرأتهم على الفتوى بغير علم أو القول بغير دليل • حتى اذا تبين لهم ما هو خير لهم فى دينهم سارعوا فيه ومضوا إليه لايثنيهم عنه شىء •

وفى العصر الحديث تناول عدد من المستشرقين موضـــوع كتابة الحديث فكتب فيه منهم شبرنجر وجولد تسهير ود وزى وموفاجية وقد كانت نتائج أبحاثهم تشبه نواياهم التى تناولوا بها الموضوع ،

يجمعها الكيد والمكر ، فجولد زيهر يهدف الى أضعاف الثقة باستظهار السنة فى الصدور ، لتعويل الناس فى القرن الهجرى ، الثانى على الكتابة ، ووصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على السنة المدونين لها الذين لم يجمعوا منها الا ما يوافق أهواءهم •

وشبرنجر فى كتابه « الحديث عند العرب » يحاول تفنيد المعتقد الخاطىء عن وصول السنة بطريق المشافهة وحدها ، ويجمع الكثير من الأدلة على تدوين الأحاديث والتعويل على هذا التدوين فى عصر مبكر يبدأ فى مطلع القرن الهجرى الثانى ، وليس فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وغايته لا تختلف فى شىء عن غاية جولد زيهر •

ويعترف دوزى بصحة قسم كبير من السنة النبوية التى حفظت فى الصدور ودونت فى الكتب بدقة بالغة ، وعناية لا نظير لها • مع أنها تشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق لو لم ترد فيها (1) •

هذا هو هدف هؤلاء المستشرقين من وراء أبحاثهم التى يخدعون بها غيرهم من طلاب العلم والمعرفة •

وما هو الا الحسد لما لم يتوفر عندهم من أسانيد متصلة وعلوم كاملة فى الجرح والتعديل ، وقواعد كاملة فى علوم الحديث يمكن أن تجد فى كل نوع منه جزءا كاملا من الكتابة والتأليف •

وكان لهذا النشاط فى الهجوم على السنة فى موضوع كتابة الحديث نشاط آخر يقابله من جانب علماء المسلمين ، فتناولوا كتابة الحديث بالدراسة والبحث حتى أردها بعضهم بالكتابة فى مؤلف مفرد يتسم

---

(1) انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح • ج ٤ ص ٣٣ ، ٣٤ •

بالعمق والأصالة وهو موضوع كتاب « السنة قبل التدوين » للدكتور محمد عجاج الخطيب .

وممن كتب فى هذا الموضوع وخالف فى كتابته ما يراه الجمهور الشيخ محمد رشيد رضا .

وقد رد عليه فى هذا الاستاذ الشيخ محمد محمد أبو زهو . وتوضح موقف كل منهما فيما يلى مع ترجيح ما يؤيده الحق ويسانده الدليل .

قال الشيخ محمد رشيد « لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين فى القرن الأول وجعل ما كتبه مصنفا مجموعا خالد بن معدان الحمصى ، روى عنه أنه لقى سبعين صحابيا ، قال فى تذكرة الحفاظ وقال بحير : ما رأيت أحدا ألزم للعلم منه وكان علمه فى مصحف له أزرار وعرى ثم قال : فخالد بن معدان جمع علمه فى مصنف واحد جعل له وقاية لها أزرار وعرى تمسكها لئلا يقع شيء من تلك الصحف . وكان ذلك فى القرن الأول طبعا فانه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة » (١) .

ورد عليه الأستاذ الشيخ محمد أبو زهو فقال : خالف الشيخ المشهور عند العلماء من أن أول من دون الأحاديث بأمر الخليفة لتنتشر فى جميع الأقطار الاسلامية هو ابن شهاب الزهرى ، ولا دليل يستند إليه سوى قول بحير فى خالد بن معدان « وكان علمه فى مصحف له أزرار وعرى » مع أنه لا دلالة فيه على أولية التدوين . وهذا تدوين لنفسه خاصة سبقه به كثير كعبد الله بن عمرو بن العاص . وكل ما

---

(١) مجلة المنار جـ ١٠ ص ٧٥٤ .

هنالك أنه شهد له بغزارة العلم ، وأنه كان يكتبه فى صحف خشية أن يضيع ، والثابت أن ابن شهاب كان ألزم للعلم من خالد ، وأحرص على التدوين منه ، وأقوى حفظا من غيره وأنه أول من دون الحديث على الإطلاق من التابعين لينشر في الأقطار الاسلامية (١) ٠

والحق فى هذا يؤيد ما قاله الشيخ أبو زهو ٠ وقد كان محمد رشيد مترددا فى هذه المسألة يكتب فيها مرة بما قاله الجمهور ، وأخرى بما يشذ به عنهم كهذا الذى فنده الشيخ أبو زهو ٠

ومما كتبه موافقا به ما قال الجمهور مارد به على محمد فريد وجدى الذى قال فى كتابه كنز العلوم واللغة مادة حديث ، ان أول من ألف فى الحديث مالك فى الموطأ توفى سنة ١٧٩ هـ وقيل ابن جريج ٠

قال الشيخ محمد رشيد منتقدا محمد فريد وجدى : والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ بن حجر فى الفتح ورواه أبو نعيم فى الحلية عن مالك نفسه ٠ وفى باب اكتتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن ٠ وعلقه البخارى : أخبرنا مالك : أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبى بكر عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لى ، فانى قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء (٢) ٠

هذا ما كتبه الشيخ محمد رشيد موافقا به ما عليه الجمهور ٠ وقد كتبه فى العدد السابع من المجلد العاشر أى قبل كتابة النص الـذى

---

(١) الحديث والمحدثون ط ١ ص ٢٢١ ٠

(٢) مجلة المنار ج ١٠ ص ٥٤٣ وانظر فتح البارى ١/ ٢١٨ ٠

انتقده الشيخ أبو زهو بثلاثة شهور فقد كان النص المنتقد فى العدد العاشر من المجلد العاشر .

وقد كتب أيضا من الثناء على الزهرى ضمن المقال المنتقد والذى قال فيه : لعل أول من كتب الحديث .... خالد بن معدان . قال ولكن المشهور أو أول من كتب الحديث محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى القرشى ولعل سبب ذلك أخذ أمراء بنى أمية عنه .

قال أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهرى على العلماء ومعه الا لواح والصحف يكتب كل ما سمع ، يعنى من الحديث وغيره . فقد روى أبو صالح عن الليث قال : ما رأيت عالما قط أجمع من الزهرى يحدث فى الترغيب فتقول : لا يحسن الا هذا وان حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن الا هذا . وان حدث عن القرآن والسنة فكذلك (١) .

ولعل سبب قوله فى خالد بن معدان هو تقدمه الزمنى على ابن شهاب فقد مات خالد سنة ثلاث ومائة ومات ابن شهاب سنة ١٢٥ هـ (٢) .

وقد أصبح المعروف الآن فى تدوين الحديث أنه بدأ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بصحف خاصة كان يكتبها أصحابها إما للاستعانة بها على الحفظ أولا بقائها كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص وصحيفة على وصحيفة سعد بن عبادة الأنصارى وصحيفة سمرة بن جندب ، وصحيفة جابر بن عبد الله ، وغير هؤلاء ممن كانوا يكتبون أو يكتب لهم الحديث (٣) .

---

(١) مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٧٤ وانظر تذكرة الحفاظ .
(٢) انظر تقريب التهذيب فى خالد ١/ ٢١٨ وفى ابن شهاب ٢/٢٠٦.
(٣) انظر علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٣ وما بعدها ط ٤ .

ـ أما التدوين العام فقد بدأ بأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن شهاب بكتابة الحديث على رأس المائة الأولى من الهجرة كما كتب لابى بكر بن حزم قاضى المدينة والى علماء الأمصار قائلا لهم : أكتبوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعـوه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء .

وقد أجاب الحافظ على تعارض أحاديث النهى عن الكتابة وإباحتها فقال : ان النهى خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره ، والاذن فى غير ذلك ، أو أن ـ النهى خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن فى شىء واحد والاذن فى تفريقها ، أو النهى متقدم والاذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وقيل : النهى خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والاذن لمن أمن منه ذلك . وقال الحافظ أيضا : ومنهم من أعل حديث أبى سعيد ، وقال : الصواب وقفه على أبى سعيد . قاله البخارى وغيره (1) .

وقد عقد الشيخ محمد رشيد فصلا بعنوان التعادل والترجيح بين روايات المنع وروايات الرخصة قال فيه :

الأحاديث فى باب الرخصة بكتابة الحديث أو العلم مروية عن نفر من الصحابة .

1 ـ حديث أبى هريرة « أكتبوا لأبى شاه » وهو فى الصحيحين وموضوعه خاص وروى عنه البخارى قوله : ان عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنه

---

(1) فتح البارى 1/218 وحديث أبى سعيد المعنى هو « لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن » رواه مسلم 8/229 وفى مختصره رقم 1860 ص 492 .

هو لم يكن يكتب (١) وله حديث عند الترمذى : أن النبى صلى الله عليه وسلم أذن لرجل سيء الحفظ بأن يستعين بيمينه (٢) .

٢ ـ حديث أنس : (قيدوا العلم بالكتاب) (٣) تقدم أنه ضعيف .

٣ ـ حديث أبى بكر (من كتب عنى علما أو حديثا) رواه ابن عساكر فى تاريخه ضعيف .

٤ ـ حديث رافع بن خديج (اكتبوا ولا حرج) رواه الحكيم الترمذى والطبرانى والخطيب ضعيف كما علم من ايراد السيوطى له فى الجامع الكبير .

٥ ـ حديث حذيفة (اكتبوا قبل ذهاب العلماء ، وانما ذهاب العلم بموت العلماء) لا يصح وهو عام فى كل علم . وقد رواه ابن النجار فى تاريخه .

٦ ـ حديث على فى الصحيفة وهو صحيح رواه أحمد والبخارى والثلاثة وموضوعها خاص ومنسوب الى الوحى . وحديثه « اكتبوا هذا العلم ، فانكم تنتفعون به اما فى دنياكم وأما فى آخرتكم وان العلم لا يضع صاحبه » رواه الديلمى وفى سنده محمد بن على بن الاشعث كذبوه فالحديث موضوع .

---

(١) عند مسلم الظهر ، ووقع عند البخارى لا يصلين احد العصر . بيان العلم ٨٤/١ .

(٢) عارضة الأحوذى ١٣٤/١٠ قال فيه ابو عيسى : هذا حديث اسناده ليس بذلك القائم وسمعت محمد بن اسماعيل يقول : الخليل بن مرة منكر الحديث .

(٣) جامع بيان العلم ٨٦/١ وفى سنده عبد الحميد بن سليمان الخزاعى . وهو ضعيف ٤٦٨/١ تقريب وهو فى بيان العلم عن عمر أيضا وفى سنده عبد الاله بن يونس وهو مجهول ٤٦٣/١ تقريب وفى المستدرك ١٠٦/١ .

٧ ــ كتاب الصدقات والديات والفرائض لعمرو بن حزم • رواه أبو داود والنسائى وابن حبان والدارمى وموضوعه خاص ، وانما كتب له ذلك ليحكم به اذا ولى عمل نجران (١) •

٨ ــ حديث عبد الله بن عمرو وهو أكثر ما ورد فى الباب ، وقد جاء بألفاظ مختلفة من طريقين فيما أعلم الآن عند أحمد وأبى داود والحاكم فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أى عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده • وهذا الطريق فيه مقـال مشـهور للمحدثين لم يمنع بعض المتأخرين من الاحتجاج به ، وهو تساهل منهم ، وأما المتقدمون فقد قال فى الميزان ، قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث اذا شاءوا احتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده واذا شاءوا تركوه • يعنى لترددهم فى شأنه وقال عبد الملك اليمنى : سمعت أحمد بن حنبـل يقول : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده له أشياء مناكير ، وانما نكتب حديثه لنعتبر به فأما أن يكون حجة فلا : وقال أبو عبيد الآجرى: قيل لأبى داود : عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده حجة ؟ قال :لا ولانصف حجة • وقال ابن أبى شيبة : سألت ابن المدينى عن عمرو بن شعيب ، فقال : ما روى عنه وابن جريج فذلك كله صحيح وماروى عمرو عن أبيه عن جده فانما هو كتاب وجده فهو ضعيف • فهذا قد ضعفه لأنه اعتمد على مارآه مكتوبا ولم يروه رواية •

---

(١) سنن الدارمى ٢ /١٨٨ ، ١/٣٨٣ •

والطريق الثانى عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عنه بلفظ « قيدوا العلم » وعبد الله بن المؤمل ، قال أحمد : أحاديثه مناكير وقال النسائى والدارقطنى : ضعيف ، ولا حاجة الى مراجعة طريق ابن عساكر فقد جزم السيوطى بضعفها .

أما ما رواه ابن عبد البر عن عبد الله بن عمرو بن العاص من قوله : ما يرغبنى فى الحياة الا خصلتان الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الوهط . فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان عبد الله يقوم عليها . ففى سنده ليث عن مجاهد . وليث هذا هو ابن أبى سليم ، ضعفه يحيى والنسائى ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبى قال : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا فى أحد منه فى ليث ومحمد بن اسحاق وهمام لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم ذكره فى الميزان وذكر أنه اختلط فى آخره عمره (١) .

وقد فند الشيخ أبو زهو كل ذلك فقال : ادعى أن حديث أبى هريرة عند الشيخين خاص بأبى شاه ولم يبين لنا وجه تلك الخصوصية . ومن المقرر عند العلماء أن دعوى الخصوصية بلادليل غير مقبولة . فان أراد بالخصوصية أن قوله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاه ، خاص بخطبته عام فتح مكة فذلك صريح الحديث ، لكن لا يدل على منع الكتابة فى غير خطبته هذه أو لغير أبى شاه ، لأنه لا فارق بين خطبته فى هذا المقام وبين سائر أحاديثه فى وجوب العناية بحفظها ووجوب تبليغها

---

(١) مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٦٦ وانظر الحديث والمحدثون ص ٢٢٢/٢٢٣ وجامع بيان العلم ١/٨٦ وتقريب التهذيب ٢/١٣٨ .

كما أنه لا خصوصية لأبى شاه عن غيره من سائر الصحابة رضى الله عنهم ، بل عن جميع المكلفين • فان قيل : يحتمل أنه كان سيء الحفظ • قلنا : ويحتمل أنه أراد أن يضم الكتابة الى الحفظ ، والاحتمالات بابها واسع • فالمصير الى احتمال معين ودعوى أن ما عداه باطل محض تحكم (١) •

والحق هنا فى جانب الشيخ أبى زهو لأن ادعاء الخصوصية لابد له من دليل كما هو واضح • ولأن الأمر بالحقيقة المطلقة ليس أمرا بشيء من صورها ، لأن الحقيقة مشتركة بين الأفراد ، والقدر المشترك ليس هو مما يميز به كل واحد من الأفراد عن الآخر ، ولا هو مستلزما له (٢) •

وتخصيص العام بلا دليل يهدر النص ، لأن دلالته على بعض أفراده ليس أولى من دلالته على البعض الآخر •

ولهذا لم يجوزوا التخصيص الا بدليل كتخصيص قوله تعالى : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » (٣) بحديث « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » وتخصيص قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم)(٤) بحديث « لا يرث المسلم الكافر » (٥) •

على أن لنا أن نقول هنا أيضا : ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالحديث وان ورد فى كتابة خطبة النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٢٤ •
(٢) انظر اعلام الموقعين ٣/٢٢٣ •
(٣) النساء الآية ٢٤ •
(٤) النساء الآية ١١ •
(٥) انظر اعلام الموقعين ٢/٣١٨ •

عام الفتح الا أن لفظه عام فلا يختص بكتابة هذه الخطبة بل يتناول كل ما كان من حديثه صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ أبو زهو : وأما حديث أبى هريرة الثانى فقد سكت عنه ، وهو ما رواه البخارى فى صحيحه عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب (١).

ولا يلفت الى الطعن فى همام بعد تخريج البخارى له فى الصحيح (٢) . ونحن نستدل بهذا الحديث على أن كتابة الحديث جائزة بل مستحبة . فان ابن عمرو فعلها ، وأبو هريرة لم ينكر عليه بل يجعل ذلك من محاسنه . وأنه من أجل ذلك كان أكثر حديثا منه . قال فى فتح البارى : روى أحمد والبيهقى فى المدخل من طريق عمرو بن شعيب عن مجاهد والمغيرة بن حكيم قالا : سمعنا أبا هريرة يقول : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ويعى بقلبه وكنت أعى ولا أكتب . أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له اسناده حسن (٣) .

قال الشيخ أبو زهو بعد نقل ما تقدم : أفاد هذا الحديث أن عبد الله بن عمرو استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابة الحديث ، فأذن له . أنه لم يكن به آفة تضطره للكتابة ، بدليل قول أبى هريرة

---

(١) فتح البارى ٢١٧/١ .

(٢) هو همام بن منبه بن كامل الصنعانى أبو عتبة ، أخو وهب ثقة ، مات سنة ١٣٢ روى له الستة تقريب ٣٢١/٢ .

(٣) فتح البارى ٢١٨/١ .

(فأنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه) وأن موضوعه ليس بخاص بل هو عام في الأحاديث كلها .

ولما حديث أبي هريرة الثالث عند الترمذي : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لرجل سيء الحفظ بأن يستعين بيمينه) (١) فواضح الدلالة على أنه يجوز لمن كان على مثل حال هذا الرجل أن يستعين بالكتابة . وذلك لا يمنع جواز الكتابة لمن كان حسن الحفظ ، فان ذلك آكد لحفظه (٢) .

هذه مناقشة الشيخ أبي زهو هنا وهي مناقشة تسير في جانب الحق . وأني لأعجب كيف خفي على الشيخ محمد رشيد مثل هذا الحكم ؟ وهو الذي جلى كثيرا من المسائل الدقيقة في الحديث والتفسير وغيرهما ـ بل كان يكفيه في ذلك ما رواه البخاري في صحيحه قال : حدثنا يحيى ابن سليما قال : حدثني ابن وهب قال : خبرني يونس عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . قال عمر : ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط . قال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول : ان الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه (٣) .

قال الحافظ بن حجر ملخصا أحاديث الباب الذي عنون له البخاري بباب كتابة العلم : قدم حديث على أنه كتب عن الرسول صلى الله

---

(١) بينا ما قاله فيه الترمذي والبخاري آنفا .

(٢) الحديث والمحدثون ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) فتح الباري ٢١٨/١ / ٢٢٠ .

عليه وسلم بطرقه احتمال أن يكون أنما كتب ذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبلغه النهى • وثنى بحديث أبى هريرة • الأمر بالكتابة وهو بعد النهى فيكون ناسخا • وثلث بحديث عبد الله بن عمرو ، وقد بينت أن فى بعض طرقه أذن النبى صلى الله عليه وسلم له فى ذاك فهو أقوى فى الاستدلال للجواز من الأمر أن يكتبوا لأبى شاه لاحتمال اختصاص ذاك بمن يكون أميا أو أعمى • واختتم بحديث ابن عباس الدال على أنه صلى الله عليه وسلم هم أن يكتب لأمته كتابا يحصل معه الأمن من الأختلاف وهو لا يهم الا بحق • أه [1] •

فحديث ابن عباس وابن عمرو فيهما أقوى دليل على اباحة الكتابة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن آخر الأمـرين الأباحة لا النهى الذى يراه الشيخ محمد رشيد • وكان يكفيه الاطلاع عليهما ليعلم ما هو الصواب فى هذه المسألة التى لا ينهض ما يعارضها ، لا من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الذى تكلم فيه البخـارى وغيره • وقالوا الصواب وقفه على أبى سـعيد • ولا من غـيره من النصوص • فالصواب هو الأباحة آخـر الأمر • وهـذا هو الذى تؤيده النصوص •

بل لقد كتب النبى صلى الله عليه وسلم كتبا الى ملوك وأمـراء عصره يدعوهم فيها الى الإسلام [2] ويبلغهم ما أوجب الله عليـه تبليغه • كما كان يكتب مع بعض أمراء سراياه كتبا ويأمرهم أن لا يقرؤوها الا بعد أن يجاوزوا موضعا معينا •

---

(١) نفسه ص ٢٢٠ •

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/٢٢/٥٦ •

ولقد كان النهى أولا ليتوفروا على القرآن حفظا وكتابة ، لما هو معلوم من أنهم كانوا أميين وأدوات الكتابة عندهم نادرة • وآيات القرآن تنزل متفرقة يسهل عليهم حفظها وكتابتها • أما السنة فانها تشمل كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة • وذلك يربو على أضعاف أضعاف القرآن الكريم كما نرى من تعدد دواوين السنة وسعتها •

والتكليف — مع كتابة وحفظ القرآن الكريم — بكتابة السنة أمر عسير • وقد رفع الله العنت عن المؤمنين ، وجعل دينه يسرا لا عسرا •

ووقع النهى عن الكتابة أيضا لئلا يختلط ذلك بالقرآن الكريم بما كان يمكن أن يكون أعظم شبهة ترد على المسلمين اليوم ، من المشككين والمضللين •

على أن التدوين وقع عند أمن اللبس فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وهو وان كان تدوينا خاصا لا عاما كما وقع بعد أمر عمر بن عبد العزيز للحفاظ بالتدوين الا أنه جمع للسنة الأمرين الحفظ فى الصدور والحفظ فى السطور • وأبعد عن القرآن الكريم شبهة الالتباس بها • الأمر الذى كان يمكن أن يعد مطعنا كبيرا فى كتاب المسلمين وأساس هذا الدين •

وقد يدل على هذا ما رواه الخطيب عن الضحاك من قوله : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف (١) •

---

(١) تقيد العلم ص ٤٧ •

وبتأخير كتابة الحديث نشأ علم الأسناذ وتاريخ الرجال وأصول الحديث لخدمة السنة والذب عنها فى وجه الدخيل والموضوع المصنوع الذى لا يصح نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا حاجة لنا بحديث الترمذى فى ذلك من اذن النبى صلى الله عليه وسلم لرجل سىء الحفظ بأن يستعين بيمنيه لعدم قيام اسناده كما قال الترمذى ، ففيما صح من الحديث ما يكفى فى قيام الحجة — ولله الحمـد .

وهكذا تتضافر أدلة الأباحة من كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء الى كتبه الى أمراء سراياه ورؤساء الجند الى كتابه صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن الى اذنه لعبد اللـه بن عمرو الذى رواه البخارى وغيره الى قوله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى قبض فيه « ايتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » .

وقد تكلم الشيخ محمد رشيد فى حديث عبد الله بن عمرو فقال : أنه مروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وقد جاء بألفاظ مختلفة ، من طريقين فيما أعلم الآن عند أحمد وأبى داود والحاكم . فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أى عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده . وهذا الطريق فيه مقال مشهور للمحدثين لم يمنع بعض المتأخرين من الاحتجاج به ، وهو تساهل منهم ، وأما المتقدمون فقد قال فى الميزان : قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث اذا شاؤا احتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، واذا شاؤا تركوه ، يعنى لترددهم فى شأنه ، وقال عبد الملك الميمونى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده له أشياء مناكير ، وإنما يكتب حديثه لنعتبربه ، فأما أن يـكون

حجة فلا • وقال أبو عبيد الآجرى : قيل لأبى داود : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حجة ؟ قال : لا ولا نصف حجة • وقال ابن أبى شيبة سألت ابن المدينى عن عمرو بن شعيب ، فقال : ما روى عنه أيوب وابن جريج فذلك كله صحيح • وماروى عمرو عن أبيه عن جده فانما هو كتاب وجده فهو ضعيف • فهذا قد ضعفه لأنه اعتمد على ما رآه مكتوبا وهو لم يروه رواية •

والطريق الثانى عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عنه بلفظ « قيدوا العلم » وعبد الله بن المؤمل قال أحمد : أحاديثه مناكير • وقال النسائى والدارقطنى ضعيف (١) •

وقد ناقش الشيخ أبو زهو فى ذلك فأوضح أن الطريق الأول — عمرو بن شعيب •

عن أبيه عن جده — فالذى عليه المحققون والجماهير من المتقدمين والمتأخرين أنه يحتج به • قال ابن الصلاح فى النوع الخامس والأربعين من مقدمته : لعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بهذا الأسناد نسخة كبيرة أكثرها فقهيات جياد • وشعيب هذا هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص • وقد احتج أكثر أهل الحديث بحديثه حملا لمطلق الجد فيه على الصحابى عبد الله بن عمرو بن العاص ، دون ابنه محمد والد شعيب لما ظهر لهم من اطلاقه ذلك (٢) •

---

(١) مجلة المنار ج ٢٠ ص ٧٦٥/٧٦٦ وانظر الحديث والمحدثون ص ٢٢٧ •
(٢) انظر التقييد والايضاح ص ٣٤٧ انظر الحديث والمحدثون ص ٢٢٧ •

وقال السيوطى فى التدريب (١) قال البخارى : رأيت أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى واسحاق بن راهويه وأبا عبيدة وعامة أصحابنا يحتجون بحديثه ما تركه أحد من المسلمين • وقال مرة : اجتمع على ويحيى بن معين وأحمد وأبو خيثمة وشيوخ من أهل العلم ، فتذكروا حديث عمرو بن شعيب فثبتوه ، وذكروا أنه حجة وقال أحمد بن سعيد الدارمى : احتج أصحابنا بحديثه • قال النووى فى شرح المهذب وهو الصحيح المختار الذى عليه المحققون من أهل الحديث وهم أهل هذا الفن وعنهم يؤخذ حملا لجده على عبد الله بن عمرو دون محمد التابعى لما ظهر لهم فى اطلاقه ذلك •

وسماع شعيب من عبد الله بن عمرو ثابت • وقال اسحاق بن راهويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كأيوب عن نافع عن ابن عمر • قال النووى : وهذا التشبيه غاية الجلالة من مثل اسحاق • وقد ألف العلائى جزءا مفردا فى صحة الاحتجاج بهذه النسخة والجواب عما طعن عليها •

قال ابن حبان : ان أراد جده عبد الله فشعيب لم يلقه فيكـون منقطعا وان أراد محمـدا فلا صحبة له فيكون مرسلا • قال الذهبى وغيره : وهذا القول لا شئ ، لأن شعيبا ثبت سماعه من عبد الله • وهو الذى رباه لما مات أبوه محمد • هـ كلام السيوطى •

---

(١) وقاله ايضا فى كتاب « اسعاف المبطأ برجال الموطأ » له ص ٣٢ المطبوع مع تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك • مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر .

قال الشيخ أبو زهو بعد نقل ما تقدم : وأما الطريق الثانى الذى ضعفه الأئمة كما قال الشيخ فهو وان لم يصلح للاحتجاج به لكتابة الحديث فهو يصلح شاهدا على ذلك • والحجة قائمة بغيره من الأحاديث الصحيحة (١) •

هذه هى المناقشات التى أجراها الأستاذ الشيخ أبو زهو مع الشيخ محمد رشيد فى حديث عبد الله بن عمرو حول كتابة الحديث •

وهى مناقشات تقوم على أسس علمية سليمة فرواية عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده معتمدة عند أهل الحديث كما سبق عند البخارى وابن المدينى شيخه ويحيى بن معين وأحمد وأبى خيثمة وغيرهم •

وانتقاد ابن حبان بأن حديثه عن أبيه عن جده اما مرسلا اذا كان يعنى بجده محمدا تابعى لا صحبه له أو منقطعا ان كان يعنى عبد الله بن عمرو لأن شعيبا لم يلق عبد الله بن عمرو •

هذا النقد رده الذهبى ، لأن شعيبا ثبت سماعه من عبد الله وهو الذى رباه لما مات أبوه محمد •

على أن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فى الكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مروى بسند صحيح عن يوسف بن ماهك عند الحاكم وقال فيه الذهبى فى التلخيص هـو على شرط مسـلم • ونص الحديث •

أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السماك ببغداد ، ثنا عبد الرحمن ابن محمد بن منصور الحارثى ثنا يحيى بن سعيد • (وحدثنا) أبو بكر ابن اسحاق الفقيه واللفظ له ، ثنا أبو المثنى ثنا مسدد ثنا يحيى ، عن

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٢٩ •

عبيد الله بن الاخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وأريد حفظه • فنهتنى قريش وقالوا تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الرضا والغضب ؟ قال : فأمسكت ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قال : أكتب فوالذى نفس بيده ، ما خرج منه إلا الحق • وأشار بيده الى فيه • قال الحاكم : رواه هذا الحديث قد أحتجابم عن آخرهم غير الوليد هذا • وأظنه الوليد بن أبى الوليد الشامى • (فانه الوليد بن عبد الله وقد علمت على أبيه الكتبة) (١) فان كان ذلك فقد احتج مسلم به قال الذهبى فى التلخيص : أن كان الوليد هو ابن أبى الوليد الشامى ، فهو على شرط مسلم (٢) •

فالحديث فى الكتابة لم يرد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فقط على احتجاجهم بهذا الأسناد كما سبق • قال الحاكم • فليعلم طالب العلم أن أحدا لم يتكلم فقط فى عمرو بن شعيب •وأنما تكلم مسلم فى سماع شعيب من عبد الله بن عمرو • فاذا جاء الحديث عن عمرو بن شعيب عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو فانه صحيح (٣) •

وقد علم جوابهم فى هذا ، وفى ثبوت سماع شعيب من عبد الله ابن عمرو بن شعيب يعنى بجده عبد الله بن عمرو لا محمدا جده الأدنى• فلا يكون حديثه مرسلا ولا منقطعا •

---

(١) ربما كانت العبارة التى بين قوسين تصحيفا كما تدل عليه عبارة التلخيص •

(٢) المستدرك ١/١٠٥ — ١٠٦ •

(٣) المستدرك ١/١٠٥ .

(جمع الشيخ محمد رشـيد بين أحاديث النهى)
والأباحة فى كتابة الحديث ومناقشة فى ذلك

جمع الشيخ محمد رشيد بين أحاديث النهى والأباحة فى ذلك فقال : ولذلك وجوه : أحدها — أن ما أمر بكتابته لأبى شاه — وهـو خطبته ثانى يوم فتح مكة — يحتمل أن يكون خاصا به • ثانيا — أنه كان مما قال فيه : « فليبلغ الشاهد الغائب » كخطبته يوم حجة الوداع • فلما طلب أبو شاه أن يكتب له ما قاله • فهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يتيسر له هذا التبليغ الا اذا كتبه • ولعله كان سىء الحفظ فأمر لن يكتب له كما طلب • ثالثها — أن حديث النهى عن الكتابة مقيد بإبقاء المكتوب وفيه الرخصة الصريحة لمن يكتب مؤقتا ثم يمحوه ويؤيد هذا ما رواه ابن عبد البر عن زيد بن ثابت وابن مسـعود وعلى فى محـو المكتوب •

وما رواه من قول مالك « فمن كتب منهم الشىء ، فانما كان يكتبه ليحفظه فاذا حفظه محـاه » •

وهذا الوجه يصلح جوابا عن حديث الاذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة ويؤيده قول عبد الله : كنت أكتب كل شى أسمعه من رسول اللـه صلى الله عليه وسلم (أريد حفظه) فصرح بأنه كان يكتب ليحفظ • وقد علمت ما قال أئمة الحديث فى رواية حديثه عن النسخة المكتوبة • ويصلح جوابا عن صحيفة على وكتاب عمرو بن حزم [1] •

---

(١) مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٦٦ وانظر الحديث والمحدثون ص ٢٣٠/ ٢٣١ .

وقد ناقشه فى ذلك الشيخ أبو زهو فقال : ان الخصوصية لا تثبت لمجرد الأحتمال ودعوى أنه سىء الحفظ تحتاج الى نقل صحيح ولم يوجد •

ولو سلمناه فليس حديث أبى شاه هو كل ما ورد فى الاذن بالكتابة •

ويعارض الوجه الثالث من وجوه الجمع ، أن عبد الله بن عمرو ابن العاص كان يكتب الحديث لا لضعف حفظه ، ولكن ليرجع إليه عند الحاجة • وقد أذن له النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اذنا مطلقاء فكتب عنه صحيفته الصادقة التى بقيت فى آله الى أن رواها عنه حفيده عمرو بن شعيب واعتمدها كبار المحدثين كالبخارى ومالك وأحمد واسحاق ابن راهويه وغيرهم ، ويعارضه أيضا أن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم خص عليا رضى الله عنه بشىء من الوحى• فسأل عليا رضى الله عنه أبو أحيحة ، وقيس بن عبادة والاشتر النخعى فى ذلك •

فقال على كرم الله وجهه : ما عندنا شىء نقرؤه الا كتاب الله ، وهذه الصحيفة وكان فيها أحكام الديات ومقاديرها وأصنافها ، وحكم تخليص الأسير من يد العدو ، والترغيب فى ذلك ، وحكم تحريم قتل المسلم بالكافر ، وفرائض الصدقة الى غير ذلك من الأحكام • فلو كانت كتابة الحديث لأجل الحفظ فقط ثم يجب محوها بعد ذلك لما بقيت صحيفة على الى زمن خلافته •

ومحو بعض الصحابة لما كتبوه أو أمرهم بذلك • ليس للنهى عن عن الكتابة على وجه البقاء بل لخشيتهم أن يشتغل الناس بها عن

القرآن • أو لأن الأولى الاعتماد على الحفظ تتنمو فيهم ملكته التى فطروا عليها ، أو لأن هذه الصحف كانت منقولة عن أهل الكتاب بدليل ما رواه ابن عبد البر أن الأسود وعلقمة أصابا صحيفة فانطلقا بها الى عبد الله بن مسعود فأمر بها فمحاها وتلا (نحن نقص عليك أحسن القصص) ••• الخ •

قال أبو عبيد (أحد رواة القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذاكره عبد الله رحمه الله النظر فيها (1) •

---

(1) الحديث والمحدثون باختصار يسير فى اللفظ لا المعنى ص ٢٣١ وانظر رواية الأسود وعلقمة فى جامع بيان العلم ١/٧٩ •

(رأينــا فى هــذه المناقشة)

هذه مناقشة يبدو الحق فيها واضحا فى جانب الشيخ أبى زهو •
وقد سبق أن أبطلنا دعوى الخصوصية فى حديث أبى شاه لعموم الأمر بالكتابة فى اللفظ ولعدم جواز ادعاء التخصيص بلا مخصص •
كما يبطل ادعاء احتمال أن تكون الكتابة لسوء الحفظ قول أبى هريرة فى عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ، ويعى بقلبه وكنت أعى ولا أكتب (١) ، ويبطل ادعاء الكتابة للحفظ ثم محوها بقاء هذه الصحف عند ابن عمرو وعلى ورسائله صلى الله عليه وسلم الى ملوك وأمراء عصره ، وكتبه صلى الله عليه وسلم التى كان ينفذها الى أمراء سراياه ورؤساء الجند وكتابه الى أهل اليمن • فلم ينقل عن أحد أنه طلب من أحد من أرسل إليهم هذه الكتب أن يمحوها بعد قراءتها أو حفظها •
بل ان صور هذه الكتب أصبحت من الوثائق التاريخية الثابته • وقد أفردها بعضهم بالتأليف فى كتاب سماه الوثائق التاريخية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم • وثق فيه ما كتبه صلى الله عليه وسلم من كتب ورسائل ومعاهدات (٢) •

ومحو بعض الصحابة لما كتبوه وأمرهم بذلك ، انما وقع بسبب خشيتهم أن يشغل الناس بها عن القرآن — كما ورد من قول على رضى الله عنه « فانما هلك الناس حين تبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم » (٣) وقول أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه لمن رغب

(١) فتح البـارى ١/٢١٨ .
(٢) مؤلفه هو الدكتور محمد حميد الله وهو عالم هندى .
(٣) جامع بيـان العلم ١/٧٦ .

فى الكتابة عنه ، قال : أردتم أن تجعلوه قرآنا ؟ لالا • ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) • والإمام مالك رحمه الله الذى قال : لم يكن مع ابن شهاب كتاب الا كتاب فيه نسب قومه ، قال : ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون ، فمن كتب منهم الشىء فانما كان يكتبه ليحفظه ، فاذا حفظه محاه (٢) •

روى مالك قال : سمعت يحيى بن سعيد يقول : لأن أكون كتبت كل ما كنت أسمع أحب إلى من أن يكون لى مثل مالى (٣) •

فقد تحسروا على ترك الكتابة ، وندموا على الابطاء نسبيا فى تدوين حديث النبى صلى الله عليه وسلم •

وما أثبتناه هنا عن مالك رضى الله عنه يدل على سرعة ادراكهم لأهمية تدوين السنة وحفظها ، فقد روى ما يدل على عدم الكتابة ثم لم يلبث أن روى ما يدل على تأييد الكتابة بل والأسف على عدمها •

بل ان أبا هريرة رضى الله عنه الذى قرر أنه لم يكن يكتب أول الأمـــر • كتب آخره • قال ابن وهب : وأخبرنى عبيد اللـــه بن أبى جعفر عن الفضيل بن حسن بن عمرو بن أمية الضمرى عن أبيه قال : تحدثت عن أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت انى قد سمعته منك • فقال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ، فأخذ بيدى الى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث فقال : قد أخبرتك أنى أن كنت حـــدثتك به فهو مكتـــوب عندى (٤) •

---

(١) نفسه ١/٧٧ •
(٢) نفسه ١/٧٧ •
(٣) نفسه ١/٨٩ •
(٤) نفسه ١/٨٩ •

قال الحافظ ابن حجر : قول أبى هريرة فى عبد الله بن عمرو : (ولا أكتب) قد يعارضه ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو ابن أمية ٠٠٠٠ الخ ٠

قال ابن عبد البر : حديث همام (١) أصح ، ويمكن الجمع بأنه لم يكن يكتب فى العهد النبوى ، ثم كتب بعده ، قال الحافظ ابن حجر ، وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبا عنده أن يكون بخطه ، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب ، فتعين أن يكون المكتوب عنده بغير خطه (٢) ٠

(١) هو ما اخرجه البخارى لأبى هريرة قال : ما من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم احد اكثر حديثا عنه منى ٠ الا ما كان من عبد الله بن عمرو ٠ فانه كان يكتب ولا اكتب فتح البارى ٢١٧/١ ٠

(٢) فتح البارى ٢١٨/١ ٠

« مناقشة الشيخ محمد رشيد فى تقديم أحاديث »
النهى عن الكتابة على أحاديث الإذن بها على
تقـدير صحتها وتعـذر الجمـع

قال الشيخ محمد رشيد : « لو فرضنا أن بين أحاديث النهى عن الكتابة والإذن بها تعارضا يصح به أن يكون أحدهما ناسخا للآخر ، لكان لنا أن نستدل على كون النهى هو المتأخر بأمرين أحدهما استدلال من روى عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهى عنها ، وذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسـلم وثانيهمـا عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ، ولودونوا ونشروا لتواتر مادونوه (١) ٠

وقال الشيخ أبو زهو فى مناقشته : أولا أن أحاديث الأذن بالكتابة أصح عند المحدثين من أحاديث النهى بدليل أن البخارى وغيره أعلوا حديث أبى سعيد فى النهى عن كتابة الحديث ٠ وقالوا : الصواب وقفه على أبى سعيد مع أن هذا الحديث باعتراف الشيخ هو أقوى أحاديث المنع على الاطـلاق ٠

ثانيا : أنه على تقدير التعارض بين أحاديث الأذن والنهى فقد كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الأذن بالكتابة دون النهى عنها بدليل ما أخرجه البخارى عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، وفى بعض رواياته « لما حضرت النبى صلى الله

---

(١) مجلة المنـار جـ ١٠ ص ٧٦٧ ٠

عليه وسلم الوفاة وله من حديث سعيد بن جبير أن ذلك كان يوم الخميس وهو قبل موته صلى الله عليه وسلم بأربعة أيام » (١) • ووجه الدلالة من الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم هم قبيل وفاته أن يكتب لأمته كتابا يحصل معه الأمن من الأختلاف وهو لا يهم الا بحق •

ثالثا : ان امتناع بعض الصحابة عن كتابة الحديث ومنعهم منها لم يكن سببه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث بدليل أن الاثار الواردة عنهم فى المنع أو الامتناع عن كتابة الحديث لم ينقل فيها التعليل بذلك • وإنما كانوا يعللون بمخافة أن يشتغل الناس بها عن كتاب الله أو بمخافة أن يهمل الناس الحفظ اعتمادا على الكتابة أو لغير ذلك من الأغراض •

رابعا : ان عدم تدوين الصحابة الحديث كما دونوا القرآن وجمعوه لم يكن لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث • وإنما كان خوف أن تختلط بصحف القرآن فيلتبس على الناس أمر دينهم فى وقت لم يجمع القرآن فيه إلا نفر قليل من الصحابة وقد روى البيهقى فى المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار فى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : انى كنت أردت أن أكتب السنن ، وأنى تذكرت قوما كانوا قبلكم ، كتبوا كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وأنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا (٢) •

فهذا الأثر يدل على جواز كتابة الحديث ، بدليل أن الصحابة رضى الله عنهم أشاروا عليه بذلك ، وأن عمر رضى الله عنه رأى أن

---

(١) انظر فتح البارى ٢١٩/١ .
(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ٧/١ .

يأخذ الحيطة لكتاب الله ، ويتوثق لصيانته ، وذلك يستدعى أن تكون الكتابة قاصرة على القرآن الكريم ، وأن يكتفى فى الأحاديث بالحفظ لئلا يختلط الأمر على الناس ، فما كان للصحابة أن — يشيروا على عمر بكتابة السنن اذا كان النهى عنها هو آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل لو كان النهى عن كتابة السنن باقيا لما جاز لهم أن يسكتوا عن الانكار على عمر عزمه على كتابة السنن فضلا عن أن يشيروا عليه بكتابتها [1] .

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

« رأينـــا في هـــذه المناقشة »

الهداية الى الصواب من الله وبتوفيقه ، فرغم وضوح المسألة فى قوة أحاديث الإباحة ، ورجحانها إلا أننى لم أر مسألة التبست على الشيخ محمد رشيد رغم وضوحها كهذه المسألة ٠

ولقد صاحبته وهو يخوض مشكلات العلم ، ومسائل الاختلاف فيخرج من كثير منها مكللا بالاهتداء الى الحق ومعرفة الصواب ولكنه فى هذه المسألة يتعثر ، ويتمسك بخيوط واهية ، لا تفيد فى الدليل ، ولا تقنع فى الاحتجاج ٠

وماذا بعد أن هم النبى صلى الله عليه وسلم بالكتابة قبل وفاته بأيام ، ليكون فى هذا دليلا على أن إباحة الكتابة هو آخر الأمرين فى المسألة اذا وقع الترجيح بين النصوص أو النسخ فيها ؟

وامتناع الصحابة عن الكتابة ، ومنعهم منها لا يدل على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنها ٠ لأنهم قبل ذلك ترددوا فى جمع القرآن وهو حق ٠ ولم يقع التردد لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، بل لأنهم كانوا يتحرجون من فعل شىء لم يأمر به النبى صلى الله عليه وسلم ٠

وكتابة الحديث كان له ما يعارضه فى نفوسهم ، لعدم الاعتماد على الكتابة التى قد يقع فيها التحريف والتبديل دون الحفظ ، ولعدم الاشتغال بها وترك كتاب الله ٠ مع خوف الغلط لما فيه من الإحالة ٠

روى البيهقي في معرفة السنن والآثار عن قرظه بن كعب (١) قال : شيعنا عمر بن الخطاب الى صرار ، فتوضأ مرتين مرتين ، ثم قال : تدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أنكم تأتون أهل قرية لهم بالقرآن دوى كدوى النحل . فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم . جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وأنا شريككم . قالوا : فأتوا قرظة ، فقالوا : حدثنا . فقال : نهانا عمر (٢) .

قال البيهقي معقبا : وقوله : « أمضوا وأنا شريككم » يقول — والله أعلم — وأنا أفعل ذلك . يقول : أقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحين رخص في القليل منه ، دل أنه إنما نهاهم عن الإكثار مخافة الغلط ، لما في الغلط من الاحالة . ورخص في القليل منه على الأثبات عند الحاجة ، وأمرهم بتجريد القرآن عند عدم الحاجة إلى الرواية ، لأن القوم كانوا رغبوا في أخذ القرآن ، فلم يرد أشتغالهم بغيره ، قبل استحكامه شفقة منه على رعيته . والله أعلم (٣) .

---

(١) هو قرظة بن كعب بن ثعلب الأنصاري الخزرجي ، شهد احدا وما بعدها ولى الكوفة زمن على رضي الله عنه وتوفى بها . أنظر تهذيب التهذيب ٣٦٨/٨ وطبقات ابن سعد ١٠/٦ ، ١٧ ب .

(٢) ص ٥٨ وهو عند الدرامى فى سننه ٨٥/١ وابن ماجه فى سننه ١٢/١ وابن حبان فى مقدمة المجروحين ل ٢٠ ، والحاكم فى المستدرك ١٠٢/١ وصححه وأقره الذهبى والخطيب فى شرف أصحاب الحديث لوحة ٦٠ ب .

(٣) معرفة السنن والآثار ٥٨/١ .

وقال أيضاً : وقد يزل الصدوق فيما يكتبه ، فيدخل له حديث فى حديث فيصير حديث روى بإسناد ضعيف مركبا على إسناد صحيح [1] .

ولهذا كان حفظهم أساس روايتهم لا كتبهم قال الأوزاعى : كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف ، فما عرفوا منه أخذنا ، وما أنكروا تركنا [2] .

هذا موقفهم من الكتابة ، وما قام فى نفوسهم حيالها ، وهو كاف ، ليكون سببا فى تأخير الكتابة وعدم الاستجابة الا على رأس المائة ، بعد استحكام القرآن فى نفوسهم ، وزوال الأسباب التى سبقت الأشارة إليها .

وقد كان سببا فى نشأة علم الإسناد وتاريخ الرجال وعلوم الحديث ، الأمر الذى جعل السنة محوطة بعنايتهم ، ومحلا للبحث والمقارنة ، وأعمال الفكر على أوسع نطاق فى كل وقت وزمان .

وبهذا بقى للمتأخر ما يقوم به فى خدمة السنة ، ولم يقصر فضل ذلك على المتقدمين وحدهم ، وذلك فضل الله يؤتية من يشاء .

وبعدما تقدم أرى أن الصواب فى جانب الشيخ أبى زهو ، وقد جانب الشيخ محمد رشيد والله أعلم .

---

(١) المصدر نفسه ١/٥٦ .

(٢) نفسه ١/٥٧ ، وانظر الجرح والتعديل ٢١/١/١ ، والكفاية ٤٣١

« مناقشة الشيخ محمد رشيد فى كون الأحاديث دينا عاما » كالقرآن ، ودعواه مخالفة بعض الصحابة والفقهاء لبعض الأحــاديث

خلص الشيخ محمد رشيد من رأيه فى تدوين الحديث إلى بعض المسائل التى تجب مناقشته فيها • وهذا هو ما فعله الأستاذ الشيخ محمد أبو زهو ، ونورد تلك المناقشة فيما يلى ثم نعقب ببيان رأينا فى الموضــوع •

قال الشيخ محمد رشيد ، اذا أضفت الى هذا — احراق أبى بكر رضى الله عنه لما جمع من الحديث وعدم تدوين السنة الا بأمر الأمراء — ما ورد فى عدم رغبة كبــار الصحابة فى التحديث ، بل فى رغبتهم عنه ، بل فى نهيهم عنه ، قوى عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلــوا الأحاديث دينا عاما دائما كالقرآن •

وأجاب الشيخ أبو زهو فقال : وتلك لعمر الله مقدمات عقيمة ، ونتيجة باطلة وذلك لأن الصحابة إنما أمروا بتقليل الرواية لئلا يكثر الخطأ أو السهو فى الأحاديث فيدخلها ما ليس منها ولئلا يتخــذها المنافقون ذريعة للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولئلا ينصرف الناس عن القرآن ، ولما يتمكن من نفوسهم فضل تمكن كذلك لم يدونوا الأحاديث لئلا يلتبس الأمر على عامة الناس فيضا هو بصحف الحديث صحف القرآن ، ومخافة أن تقضى الكتابة على ملكــة الحفظ فيهم •

فلم يكن عدم تدوين الأحاديث ، وقلة التحديث من الصحابة رضى الله عنهم لما ذكره الشيخ من أنهم يريدون ألا يتخذوا الأحاديث دينا عاما دائما ، فهذه نتيجة لا أساس لها • وان القرآن العظيم ليفضح أمرها ، ويكشف سبرها (١) •

قال الشيخ محمد رشيد : ولو كانوا فهموا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يريد ذلك ، لكتبوا ، ولأمروا بالكتابة ، ولجمع الراشدون ما كتب ، وضبطوا ما وثقوا به ، وأرسلوه الى عمالهم ، ليبلغوه ويعملوا به ، ولم يكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بجريان العمل بها • وبهذا يسقط قول من قال : ان الصحابة كانوا يكتفون فى نشر الحديث بالرواية (٢) •

وقال الشيخ أبو زهو فى جوابه : وان الصحابة رضى الله عنهم فهموا عن نبيهم أنه يريد أن تكون السنة دينا عاما دائما ، وكيف لا يفهمون ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لهم فى حجة الوداع قبل وفاته بقليل : (ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم وأحذروا • أنى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه) رواه الحاكم وصححه وله أصل فى الصحيح • وكيف لا يفهم الصحابة عن نبيهم ذلك وهو القائل : (من رغب عن سنتى فليس منى) رواه مسلم •

واستطرد الشيخ أبو زهو ، فذكر الآيات القرآنية فى وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفته والاذعان لقضائه • إلى أن

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٣٦ •
(٢) مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٦٨ •

قال : الحق أن الصحابة فهموا أن السنة دين عام دائم كالقرآن ، وكان هذا أمرا بدهيا عندهم لا يحتاج الى اســتدلال بل هو ضرورة مــن ضرورات الدين ، وبدهى عند عامة المسلمين فى جميع الأزمان حتى اليوم ، وعدم كتابتهم وأمرهم بالكتابة لا يلزم منه ما قاله الشيخ •

وأما أنهم أكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور •••• الخ • فهذا غير مسلم ، ولا يقوله ألا من جهــل طريقه الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من ورائهم فى العمل بأحكام الدين ، وكيف كــانوا يأخذونها •

فأبو بكر وعمر رضى الله عنهما كانا يطلبان الحكم أولا من القرآن ثم اذا لم يجداه فيه طلباه فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يوجد عندهما حديث فى الحادثة سألا عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فاذا لم يجدا عندهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعا رؤوس الناس وعلماء الصحابة وخيارهم للمشاورة فيما عرض من الحوادث ثم يقضيان بما أجتمعوا عليه •

فاذا تبين لهم سنته صلى الله عليه وسلم بعد قضائهم بخلافها نقضوا ما قضوا به ورجعوا الى سنة رســـول الله صلى اللــه عليه وسلم (1) •

قال الشيخ محمد رشيد : واذا أضفت إلى ذلك كله حكم عمر بن الخطاب على أعين الصحابة بما يخالف بعض تلك الأحاديث ، ثم ما جرى عليه علماء الأمصار فى القرن الأول والثانى من أكتفاء الواحــد منهم

---

(1) الحديث والمحدثون ص ٢٣٧/٢٣٨ باختصار يسير فى اللفظ لا فى المعنى •

كأبى حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وإن قل وعدم تعنيه فى جمع غيره إليه ليفهم دينه ، ويبين أحكامه قوى عندك ذلك الترجيح (١) .

ورد الشيخ أبو زهو فقال : ما رمى به عمر بن الخطاب من أنه كان يخالف السنة على مرأى ومسمع من الصحابة ، فهذا حكم جائر بالنسبة لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أليس عمر هو القائل : (أصحاب الرأى أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم ، فاياكم وأياهم) (٢) فهل هذا قول صحابى يفهم أن — السنة ليست دينا عاما دائما ، ويتعمد مخالفتها ، أو هو قول من عرف السنة قدرها وحذر الناس من مخالفتها ، ونعى على أصحاب الرأى آراءهم المعارضة لها .

وحكم بعض الصحابة والتابعين أو الأئمة المجتهدين على خلاف بعض الأحاديث فلهم أعذارهم التى يمكن معرفتها فى مواطنها .

ورمى أبى حنيفة بالأكتفاء بالقليل من الأحاديث وعدم تعنيه فى البحث عن سائرها ينفيه ما عرف عنه فى اجتهاده وبذل وسعة وجهده فى استطلاع الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة . ومخالفته لبعض الأحاديث فهو معذور فيه ؛ لأنه شدد فى قبول الحديث بسبب حياته فى العراق موطن الخوارج والشيعة وكثير من الفرق التى أخذت تكذب وتضع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل فى العراق إنها «دار ضرب الحديث» فلا عجب أن يتوقى لدينه ويحتاط للحديث

---

(١) مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٦٨ .

(٢) اعلام الموقعين ١/٥٥ ط شركة الطباعة الفنيه المتحدة بتحقيق ط عبد الرؤوف سعد .

لئلا يدخل عليه من الأباطيل ما يفسد عليه أمره • وعدم رحلة أبى حنيفة فى طلب الحديث أن الكوفة كانت فى الصدر الأول مهبط الصحابة الذين بثوا أحاديثهم وعلمهم فى التابعين من أهل العراق (١) •

قال الشيخ محمد رشيد : بل تجد الفقهاء — بعد اتفاقهم على جعل الأحاديث أصلا من أصول الأحكام الشرعية وبعد تدوين الحفاظ لها فى الدواوين وبيان ما يحتج به وما لا يحتج به — لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به فهذه كتب الفقه فى المذاهب المتبعة لاسيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية فيها مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها ، ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين • وأستشهد بما أورده ابن القيم فى أعلام الموقعين من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملا بالقياس أو غير ذلك (٢) •

ورد الشيخ أبو زهو فقال : نعم ان الفقهاء اتفقوا على جعل الأحاديث أصلا من أصول الأحكام الشرعية ، ولم يخالف فى ذلك أحد منهم • ولكن الأحاديث لم تجتمع كلها لدى امام من الأئمة ، حتى يكون اجتهاده موافقا للنصوص فى كل حال ••••

لذلك وقع أختلافهم فى الأحكام ، ومخالفتهم للأحاديث فى بعض الأحيان ولم يكن ذلك منهم اتباعا للهوى ، أو لفهمهم بأن السنة ليست دينا عاما دائما ، بل لأسباب علمها العلماء ، وألفوا فيها الرسائل ، ومنهم ابن تيميه الذى ألف رسالة سماها — رفع الملام عن الأئمة الأعلام •

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٣٩ •

(٢) مجلة المنار جـ ١٠ ص ٧٦٨ •

واشتمال كتب الفقه فى المذاهب المختلفة على مئات المسائل المخالفة للأحاديث الصحيحة ، فذلك بسبب جمود المتأخرين على التقليد ، وتقديم آراء أئمتهم على الحديث فى حين أن هؤلاء الأئمة جميعا كانوا يشيرون باتباع السنة ، ويأمرون الناس بترك آرائهم اذا صح الحديث . ولكن الشيخ عفا الله عنه خلط أعمال الفقهاء المتأخرين الذين لا عذر لهم فى ترك الأحاديث بأعمال الفقهاء المتقدمين الذين كان لهم العـذر فى ذاك (١) .

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٤١/٢٤٠ .

« رأيى فى هـذه المناقشـة »

هذه هى المناقشة الأخيرة فى موضوع تدوين السنة ، وهى تدور حول كون الأحاديث دينا عاما كالقرآن • ودعوى مخالفة بعض الصحابة والفقهاء لبعض الأحاديث • وهى تبين لنا مدى ما يمكن أن تعمل الشبهة فى خلال الرأى ، والخروج به عن جادة الصواب •

وكون الأحاديث دينا عاما كالقرآن ، والمناقشة فى ذلك توحى بأن هناك من التشريع ما هو دين عام ، وما هو دين خاص ، الأمر الذى لم نره لأحد من الفقهاء ولا من المحدثين •

لقد كان هؤلاء العلماء يكتبون ويحدثون ويفتون فى دين اللـــه دون أن يفرقوا فى ذلك بين حكم ثبت بالكتاب أو السنة • فما دام الحكم قد استند الى دليله من كتاب أو سنة صحيحة فانهم يتبعون ذلك بالعمل ، لا فرق عندهم بين ما أخذ من الكتاب أو من السنة •

وتشقيق الأمر الى دين عام وغيره يجر الى منزلق خطير لا يعلم الا الله مداه ، فالسنة بيان للقرآن ، ومنهج له فى التطبيق العملى • وأحكام القرآن مجملة وقواعد كلية فى الغالب • فالقرآن الكريم يقول « أقيموا الصلاة » فجاءت السنة فبينت أن للصلوت خمس وبينت صفة الصلاة والركعات والتشهد الخ وكذلك فرضت الزكاة فى القرآن الكريم والحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات •

وتفصيل ذلك موكول الى السنة بنص القرآن الكريم قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) [1] •

(1) النحل الآية ٤٤ .

فأى فرق فى هذا بين ما ثبت بالقرآن الكريم وما يثبت بالسنة ؟

أنها فريضة واحدة ، عرف أصلها بالكتاب ، وبينت السنة تفصيلاتها فأى جزء فى هذه الفريضة يمكن أن نسميه دينا عاما ، وأى جزء يمكن أن نسميه بخلاف ذلك لأنه ثبت بالسنة ؟

الحق أن دين الله واحد . لا فرق بين ما ثبت بالكتاب وما ثبت بالسنة فى وجوب الأخذ بكل منهما مادام دليله الذى أعتمد عليه بينا كما يراه أهل العلم بالكتاب ، وموثوقا كما يراه المحدثون أهل هذا الشأن . والمراد فى هذا لا يقره عقل ولا نقل مادمنا مؤمنين بما أنزل الله من كتاب فرض الله فيه طاعة رسوله سيد المرسلين .

ونسوق هنا ما قاله ابن حزم رحمه الله مبينا موقف السنة من بيان وتفصيل الأحكام قال رحمه الله ، فى أى قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات ، وأن المغرب ثلاث ركعات ، وأن الركوع على صفة كذا ، والسجود على صفة كذا وصفة القراءة فيها والسلام ، وبيان ما يتجنب فى الصوم ، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة ، والغنم والإبل والبقر ، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة ، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة ، ورمى الجمار ، وصفة الأحرام ، وما يجتنب فيه ، وقطع السارق ، وصفة الرضاع المحرم ، وما يحرم من المآكل ، وصفتا الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود وصفة وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا والأقضية والتداعى والأيمان والاحباس ، والعمرى ، والصدقات ، وسائر أنواع الفقه وإنما فى القرآن جمل لو تركنا واياها ، لم ندر كيف نعمل فيها ، وإنما المرجوع إليه فى كل ذلك ، النقل عن النبى

صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الإجماع إنما هو على مسائل يسيره ، فلابد من الرجوع الى الحديث ضرورة (١) .

فالسنة بيان لكل هذا وتفصيل لأحكامه ، فهى من القرآن بمنزلة البيان من المبين ، ولا فرق بين ما يؤخذ من هذا أو ذاك من الأحكام .

ودعوى مخالفة عمر رضى الله عنه لبعض الأحاديث فانها لا تثبت . وإنما زعم ذلك الرافضة ، وطعنوا فى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وأجاب عن هذه المطاعن فى منهاج السنة ابن تيمية وغيره (٢) .

ان الثابت أن عمر رضى الله عنه كان عند ما شرع الله ، وما كان له أن يتقدم على رسول الله أو على سنته قال الشافعى : أخبرنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبى يزيد عن أبيه قال : أرسل عمر بن الخطاب الى شيخ من زهرة كان يسكن دارنا ، فذهبت معه إلى عمر ، فسأله عن ولاد من ولاد الجاهلية . فقال : أما الفراش فلفلان . وأما النطفـة فلفلان . فقال عمر : صدقت . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالفراش (٣) .

بل أن عمر رضى الله عنه كان يرجع عما حكم به إلى ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشافعى رحمه الله : أخبرنا سفيان عن الزهرى عن سعيد ابن المسيب ، أن عمر بن الخطاب كان يقول : الدية للعاقلة ، ولا ترث المرأة من دية زوجها شـيئا ، حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يورث أمرأة أشيم الضبابى من ديته فرجع له عمر (٤) .

---

(١) الأحكام ٢/٧٩/٨٠ . (٢) انظر الأنوار الكاشفة ٥٠ .
(٣) أعلام الموقعين ٢/٢٨١ .
(٤) الرسالة ص ١٨٤ ط ١ بتحقيق محمد سيد كيلانى .

وروى الشافعى أيضا أن عمر قال : أذكر اللـــه امرأ سمع من النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنين شيئا ؟ فقام حمل بن مالك بن النابغة فقال : كنت بين جارتين لى ، يعنى ضرتين . فضربت أحداهما الأخرى بمسطح (١) ، فألقت جنينا ميتا ، فقضى فيه رســـول اللـــه بغرة (٢) .

فقال عمر : لو لم اسمع فيه لقضينا بغيره (٣) .

قال الشافعى : فقد رجع عمر — رضى الله عنه — عما كان قضى به لحديث الضحاك ، الى أن خالف حكم نفسه ، وأخبر فى الجنين أنه لو لم يسمع هذا لقضى فيه بغيره ، وقال : ان كدنا نقضى فى مثل هذا برأينا . فلما أخبر بقضاء رسول الله فيه سلم له ، ولم يجعل لنفسه إلا اتباعه فيما مضى بخلافه ، وفيما كان رأيا منه لم يبلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شىء ، فاما بلغه خلاف فعله صار الى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم — وترك حكم نفسه وكذلك كان فى كل أمره . وكذلك يلزم الناس أن يكونوا (٤) .

هذا هو الثابت عن عمر رضى اللـــه عنه ممـــا لا ينقض ، فأين ما تركه أو خالفه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ واذا كان يعنى بذلك ما توقفوا فيه حتى يثبت أو ردوه لمعارض له أقوى ، فلا

---

(١) المسطح : العـــود .

(٢) الغرة : العبد او الامة .

(٣) الرســـالة ص ١٨٥ .

(٤) نفسه ص ١٨٥ وقال الشافعى هنا : وكل حديث كتبته منقطعـــا فقد سمعته متصلا او مشهورا عن من روى عنه بنقل عامة من اهل العلم يعرفونه عن عامة . ولكنى كرهت وضع حديث لا اتقنه حفظا ، وغاب عنى بعض كتبى ، وتحققت بما يعرفه اهل العلم مما حفظت ، فاختصرت خوف طول الكتاب ص ١٨٦ .

حجة فى ذلك • قال الآمدى : وما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه ، أنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجـــود معـــارض أو فوات شرط ، لا لعدم الاحتجاج بها فى جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها (١)•

بقى مخالفة بعض الفقهاء لاسيما الحنفية لبعض الأحـــاديث فى كتبهم • والحق أن جمود بعض الفقهاء من المتأخرين ، وجعلهم آراء أئمتهم أصلا يحمل النص عليه هو سبب هذه المخالفة •

هذا الى تصريح هؤلاء الأئمة أصحاب المذاهب المتبعة بأن الحديث اذا صح فهو مذهبه ، فاذا خالف أحدهم حديثا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده فهو معذور ، بخلاف هـــؤلاء الذين جمـــدوا على آراء أئمتهم ، وجعلوها أصلا للنص ، لا يحيدون عنها ولو تبين لهم خطؤها بالدليل •

ونشأة الامام أبى حنيفة (٢) رحمه الله فى العراق التى كثر فيها وضع الحديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلته يضع شروطا شديدة فى قبول الرواية أهمها ، ألا يعارض خبر الآحاد الأصول المجتمعة بعد استقراء موارد الشرع ، وألا يعارض عمومات القرآن وظواهره ، وألا يخالف السنة المشهورة سواء أكانت قولية أم فعلية ، وألا يخالف العمل المتوارث بين الصحابة والتابعين دون تخصيص بلد ، وألا يعول الراوى على خطه ما لم يذكر مرويـــه ، وألا يعمل الراوى بخلاف حديثه • وألا يترك أحد المختلفين فى الحكم من الصحابة الاحتجاج بالخبر الذى رواه أحدهم ، وألا يكون الخبر

---

(١) الأحكام للآمدى ١/٩٧ ، انظر اغاثة اللهفان ١٦٠ .

(٢) هو النعمان بن ثابت بن زوطى ولد سنة ٦٣ وقيل ٧٠ وقيل ٨٠ وتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ وترجمته فى تاريـــخ بغداد ١٣/٣٢٣ والوفيـــات ٢/١٦٣ والجواهر المضيئة ١/٢٦ •

منفردا بزيادة سواء أكانت فى المتن أم فى السند ، وألا يكون مما تعم به البلوى (1) .

تلك هى شروطه فى قبول الرواية ، لما رآه من انتشار الوضـــع والكذب فى عصره حتى سميت العراق « دار ضرب الحديث » فكان لابد من التشدد لئلا يدخل المكذوب فى حديث رســول الله صلى اللـــه عليه وسلم .

أما ما أفاده ابن خلدون من أنه لم يصح عنده ألا بضـــعة عشر حديثا ، فيرده أنه امام مجتهد بإجماع الموافقين والمخالفين ومن شروط المجتهد أن يحيط بأحاديث الأحكام ، وهى آلاف . وعلى أقل تقدير بضع مئات كما ذهب إليه بعض الحنابلة .وقد جمع شارح القاموس السيد مرتضى الزبيدى رحمه الله كتابا جمع فيه الأحاديث الصحيحة التى استدل بها فى مذهبه وسماه (الدرر المنيفة فى أدلة أبى حنيفة) كما أفرد ابن أبى شيبة فى مصنفه الكبير بابا لما خالف فيه أبو حنيفة ما صح من الأحاديث فبلغت مائة وخمسة وعشرين مسألة فلو سلم هذا لكانت بقية مسائله موافقة للحديث فى كل مسألة ورد فيها حديث وقد قدرت هذه المسائل بثلاث وثمانين ألف مسألة بل قدرت بأكثر من ضعف هذا العدد . فكم يكون فى هذا العــدد الضخم من الحديث الصحيح بعد هذا ؟

لقد جمع مسانيده محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥هـ فى كتاب ضخم سماه جامع المسانيد ، رتبه على أبواب الفقه مع حذف المعاد وعدم تكرير الإسناد وقال فى خطبته (وقد سمعت فى الشام

(1) انظر اصول السرخسى ٣٦٤/١ .

عن بعض الجاهلين بمقداره ما ينقصه ويستصغره ، وينسبه لقلة الحديث ، ويستدل على ذلك بمسند الشافعى ، وموطأ الإمام مالك ، وزعم أن ليس لأبى حنيفة مسند ، وكان لا يروى الا عدة أحاديث ، فلحقتنى حمية دينية فأردت أن أجمع فيه بين خمسة عشر من مسانيده التى جمعها له فحول علماء الحديث) وهو كتاب مطبوع يقع فى ٨٠٠ صفحة (١) .

هذا شأن أبى حنيفة رضى الله عنه فى الحديث ، وما خالفه من الروايات ان صح ما قاله ابن أبى شيبة . فوقوع الخطأ فى مائة وخمسة وعشرين حديثا من بين هذا العدد الضخم الذى استخدمه فى كتبه وفقهه واستنباط لا يقلل من أهمية علمه ومعرفته بالحديث ، كما يرد عنه مزاعم قلة الرواية ، ومخالفة الحديث الصحيح لأنها مخالفة عن أجتهاد أو لترجيح مخالف ، وليست لعدم الأخذ بالصحيح ، بل أن أصحابه — رحمه الله مجمعون — فيما نقله ابن القيم — أن مذهب أبى حنيفة : أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى ، وعلى ذلك بنى مذهبه ، كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر فى السفر مع ضعفه على الرأى والقياس ، ومنع قطع السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم والحديث فيه ضعيف ، وجعل أكثر الحيض عشرة أيام والحديث فيه ضعيف ، وشرط فى إقامة الجمعة المصر والحديث فيه كذلك ، .. الخ الى أن قال : فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأى قول الإمام أحمد ، وليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح السلف ، هو

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٤٦٥ .

الضعيف في اصطلاح المتأخرين بل ما يسميه المتأخرون حسنا ، قد يسميه المتقدمون ضعيفا (١) .

وبعد هذا أقول : أنه ليس من دليل قائم يساند الشيخ محمد رشيد فيما ذهب إليه في التدوين ، والأخذ بالحديث ، والدليل الذى يعتمد عليه هو في جانب الشيخ محمد أبو زهو .

ولولا ما أعلم من أخذ الشيخ محمد رشيد بالسنة ، والعمل بالحديث في حياته وفتواه التى جردها بعضهم في ستة مجلدات كبار . وهى فتاوى تعتمد على الأحاديث الصحيحة ، وتنتقد جمود الفقهاء المقلدين لآراء أئمتهم ، وجعلها أصولا يرجع إليها النص .

لولا ما أعلمه من هذا من خلال دراستى لحياته ووقوفى على مؤلفاته لقلت فيه غير ما قلت من أنه خدم السنة ، ودافع عنها ، وجلى كثيرا من بحوثها ومسائلها .

« لقد أدركته رحمه الله في آخر حياته ، وكنت أتردد على بيته ، فأستفيد من علمه ، وفهمه للشريعة ، ودفاعه عن السنة ، ما أجدنى من حق تاريخه على أن أشهد بأنه كان أشد العلماء أخذا بالسنة (القولية) وإنكارا لما يخالفها في المذاهب الفقهية ، وانى على ثقة بأنه لو كان حيا حين أصدر « أبو رية » كتابه ، لكان أول من يرد عليه في أكثر من موضع في ذلك الكتاب » (٢) .

---

(١) اعلام الموقعين ١/٧٧ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ط ١ ص ٤٢ .

البـاب الرابع

(اجتهـــاده فى فهم الســنة)

الفصل الأول

« جهده في استقصاء الأسانيد والمتون ووجوه نقدها »

أن جهده فى هذا الجانب يكشف لنا عن شخصية العالم المحقق المجتهد الذى لا يأخذ قضايا العلم مسلمات ، وأنما يتحرى ويدقق ويستوفى ما قاله العلماء فى ذلك ، للاستفادة بالصحيح الذى يؤيده الدليل ونبذ غيره مما لا يقوم على أساس سليم .

ولم يكن فى هذا مجرد ناقل للنصوص بأسانيدها ، مع التسليم بهذه الأسانيد والمتون مهما كانت .

ولم يكن كذلك حاطبا بليل ، يلتقط كل ما وقع له من أسانيد ومتون بل كان يعرض كل ذلك على قواعدهم فى النقد والتمحيص بنظر ثاقب وفكر بعيد عن الملل ، ليهتدى بعد هذا كله إلى الصواب ، من خلال استعراض كل ماورد فى الموضوع من أحاديث بأسانيدها ، مع الإحاطه بآيات القرآن الكريم فى ذات الموضوع ، ليتخذ منها أساسا يرتكز عليه فى تناوله لموضوعات الحديث .

وقد أثمر هذا المنهج ثمرته فى التوصل إلى حقائق لها أهميتها ، ما كان يمكن التوصل إليها بغير سلوك هذا الطريق .

وسوف نصحبه هنا فى دراسة مستفيضه فى السند والمتن ، وذلك بتناول موضوع له أهمية كبرى ، ملمحين فى خطوات البحث بذلك المنهج الذى أعتمده الشيخ وسار عليه فى تحقيق مسائل فى السنة ، كانت موضع خلاف بين علماء الحديث وموضوع تلك الدراسة هو :

وتبدو أهمية دراسة هذا الموضوع ، وتحرير وجه الصواب فيه ، من حديث القرآن والسنة كليهما عنه ، وتناول علمــاء المســلمين له بدراسات عميقة فى التفسير والكلام والحديث ، الذى هو محل بحثنا فى هذه الدراسة .

وبيانا لهذا نورد الموضوع فى الخطوات التالية :

١ ــ عرض المســألة فى القرآن والســنة .

٢ ــ رأى العلماء فيها .

٣ ــ مناقشة الشيخ محمد رشيد لهذه الآراء وموقفه منها .

وتتضمن المناقشة :

(أ) رد دعوى التواتر بمناقشة أسانيد هذه الأحاديث .

(ب) استشكال عدم التواتر فى هذه الأحاديث .

(جـ) مناقشة متون هذه الأحاديث .

(د) خلاصة رأيه فى المسألة .

٤ ــ تعقيب على هذه المناقشات .

أولا : عرض المسألة فى القــرآن والســنة :

(أ) فى القرآن الكريم قال الله تعالى : « أقتربت الساعة وانشق القمر »[1] .

(ب) فى السنة النبوية : وتبدأ بما رواه الإمام البخارى .

---

(١) سورة القمر الآية ١ .

ذكر الإمام البخارى أحاديث انشقاق القمر فى ثلاثة (١) مواضع من صحيحة :ـ

الموضـــع الأول :

فى باب وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ـ وساق فى هذا الباب خمسة أحاديث هى :

١ ـ حدثنا مسدد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبى معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم أشهدوا (٢) .

٢ ـ حدثنا على بن عبد الله : حدثنا سفيان : أخبرنا ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر ، عن عبد الله قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال لنا : اشهدوا ، أشهدوا .

٣ ـ حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنى بكر ، عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مســـعود ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انشق القمر فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ذكر الحافظ المزى فى تحفة الأشراف ان البخارى اورد أحـاديث انشقاق القمر فى موضعين والصواب أنه ذكرها فى ثلاثة مواضع كما بينا انظر تحفة الأشراف ٣٣٧/١ ط الهند .

(٢) اى اشهدوا على نبوتى ومعجزتى من الشهادة . وقيل معناه : أحضروا وانظروا من الشهود الفتح الربانى ٢٨٩/١٨ .

٤ ــ حدثنا عبد الله بن محمد : حدثنا يونس بن محمد : حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : سأل أهل مكة أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر .

٥ ــ حدثنا مسدد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس قال : انشق القمر فرقتين (١) .

الموضــع الثــانى :

فى المناقب ــ باب انشقاق القمر ــ وساق فيه أربعة أحــاديث هى :

١ ــ حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب : حدثنا بشر بن المفضل : حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (٢) .

٢ ــ حدثنا عبدان ، عن أبى حمزة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فقال : أشهدوا وذهبت فرقة نحو الجبل . وقال أبو الضحى عن مسروق ، عن عبد الله : انشق القمر بمكة وتابعه محمد بن مسلم عن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله .

٣ ــ حدثنا عثمان بن صالح : حدثنا بكر بن مضر قال : حدثنى جعفر ابن ربيعة عن عراك بن مالك ، عن عبد الله بن عبــد اللــه بن

---

(١) فتح البارى ٢٤١/٢٣٩/١٠ ــ كتاب التفسير .
(٢) فتح البــارى ١٨١/٨ .

عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أن القمر انشق على زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

٤ — حدثنا عمر بن حفص : حدثنا الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : انشق القمر (١) .

الموضــع الثــالث :

فى باب سؤال المشركين أن يريهم النبى صلى الله عليه وسلم آية ، فأراهم انشقاق القمر . وأورد فيه ثلاثة أحاديث هى :

١ — حدثنا صدقة بن الفضل : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبى نجيح عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انشق القمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم شقتين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أشهدوا .

٢ — حدثنى عبد الله بن محمد : حدثنا يونس : حدثنا شيبان ، عن قتادة عن أنس رضى الله عنه . فقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع : حدثنا سعيد ، عن قتادة عن أنس رضى الله عنه ، أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية : فأراهم انشقاق القمر .

٣ — حدثنا خلف بن خالد القرشى : حدثنا بكر بن مضر ، عن جعفر ابن ربيعة ، عن عراك بن مالك ، عن عبيدة الله بن عبد اللــه ابن مسعود ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أن القمر انشق فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

---

(١) فتح البارى ١٨٢/٨/١٨٥ .

(٢) المصدر السابق ٤٤٤/٧ .

« روايات الإمـام مسـلم »

روى الإمام مسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار بـاب انشقاق القمر سبعة أحاديث هى : (1) .

١ ــ حدثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقين : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا .

٢ ــ حـدثنا أبو بكر بـن أبى شـيبة وأبـو كريب وإسـحاق بـن إبراهيم جميعا عن أبى معاوية : وحدثنا عمر بن حفص بن غياث : حدثنا أبى ، كلاهما عن الأعمش وحدثنا منجـاب بن الحـارث التميمى ــ واللفظ له ــ أخبرنا ابن مسهر ، عن الأعمش عـن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمـر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

٣ ــ حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى : حدثنا أبى : حدثنا شعبة عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين ، فستر الجبل فلقة ، وكانت فلقة فوق الجبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أشهد .

---

(1) الترجمة بالكتاب والباب من عمل الإمـام النـووى فى شرحه لصحيح مسلم .

٤ ـ حدثنا عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبى : حدثنا شعبة ، عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

وحدثنى بشر بن خالد : أخبرنا محمد بن جعفر وحدثنا محمد ابن بشار حدثنا ابن أبى عدى ، كلاهما عن شعبة بإسناد ابن معاذ عن شعبة نحو حديثه غير أن فى حديث ابن أبى عدى فقال : اشهدوا اشهدوا .

٥ ـ حدثنى زهير بن حرب ، وعبد بن حميد قالا : حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان : حدثنا قتادة ، عن أنس ، أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين (١) وحدثنى محمد بن رافع : حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة عن أنس بمعنى حديث شيبان .

٦ ـ وحدثنا محمد بن المثنى : حدثنا محمد بن جعفر وأبو داود وحدثنا ابن بشار : حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وأبو داود كلهم عن شعبة عن قتادة ، عن أنس قال : انشق القمر فرقتين . وفى حديث أبى داود : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧ ـ حدثنا موسى بن قريش التميمى : حدثنا إسحاق بن بكر بن مضر : حدثنى أبى : حدثنا جعفر بن ربيعة ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن بن عباس قال : أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

---

(١) أراد فرقتين كما ذكره الحافظ ابن كثير . وهو الذى أوله به ابن القيم . أنظر فتح البارى ١٨٢/٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٦٧/٩ .

« روايات انشقاق القمر عند الترمذى »

روى الإمام الترمذى أحاديث انشقاق القمر فى موضعين :

الموضــع الأول :

قال فى أبواب الفتن : باب ما جاء فى انشقاق القمر .

١ ــ حدثنا محمود بن غيلان : حدثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : انفلق القمر على عهد رسول الله صلى اللــه عليه وســلم فقال رســول الله صلى الله عليــه وسلم : اشهدوا . قال أبو عيسى : وفى الباب عن ابن مسعود وأنس وجبير بن مطعم . وهذا حديث حسن صحيح (١) .

الموضــع الثــانى :

قال فى أبواب التفسير : ومن سورة القمر :

١ ــ حدثنا على بن حجر : أخبرنا على بن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وســلم بمنى فانشــق القمــر فلقتين ، فلقة من وراء الجبل ، وفلقة دونه فقال لنا رسول اللــه صلى الله عليه وسلم . أشهدوا . يعنى اقتربت الساعة وانشق القمر . قال : هذا حديث حسن صحيح .

٢ ــ حدثنا عبد بن حميد : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتــادة عن أنس قال : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية ،

---

(١) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ٩/٣٠ .

فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت : اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله : سحر مستمر يقول : ذاهب .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

٣ — حدثنا ابن أبى عمر : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : اشهدوا . قال هذا حديث حسن صحيح (١) .

٤ — حدثنا محمود بن غيلان : حدثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : انفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا . قال : هذا حديث حسن صحيح .

٥ — حدثنا عبد بن حميد : حدثنا محمد بن كثير : حدثنا سليمان بن كثير ، عن حصين عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : انشق القمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى صار فرقتين على هذا الجبل ، وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد . فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

قال أبو عيسى : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده جبير ابن مطعم نحوه (٢) .

---

(١) المصدر السابق ١٢/١٧٤/١٧٦ .
(٢) المصدر السابق ١٢/١٧٦/١٧٧ .

« روايات الإمـــام أحمــد ـــ مسند بن مسعود

١ ـــ حدثنا مؤمل : حدثنا اسرائيل ، عن سماك عن إبراهيم ، عن الاسود عن عبد الله قال : انشق القمر على عهد رسول الله صـــلى اللـــه عليه وسلم ، حتى رأيت الجبل من بين فرجتى القمر (١) •

٢ ـــ حدثنا أبو معاوية : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم عن أبى معمر عن عبد الله قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليـــه وسلم بمنى حتى ذهبت فرقة منه خلف الجبل ، قال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا (٢) •

٣ ـــ حدثنا محمـــد بن جعفر : حدثنا شـــعبة ، عن ســـليمان ، عن إبراهيم عن أبى معمر ، عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية : (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال : قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين أو فلقتين (شعبة الذى يشك) فكان فلقة من وراء الجبل ، وفلقة على الجبل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أشـــهد •

« مســـند أنس بن مـــالك »

٤ ـــ حدثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن الزهرى ، عن قتـــادة ، عن أنس : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين • فقال : (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) (٣) •

---

(١) مسند احمد ١٢/٦ ت المرحوم الشيخ احمد شاكر قال ونقله ابن كثير فى التاريخ ١٢١/٣ وقال : وهكذا رواه ابن جرير من حديث اسباط عن سماك به ـــ ونقله فى التفسير ١٣٠/٨ عن المسند وتفسير الطبرى •

(٢) مسند احمد ١٦٧/٦ ت الشيخ شاكر وقال : اسناده صحيح وهو مختصر فى رقم ٤٢٧٠ •

(٣) سور القمر الآية ١ ـــ ٢ والحديثان ٣ ـــ ٤ من الفتح الربـــانى ٢٩٠/٢٨٩/١٨ •

« مســند جبير بن مطعم »

٥ — حدثنا محمد بن كثير قال : ثنا سليمان بن كثير ، عن حصين ابن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد . فقالوا : ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم (١) .

« بعض مرويــات ابن جرير الطبرى »

١ — حدثنا الحسن بن يحيى المقدسى : قــال : ثنا يحيى بن حمــاد قال : ثنا أبو عوانه عن المغيرة ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : أنشق القمر على عهد رســول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت قريش : هذا سحر ابن أبى كبشة سحركم فسلوا السفار فسألوهم ، فقالوا : نعم قد رأيناه فأنزل اللــه تبارك وتعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) .

٢ — حدثنا ابن المثنى : قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شــعبة عن عطاء ابن السائب عن أبى عبد الرحمــن قال : كنت مع أبى بالمدائن ، قال فخطب أميرهم ، وكان عطاء يروى أنه حذيفة ، فقال فى هذه الآية : (اقتربت الساعة وانشق القمر) قد اقتربت الساعة وانشق القمر ، قد اقتربت الساعة وانشق القمر ، اليوم المضمار ،

---

(١) الفتح الربانى ٢٠/٢٢ باب ما جــاء فى تعنت قريش فى طلب الآيات . واورده أيضا فى ٤٣/٢٢ مع حديث انس وعبد الله بن مسعود باب ومن معجزاته انشقاق القمر وهذه الأبواب من عمل الشيخ احمــد عبد الرحمن البنا . ط ١ .

وغدا السباق والسابق من سبق الى الجنة والغاية النار ، قال : فقلت لأبى : غدا السباق • قال : فأخبره (١) •

٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى المقدسى : قال : ثنا يحيى بن حماد قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحر ابن كبشة سحركم فسلوا السفار ، فسألوهم ، فقالوا : نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) •

٤ ــ حدثنا أبو كريب ، قال ، : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : (انشق القمر ، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة) •

٥ ــ حدثنا محمد بن عسكر ، قال : ثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن الحكم ، قالا : ثنا بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة عن عراك ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : انشق القمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

٦ ــ حدثنا نصر بن على ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبى هند عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : انشق القمر قبل الهجرة ، أو قال : قد مضى ذاك •

٧ ــ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار فرقتين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : اشهد يا أبا بكر • فقال المشركون : سحر القمر حتى انشق (٢) •

---

(١) يعنى بأن السباق بالأعمال فى رواية اخرى •
(٢) جامع البيان ٢٧/٨٤/٨٦ •

« روايـات كتب السنة الأخـرى »

ونذكر هنا بعض روايات كتب السنة الأخرى مما تناولها الشيخ أيضا فى كتابته .

١ — أخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقى فى الدلائل من طريق مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود قال : رأيت القمر منشقا شقتين بمكة قبل أن يخرج النبى صلى الله عليـه وسلم . شقة على أبى قبيس وشقة على السويداء . فقالوا : سحر القمر . فنزلت . اقتربت الساعة وانشق القمر . قال مجاهد : يقول ، كما رأيتم القمـر منشقا فان الذى أخـبركم عن اقتراب السـاعة حق .

٢ — وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردوية وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهـد رسول الله صلى عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحرا بن أبى كبشة . فقالوا : انتظروا ما يأتيكم به السفار ، فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . فجاء السفار ، فسألوهم . فقال : نعم قد رأيناه . فأنزل الله : اقتربت الساعة وانشق القمر .

٣ — وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : خطبنا حذيفة وابن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق ألا وان اليوم المضمار وغدا السباق .

٤ — وأخرج ابن المنذر عن حذيفة أنه قرأ : اقتربت الساعة وقد انشق القمر ٠

٥ — وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبريل فقال : يا محمد ٠ قل يا أهل مكة ٠ ان تختلفوا هذه الليلة فسترون آية ٠ فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبريل ٠ ليلة أربع عشرة ٠ فانشق القمر نصفين ، نصفا على الصفا ونصفا على المروة ٠ فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ثم أعادوا النظر ٠ فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا : يا محمد ٠ ما هذا الا سحر ذاهب ٠ فأنزل الله : اقتربت الساعة وانشق القمر ٠

٦ — وأخرج أبو نعيم من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : جاءت احبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أرنا آيه حتى نؤمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ربه أن يرية آية ٠ فأراهم القمر قد انشق فصار قمرين ٠ أحدهما على الصفا والآخر على المروة ٠ قدر ما بين العصر الى الليل ينظرون إليه ٠ ثم غاب القمر ٠ فقالوا هذا سحر مستمر (١) ٠

٧ — وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس فى قوله : اقتربت الساعة وانشق القمر ٠ قال : اجتمع المشركون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد ابن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام والعاصى بن هشام والأسود ابن عبد يغوث ابن المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث ٠ فقالوا

---

(١) انظر المنثور للسيوطى ٦/١٣٣/١٣٤ ٠

للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، نصفا على أبى قبيس ، ونصفا على قعيقعان • فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم • وكانت ليلة بـــدر • فسأل رسول الله صلى الله عليه وســـلم ربه أن يعطيه ما سألوا : فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى ، يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم ابن أبى الأرقم • اشهدوا (١) •

وانما أطلنا فى إيراد وعرض هذه النصوص من الأحاديث لسببين :

(أ) لأن الشيخ محمد رشيد رضا استخدمها كلها وجعلها موضع دراســـته •

(ب) لأن بعض العلماء أخذ من هذه الكثرة دليـــلا على القـــول بالتواتر فى أحاديث انشقاق القمر كما سيأتى •

ثانيـــا : رأى العلمـــاء فى هذه الأحاديث :

تناول العلماء هذه الأحـــاديث بالدراســـة والبحث والتمحيص ، واختلفت نتائج دراساتهم من القول بتواترها ، وعدها من أمهـــات معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الى وضعها فى عداد أحاديث الآحاد التى لم تبلغ درجة التواتر وأخيرا الى مناقشة أسانيدها ومتونها مناقشة واضحة وصريحة فى ضوء آيات القرآن الكريم والسنة النبوية فى شأن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وما يجوز أن يقع منها ومالا يقع وهو الموقف الذى بينه الشيخ محمد رشيد رضا فى هذه النصوص •

---

(١) المصدر السابق ١٣٣/٦ •

« قول بعض العلماء بتواتر أحاديث انشقاق القمر »

التواتر عبارة عن أخبار عدد كثير لا يجوز العقل اتفاقهم وتواطأهم على الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم ادراكا صحيحا لا شبهة فيه ، وكان خبرهم بذلك متفقا لا شبهة فيه ، وهذا اذا كان التــواتر فى طبقة واحدة ، يخبرون أنهم رأوا بأعينهم (مثلا) وأخبروا به .

فان كان التواتر فى طبقات . كان ما بعد الأولى مخــبرا عنهــا ، ويشترط أن يكون اقرار كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطأهم على الكذب فى الأخبار عمن قبلهم وأن يتصل السند هكذا الى الطبقة الأخيرة. فان أختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر ، وبالتالى لا يسمى ما نقلوه متواترا (١) .

فهل تحققت شروط التواتر هذه فى أحاديث انشقاق القمر ؟

« الحافظ بن كثير وابن عبد البر يقولان بالتواتر »

ذهب بعض العلماء ومنهم الحافظ بن كثير وابن عبد البر الى أن أحاديث انشقاق القمر متواترة .

قال ابن كثير فى تفسيره : وقوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هــذا فى زمان النبى صــلى الله عليه وســلم ، كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة وقد ثبت فى الصــحيح عن ابن مسعود أنه قال : « خمس قد مضين ، الروم والدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر » (٢) .

---

(١) انظر تفسير المنــار ج ٦ عدد ٢٥ ص ٢٨ — ٢٩ .

(٢) الروم يعنى ما فى أول السورة من وعد لهم بالنصر فى قــوله تعــالى : الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .
=

وهذا أمر متفق عليه بين العلماء : أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات (١) •

ثم أخذ يذكر روايات أنس وجبير وابن عباس وابن عمرو وابن مسعود فى ذلك مما سبق ذكره •

ثم عاد ابن كثير الى تأكيد ذلك فى البداية والنهاية فقال : وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة ، تفيد القطع عند من أحاط بها • ونظر فيها (٢) •

وانتقل من هذا الى إثبات الروايات ومناقشة بعضها كقوله فى رواية أنس : وهذا من مرسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة أو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن الجميع •

وقوله فى حديث أنس عند أحمد (انشق القمر بمكة مرتين) : فيه نظر • والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم (٣) •

=

والدخان : ما اصاب قريشا من قحط لعنادهم ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم ـ حتى جعل الرجل ينظر الى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .

واللزام والبطشة : اى يكون عذاب المكذبين لازما . قالوا وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر وهى البطشة الكبرى .

القمر : اى آية انشقاق القمر قبل الهجرة . انظر فتح البارى ١٠/١٣٠ وصحيح مسلم ٦/٦٦٧ .

(١) تفسير ابن كثير ٦/٤٦٩ ط دار الأندلس ـ بيروت .

(٢) ٣/١١٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/١١٩ ـ ١٢٢ .

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن عبد البر القول بتـواتر أحـاديث انشقاق القمر أيضا فقال : قال ابن عبـد البر : (قد روى هذا الحديث جمـاعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجم الغفير الى أن أنتهى الينا ويؤيد ذلك بالآية الكريمة ، فلم يبق لاستبعاد من أستبعد وقوعه عذر) .

وقال فى مناقشته منكرى ذلك لعدم رؤية أهل الآفاق له : وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين . وأيضا فان زمن الانشقاق لم يطل ، ولم تتوفر الدواعى على الاعتناء بالنظر إليه . ومع ذلك فقد بعث أهل مكة الى آفاق مكة يسألون عن ذلك فجاءت السفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك ، وذلك لأن المسافرين فى الليل غالبا يكونون سائرين فى ضـوء القمر ولا يخفى عليهم (١) .

« رأى الخطابى وابن حجر فى المسألة والقول بعدم التواتر »

ويقابل هذا ، القول بعدم تواتر هذه الأحاديث ويذهب إليه الخطابى وابن حجـر .

فالخطابى يرى أن انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شىء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر فى ملكوت السماء ، خارجا من جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول إليه بحيلة . فلذلك صار البرهان به أظهـر .

ويناقش من ينكر ذلك فيقول : مصورا شبههم : لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس ، لأنه صدر عن حس ومشـاهدة فالناس فيه شركاء والدواعى متوافرة على رؤية كل غريب ، ونقل ما لم

---

(١) فتح البـارى ١٨٥/٨ .

يعهد • فلو كان لذلك أصل لخلد فى كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز أطباقهم على تركة واغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمـره •

ويجيب الخطابى على ذلك فيقول : ان هذه القضية خرجت عن بقية الأمور التى ذكروها لأنه شىء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا ، لأن القمر لا سلطان له بالنهار • ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نيام • ومستكنين بالأبنية والبارز بالصحراء منهم اذا كان يقظانا يحتمل أنه كان فى ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ، ومن المستبعد أن يقصدوا الى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه ، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس أنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه • ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر •

وبعد رد شبهات المنكرين بما سبق أبدى الخطابى حكمة كبرى فى عدم تواتر هذه الأحاديث • وهى أن هذه الآية او تواترت لكان إدراكها بالحس عاما فيعقبه الهلاك اذا لم يؤمنوا • وتلك هى سنة الله فى مثل هـذه الآيـات •

قال الخطابى : لم يبلغ شى من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم مبلغ التواتر الذى لا نزاع فيه الا القرآن ، لأن معجزة كل نبى كانت اذا وقعت عامة أعقب هلاك من كذب به من قومه ، للاشتراك فى إدراكها بالحس • والنبى صلى الله عليه وسلم بعث رحمة ، فكانت معجزته التى تحدى بها عقلية • فاختص بها القوم الذين بعث منهم ، لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولو كان ادراكها عاما لعوجل مـن كذب به كما عوجل من قبلهم (١) ذلك هو رأى الخطابى فى هذه الأحاديث

(١) فتح البـارى ٨/١٨٤/١٨٥ •

« رأى الحافظ بـــن حجـــر »

بدأ الحافظ بن حجر بمناقشة حديث أنس رضى الله عنه • وهو أن — أهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آية فبين أنه من مراسيل الصحابة لأن أنسا لم يدرك هذه القصة وذكر أن ابن عباس أيضا لم يشاهدها • وهو ممن رووا هذه القصة • يعنى فتكون روايته مرسلة أيضا •

وأورد أن من شاهدها من رواتها هم ابن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفة رضوان الله عليهم •

وبين أنه لم ير فى شىء من طرقه أن ذلك كان عقب سؤال المشركين الا فى حديث أنس المتقدم قال الحافظ : فلعله سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ثم وجدت فى بعض طرق حديث ابن عباس بيان صورة السؤال • وهو وان كان يدرك القصة ، لكن فى بعض طرقه ما يشعر بأنه حمل الحديث عن ابن مسعود • فأخرج أبو نعيم فى الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال : أجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم •• الخ •• الحديث •

وشك الحافظ بن حجر فى طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر عند مسلم (١) باحتمال أن تكون هذه الرواية مصحفة عن أبى معمر لأن البخارى له رواية معلقة عن مجاهد عن أبى معمر (٢) عن

---

(١) الرواية فى صحيح مسلم ٦٦٩/٦ .

(٢) ، (٣) فتح البارى ١٨٣/٨ .

ابن مسعود قال الحافظ : فالله أعلم هل عند مجاهد فيه اسنادان ؟ أو قول من قال ابن عمر وهم من أبى معمر ؟ (1) •

وغير هؤلاء ممن رووا لم يخبروا عن مشاهدة ، وشرط التـواتر الأخبار عن مشاهدة مع بقية الشروط التى تقدمت ليحصل التواتر ، فلا تواتر فى هذه الأحاديث •

ثم ناقش الحافظ بن حجر بعد ذلك فئتين ممن ينفون وقـوع انشقاق القمر على أختلاف علة النفى عند كل فئة منهما •

فالفلاسفة الذين ينكرون انشقاق القمر وكذا فتح أبواب السماء ليلة الإسراء والمعراج وإنكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك • لأن الآيات العاوية لا يتهيأ فيها الخرق والالتئام•وجوابهم ان كانوا كفارا أن يناظروا أولا على ثبوت دين الإسلام ، ثم يشركوا مع غيرهم ممن أنكروا ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض ، ألزم التناقض ولا سبيل الى إنكار ما ثبت فى القـرآن من الانخراق والالتئام فى القيـامة ، فيستلزم جواز وقوع ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم •

والفئة الثانية هى التى تنكر ذلك ، لأنه لو وقع لجـاء متواترا ، وجوابه عن ذلك هو جواب الخطابى الا أنه زاد فيه : أن القمر ينكسف وتبدو الكواكب العظام ليلا ولا يشاهد ذلك الا الآحـاد • فكذلـك الانشقاق •

كما تعقب الحافظ بن حجر الخطابى عن سبب عدم ذكر أهل التنجيم له فى كتبهم بأن جواب الخطابى جيد بالنسبة لمن سأل عن الحكمة فى

(1) فتح البـارى ٨/١٨٤ القسم الأول •

قله من نقل ذلك من الصحابة ، أما من سأل عن السبب فى كون أهل التنجيم لم يذكروه فجوابه : أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه • وهذا كاف ، فان الحكمة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النفى ، حتى أن من وجد عنه صريح النفى يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات •

ثالثا : مناقشة الشيخ محمد رشيد لهذه الآراء وموقفه منها :

أول ما حاك فى نفسه — رحمه الله — ودعاه الى مناقشة هـذه الأحاديث بإفاضة أمران :

١ — الكتابة فى الموضوع ونشره فى الجرائد اليومية ، فقد كتب فيه أحمد زكى (باشا) مقالا تاريخيا لم يتسم بالأسلوب العلمى الإسلامى عند أهل الحديث والأصول •

٢ — ما رآه من ظاهر تعارض حديث أنس رضى الله عنه الذى يفيد أن هذه المعجزة كانت مقترحة ، لأنها سبب نزول العذاب بالأمم إذا لم يؤمنوا (١) •

ولم يكن الشيخ بعيدا عن معترك الحياة وما يثار حـول قضـايا المسلمين من شبهات وقد توفرت دواعى الكتابة • بل طلب منه (٢) فكتب مبينا ما يراه حقا فى ذلـك ملتزما المنهج العلمى فى المناقشـة للأسانيد ومناقشة المتون •

فبدأ بمناقشة دعوى التواتر التى يقول بها بعض العلماء كما سبق بيانه ولتوضيح ذلك نقسم المناقشة الى قسمين :

القسم الأول : رد دعوى التواتر بمناقشة أسانيد هذه الأحاديث •

القسم الثانى : مناقشة متون هذه الأحاديث •

(١ — ٢) انظر مجلة المنار ٣٠ ص ٢٦١/٢٦٢ •

القســم الأولى :

رد دعــوى التواتر بمناقشة أسانيد هذه الأحاديث •

وهنا بين الشيخ محمد رشيد أن الذى صح عند الشيخين مسندا على شرطهما إنما هو عن واحد من الصحابة رضوان الله عليهم يخبر عن رؤية وهو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه •

وقد أخرجاه عنه من طريق سفيان بن عيينة عن ابى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر •

ومن طريق الأعمش عن ابراهيم عن أبى معمر • وصح عنــدهما مرسلا من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه من طريق قتادة فقط : ومن حديث ابن عباس رضى الله عنه من طريق عبيد الله بن عبد الله ابن مسعود أحد الفقهاء السبعة •

وإنما كان هذان الحديثان مرسلين ، لأن الحادثة وقعت بمــكة قبل الهجرة بخمس سنين ، ولم يكن ولد عبد الله بن عباس ، وأما أنس فكان فى المدينة ابن خمس سنين •

والخلاف فى الاحتجاج بالمرسل معروف ، ومن يحتج بمراســيل الصحابة مطلقا يبنى احتجاجه على أنهم يروون عن مثلهم (١) •

---

(١) المسألة خلافية فى مرسل الصحابى • وحكى بعضهم الاجماع على قبول مراسيل الصحابة ، لكن ذكر ابن الأثير وغيره فى ذلك خلافا • وهو مذهب ابى اسحاق الاسفراييني ، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين وقد وقع رواية الاكابر عن الاصاغر والآباء عن الابناء • ويسمى الحافظ البيهقى فى كتابه (السنن الكبرى) وغيره ما رواه التابعى عن رجال من الصحابة مرسلا • فان كان يذهب مع هذا الى انه ليس بحجة فيلزمه ان يكون مرسل الصحابة أيضا ليس بحجة • انظر الباعث الحثيث ص ٤٩ت الشيخ شاكر وقواعد التحديث ص ١٤٣ •

ولكن ثبت أن بعضهم كان يروى عن بعض التابعين حتى عن كعب الأحبـــار .

وعلى كل حال لا يصح فى مراسيلهم ما اشترط فى التواتر من الرواية المتصلة الى من شاهد المروى .

ورواه مسلم من طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر وهى إحدى الطريقين عن ابن مسعود . وليس فيها أنه حدث عن رؤية وقد تردد الحافظ فى هذه الرواية هل هى إسناد آخر عند مجاهد. أو قول من قال ابن عمر وهم من أبى معمر ؟ .

وقد روى الحافظ أن ابن عمر هاجر وهو ابن عشر ســنين وفى رواية أخرى أنه كان سنة الهجرة ابن ست (١) .

هذه خلاصة أسانيد روايات الشيخين فى موضوع انشقاق القمر فهى عن أربعة من الصحابة هم : ابن مسعود وابن عباس وأنس وابن عمر فى رواية لمسلم رضوان الله عليهم .

وابن عباس وأنس لم يشهدا ذاك ، لأن ابن عباس لم يكن ولد بعد وأنس (٢) كان بالمدينة وذلك وقع بمكة .

وشك الحافظ فى تصحيف ابن عمر عن أبى معمر ، يجعل الأخذ بهذا السند ونظمه فى عداد الإسانيد التى يحتج بها فى التواتر محل نظـــر .

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٢/٢٦٣ وانظر الاجابة ٣٢٣/٢ .

(٢) ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس سنوات والاول اثبت الاجابة ٣٢٢/٢ .

وكان انس ابن أربع أو خمس بالمدينة انظر فتح ملبـــارى ٤٤٤/٧ .

فلم يبق سوى رواية ابن مسعود رضى الله عنه التى تخبر عن مشاهدة فى مرويات الشيخين .

وأما ما ورد فى غير الصحيحين من انتظار أهل مكة للسفار ، وأخبارهم برؤيته منشقا ، فهو لا يصح ، ولو صح لكان مؤيدا لأشكال توفرت الدواعى على نقله متواتر (1) .

والحديث فى هذا رواه (2) ابن جرير وابن المنذر وكذا أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة كلهم من طريق مسروق عن ابن مسعود . وفى سنده عند ابن جرير المغيرة بن مقسم (بكسر الميم) الكوفى الفقيه (3) وهو مدلس وقد عنعن فلا يحتج بروايته .

ورواية الامام أحمد وابن جرير والبيهقى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (4) من طريق سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه .

فأما جبير بن مطعم فقد أسلم بعد عام الحديبية وقبل الفتح . وقد كان مع المشركين فى غزوة بدر ، وأسره المسلمون (5) فسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور قال : فكان ذلك أول ما دخل

---

(1) مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٧٢ وقد سبق ذكر الروايات فى ذلك .

(2) تقدم نصه وسنده فى مرويات ابن جرير وكذا نقلا عن السيوطى فى الدار المنثور .

(3) المغيرة بن مقسم الضبى مولاهم ابو هشام الكوفى الفقية . قال ابن فضيل : كان يدلس وكنا لا نكتب عنه الا ما قال : حدثنا ابراهيم . وقال اسماعيل القاضى : ليس بقوى فيمن لقى . لأنه يدلس فكيف اذا ارسل مات سنة ١٣٦ انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٣ ومجلة المنار م ٣٠ ص ٢٧٢ .

(4) سبق نصها عند أحمد وابن جرير .

(5) الصواب انه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى فداء أسرى بدر فسمعه يقرأ سورة الطور فقال : فكان ذلك أول ما دخل الاسلام فى قلبى . روى ذلك البخارى فى الصحيح انظر الاجابة ١/١/٢٢٧ .

الإيمان فى قلبى • وليس فى حديثه أنه رأى • ولكن ظاهرة أنه كان مسلما ولم يكن مسلما • ولو رأى ذلك فى حال شركه لعده بعد إسلامه مما أثر فى نفسه (١) •

ومعنى هذا أنه لم يشاهد انشقاق القمر ، فلا تكون روايته عن مشاهدة لأنه لو شاهد لكان ذلك مما أثر فى نفسه • وحيث كان أول ما أثر فى نفسه سماعه سورة الطور من النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فهو لم يشهد وقوع انشقاق القمر ، الأمر الذى يشترط فى رواية التواتر •

وأما حصين بن عبد الرحمن فقد كان ثقة الا أنه تغير فى آخر عمره (٢) وأما السند الى حصين فضعيف ، فسليمان (٣) بن كثير ضعفه ابن معين كما ضعف ولده محمدا الذى روى هذا الحديث عنه • وقال ابن حبان كان يخطىء كثيرا (٤) •

وحديث حذيفة الذى أورده السيوطى فى الدر المنثور (٥) وعزاه لابن أبى شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم •

لم يذكر ابن جرير أن ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ذلك حفظ فى رواية السيوطى المعزوة لمخرجيها •

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٣ .
(٢) انظر تهذيب التهذيب ٢/٣٨٢ مات حصين سنة ١٣٦ .
(٣) قال ابن معين فى سليمان ضعيف . وقال ابن حيان : كان يخطىء كثيرا مات سنة ١٣٣ تهذيب التهذيب ٤/٤١٥ .
(٤) محمد بيض له أبو حاتم : مجهول . وذكره ابن حيان فى الثقات لسان الميزان ٥/١٨٧ .
(٥) سبق نصه فى مرويات السيوطى رقم ٣ وعند ابن جرير رقم ٤ .

والراوى عن أبى عبد الرحمن عطاء بن السائب (١) وعنه شـــعبة. واتفقوا على أن عطاء بن السائب قد أختلط فى آخر عمره وتغير فلا تقبل رواية أحد عنه فى آخرته ولكن شعبة من قدماء الرواة عنه .

وقد روى ابن المنذر أنه أى حذيفة قرأ (وقد انشق القمــر) والرواية تـــدل على أن هذا خطأ فانه قرأ الآية فى خطبته كما رواها القراء بالتواتر ثم قال : ألا وان الساعة قد اقتربت ، ألا وان القمر قد انشق . وهذا من كلامه على أنه تفسير على أن أمثال هذه الروايات الآحادية الغريبة لا يثبت بها القرآن بل لابد من تواتره (٢) .

وأقوى أحاديث الباب عند الشيخين تقوم على رواية واحدة فقط يخبر عن رؤيته هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنـــه .

وقد جمع ابن كثير خلاصتها فى تفســـيره عن أنس وجبير بن مطعم وابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود عند أحمد والبيهقى وابن جرير والبخارى ومسلم (٣) .

---

(١) عطاء بن السائب مالك ابو محمد الكوفى . قال ابو حاتم : كان محله الصدق قبل أن يختلط . مات سنة ١٣٧ .
انظر التهذيب ٢٠٣/٧ .

(٢) انظر مجلة المنارم ٣٠ ص ٢٦٤ والذى حققه الإمام الجزرى فى النشر ونقله الشوكانى فى نيل الأوطار ٢٦٢/٢ (ان كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه .
ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . وصح اسنادها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة ام عن العشرة ام غيرهم من الأئمة عن المقبولين . ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفه او شاذة أو باطلة ــ وحقق ايضا . ان اشتراط تواتر القراءة هو قول بعض المتأخرين . وان ائمة السلف والخلف على خلافه .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤٦٩/٦/٤٧٠ .

ومعلوم أن الشيخين غربلا هذه الأحـــاديث وأخرجـــا أصــحها وأقواها فاذا أخرجنا أنسا وابن عباس ممن شاهدوا ذلك — كما سبق بيانه واذا أخذنا شك للحافظ ابن حجر فى الرواية عن ابن عمر وأنها تصحيف من أبى معمر •

واذا اعتمدنا مناقشة الشيخ محمد رشيد لحديث جبـــير الذى لم يصرح بالمشاهدة مع عدم ذكره لهذه الآية ، وأنها مما أثرت فى نفسه او كان شهدها •

ورواية حذيفة عند ابن جرير ليس فيها أن الانشقاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وما صرح به من ذلك فى الرواية الأخرى قالها كان تفسيرا جاء فى خطبته • اذا أعتمدنا ذلك كله ، بقيت الرواية قائمة على واحد فقط يخبر عن مشاهدة • فلم تتغير الحال بانضمام روايات كتب السنة الأخرى وطرقها الى مـــرويات كل مـــن الشيخين البخارى ومسلم فى البـــاب •

والقول بعدم التواتر فى المسألة الذى يذهب إليه الخطابى والحافظ ابن حجر وتبعهما الشيخ محمد رشيد لا يحتاج إلى أعتماد كل هذه المناقشات قبعضها كاف فى اثباته فلم تتواتر أحاديث انشقاق القمر ولم تخرج من عداد روايات الآحاد والله أعلم (١) •

---

(١) قال القاضى الباقلانى فى العدد الذى يفيد خبره التواتر : لا يكفى الأربعـــة ومـــا فوقها صـــالح ، وتوقف فى الخمسة ، وقال الاصطخرى : اقله عشرة وهو المختار لانه اول جموع الكثرة • وقيل اربعون ، وقيل سبعون عدد أصحاب موسى عليه السلام • وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر ، عدد أصحاب • طالوت واهل بدر • انظر تدريب الراوى ٢/١٧٦/١٣٧ •

« استشكال الرواية بعدم تواترها »

أثبتنا فيما سبق أن التحقيق فى أحاديث انشقاق القمر يبين عدم تواترها وأنها لم تخرج — على كثرتها — من عداد أحاديث الآحاد ٠

وسبق أيضا توضيح رأى الحافظ ابن كثير وابن عبد البر وما ذهبا إليه من تواتر هذه الأحاديث وبيان رأى الخطابى وابن حجر وماذهبا إليه من عدم التواتر مع المناقشة المستفيضة التى أتى بها الشيخ محمد رشيد لأسانيد هذه الأحاديث ليخلص بذلك الى عدم تواترها كذلك ٠

ونظرا لاستحضار الخطابى وابن حجر ومعهما أبو نعيم والقرطبى والقاضى عياض بأن الموقف يقتضى تواتر هذه الأحاديث أجابوا عن سبب عدم تواترها بما بيناه للخطابى وابن حجر فيما سبق ٠

ونبين أيضا جواب أبى نعيم والقرطبى والقاضى عياض عن ذلك ثم نعقب بمناقشة الشيخ لهم فيه ٠

وقد حكى الحافظ ابن حجر أن أبا نعيم أجاب فى الدلائل بنحو جواب الخطابى وزاد : ولا سيما اذا وقعت الآية فى بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر ، ويجتهدون فى أطفاء نور الله ٠

وناقشه الحافظ فقال : وهو جيد بالنسبة الى من سأل عن الحكمة فى قلة من نقل ذلك من الصحابة ، وأما من سأل عن السبب فى كون أهل التنجيم لم يذكروه ٠ فجوابه أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه ٠ وهذا كاف ٠ فان الحجة فيمن أثبت لافيمن يوجد عنه صريح النفى ،

حتى أن من وجد وله صريح النفى يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات (١) ٠

وقال القرطبى : الموانع من مشاهدة ذلك إذا لم يحصل القصد إليه غير منحصرة ٠ ويحتمل أن يكون الله صرف جميع أهل الأرض غير مكة وما حولها عن الالتفات الى القمر فى تلك الساعة ، ليختص بمشاهدته أهل مكة ، كما أختصوا بمشاهدة أكثر الآيات ، ونقلوها الى غيرهم ٠

وقد ناقشه الحافظ فى ذلك فقال : وفى كلامه ٠ لأن أحدا لم ينقل أن أحدا من أهل الآفاق غير أهل مكة ذكروا أنهم رصدوا القمر فى تلك الليلة المعينة فلم يشاهدوا انشقاقه ٠ فلو نقل ذلك لكان الجواب الذى أبداه القرطبى جيدا ، ولكن لم ينقل عن أحد من أهل الأرض شىء من ذلك (٢) ٠

وقال القاضى عياض : ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض اذ هو شىء ظاهر لجميعهم ٠ اذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ٠

ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة ٠ اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الأرض ٠ فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض ٠ أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ٠ ولهذا نجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض ٠ وفى بعضها جزئية ٠ وفى بعضها كلية ٠

---

(١) فتح البارى ١٨٥/٨ ٠
(٢) المصدر السابق ١٨٥/٨ ٠

وفى بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها (ذلك تقدير العـــزيز العليم (1) وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف (2) الأبواب وقطع التصرف • ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به (3) ولذلك ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر • وكثير ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر فى الأحيان بالليل فى السماء • ولا علم عند أحد منها (4) •

هذه أجوبتهم عن المسألة ، وهى أجـــوبة متشـــابهة • وملخص أجوبتهم :

١ ـــ وقوع ذلك ليلا والنـــاس نيـــام •

٢ ـــ وقوع خسوف القمر كثيرا ولا يراه الا الآحاد من الناس فكذلك الانشـــقاق •

٣ ـــ وقوع الانشقاق لقوم سألوه واقترحوا وقوعه ، فلم يتأهب غيرهم لرؤيتـــه •

٤ ـــ أحتمال أن يكون القمر فى بعض منازلهم التى تظهر لبعض الآفاق دون بعض •

٥ ـــ حيلولة الجبـــال أو السحاب بين بعض القوم وبين رؤيته •

٦ ـــ صرف الله جميع أهل الأرض غير أهل مكة وما حولها عن الالتفات الى القمـــر فى تلك الساعة ليختص أهل مكة بمشاهدته •

---

(1) يس ٣٨ •

(2) الاغلاق بسرعة •

(3) اى بذل جهده فى الاعتناء به غاية الاعتناء •

(4) الشفا بتعريف سيرة المصطفى للقاضى عياض ٢/٥٤٧/٥٤٨ •

٧ — وقوع الانشقاق فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر •

٨ — وقوع ذلك فى بلدة كان عامة أهلها الكفار يومئذ ، ممن يعتقدون بأنها سحر • ويجتهدون فى أطفاء نور الله •

٩ — أنه لم ينقل الينا عن أهل الأرض أنهم رصدوا القمر فى تلك الليلة فلم يروه انشق •

هذا ملخص كامل لأجوبتهم • وقبل مناقشتها نورد توجيه الشيخ محمد رشيد للاشكال لصلته بالمناقشة •

قال — رحمه الله — ذكر علماء الأصول أن الخبر اللغوى ما يحتمل الصدق والكذب لذاته •

وأن أقسامه العقلية ثلاثة • ما يقطع بصدقه بالضرورة أو بالنظر الذى يؤدى إليها وما يقطع بكذبه كذلك • وما لا يقطع بصدقه ولا بكذبه وذكروا أن مما يقطع بكذب الخبر الذى لو كان صحيحا لتوفرت الدواعى على نقله بالتواتر ، اما لكونه من أصول الشريعة ، واما لكونه أمرا غريبا كسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة •

ومن المعلوم بالبداهة أن انشقاق القمر أمر غريب بل هو فى منتهى الغرابة التى لا يعد سقوط الخطيب فى جانبها غريبا • لأن الأغماء كثير الوقوع فى كل زمن • ومتى وقع سقط صاحبه خطيبا كان أو غير خطيب • وانشقاق القمر غير معهود فى زمن من الأزمان • فهو محال عادة وبحسب قواعد العلم مادام نظام الكون ثابتا • وان كان ممكنا فى نفسه لا يعجز الخالق تعالى ان اراده • فلو وقع لتوفرت الدواعى على نقله بالتواتر لشدة غرابته عند جميع الناس فى جميع البلاد ومن جميع الأمم • ولو كان وقوعه آية ومعجزة لاثبات نبوة النبى صلى الله

عليه وسلم لكان جميع من شاهدها من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نقلها ، وأكثر الاستدلال بها ، والاحتجاج بها ، حتى كان يكون من نقلها فى رواية الصحيحين قدماء الصحابة الذين كانوا لا يكادون يفارقون النبى صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى مثل هذه المواقف ، كالخلفاء وسائر العشرة المبشرين وغيرهم رضوان الله عليهم .

وقد علمت أنه لم ينقل منها مسندا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وأنه لم يقل أن ذلك كله كان آية بطلب كفار قريش . وإنما روى هذا أنس بن مالك رضى الله عنه . وروايته مرسلة ليست عن مشاهدة كما تقدم — وعلمت ما فى الروايات فى غير الصحيحين من علل [1] .

وبعد هذا نبدأ فى إيراد مناقشة الشيخ لما سبق أن لخصناه من مجموع أجوبتهم .

١ — وقوع ذلك ليلا والناس نيام

وقد ناقش ذلك فقال : أن وقوعه فى الليل وأكثر الناس نيام ، لا ينافى نقله بالتواتر . اذ لابد أن يكون راه عدد يحصل بهم نقل التواتر ولو من أهل مكة أنفسهم . ولا يمكن أن يختص برؤيته بعض الافراد كما بيناه فى توجيه الاشكال وقد علم من بعض الروايات أنه وقع فى منتصف الشهر والقمر بدر . ولابد أن يكون ذلك فى أول الليل كما ذكره الحافظ احتمالا ؛ وبه تظهر رواية كونه آية على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم . والظاهر من رواية التصريح بأنهم كانوا فى منى أن ذلك كان فى الموسم . اذ لا يجتمع الناس فى منى الا فى

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٧/٢٦٨ .

أيام التشريق وهى اثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر • وصرح بعضهم بأنه انشق فى الليلة الرابعة عشرة • ولا يعقل أن يضرب للذين طلبوا منه صلى الله عليه وسلم الآية من كفار قريش آخر الليل موعدا على أنه لا فرق بين أول الليل وآخره من جهة اجتماع النـاس من المسلمين والمشركين لأنه لإقامة الحجـة ، وهى لا تكون بالسر والأخفـاء •

والمعلوم من عادة الناس فى جميع البـلاد ، أن يكونوا مستيقظين فى أول الليل • ولا سيما فى الليالى البيض ، التى يكون فيها القمر بدرا يطلع من أول الليل • وأنهم يكثرون النظر إليه لجماله وخاصة فى الأماكن الخلوية كمنى • وقد علمت أنهم قالوا : ان انشقاقه كان قبل الهجرة بخمس سنين ومن راجع حساب السنين فى ذلك العهد علم أن موسـم الحـج قبل الهجـرة بخمس سـنين كان فى فصل الصيف (١) •

٢ — وقوع خسوف القمر كثيرا ولا يراه الا الآحاد من النـاس فكذلك الانشـقاق

بين فى مناقشته لهذا أن التنظير بين انشقاق القمر والخسوف فى غير محله ، لأن الخسوف من الأمور الكثيرة الوقوع ، التى لا يعنى جماهير الناس — بذكرها • وإنما يهتم بها علماء الفلك دون غيرهم • وهى ترى فى بعض البلاد دون البعض • وأصحاب التقاويم الفلكية السنوية المألوفه فى هذه البلاد • يذكرون فى كل سنة مالعله يقع فى أثنائها من خسوف للقمر • وكسوف الشـمس — ويحـددون وقتـه

(١) مجلة المنار ٣٠ ص ٢٦٨/٢٦٩ •

بالدقائق والثوانى • ويذكرون البلاد التى يرى فيها • والتى لا يرى فيها • لأن سببها من الأمور المعلومة بالقطع • ومنه يعلم أنهما ليسا من الأمور التى تعرض لجرم القمر والشمس • وإنما سبب خسوف القمر ، أن الأرض تقع بينه وبين الشمس ، فتحجب نورها عنه بقدر ما يقع من ظلها عليه • وسبب كسوف الشمس وقوع جرم القمر بينها وبين الأرض • وأما انشقاقه فهو صدع لجرمه فصل بين أجزائه فاذا كان هذا الفصل واسعا كالذى تصفه لنا الروايات السابقة فلابد أن يراه كل من نظر إليه فى كل قطر (١) •

٣ — وقوع الانشقاق لقوم سألوه واقترحوا وقوعه فلم يتأهب غـيرهم لرؤيتـه

وهذا الإحتمال ورد فى جواب الحافظ • وقد تضـمن الجـواب الأول عن وقوع ذلك ليلا والناس نيام الجواب عن هذا أيضا • اذ لابد أن يكون رآه عدد يحصل بهم نقل التواتر • ولو من أهل مكة أنفسهم • فضـلا عـن قدمـاء الصـحابة الذيـن كـانوا لايكادون يفارقونه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، ولا سـيما فى مثـل هـذه المواقف كالخلفاء وسـائر العشرة المبشرين بالجنـة رضـوان اللـه عليهم • وقد علمت أنه لم ينقل فيهما مسندا الا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأنه لم يقل أن ذلك كان آية بطلب كفار قريش • وإنما هذا أنس بن مالك رضى الله عنه وروايته مرسلة ليست عن مشاهدة كمـا تقدم وعلمت ما فى الروايات فى غير الصحيحين من علل (٢) •

(١) المصدر السابق م ٣٠/٢٦٨/٢٦٩ •
(٢) المصدر السابق ٣٠/٢٦٨ •

٤ ، ٥ ، أحتمال أن يكون القمر في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض وحيلولة الجبال أو السحاب بين بعض القـوم وبين رؤيتـه

وعلى الأول يجيب الشيخ فيقول : أنه لايفيد في دفع الأشـكال فان كل من يراه في المنزلة التي انشق فيها ، لابد أن يراه منشقا بخلاف الخسوف كما علم مما قلنا آنفا (١) .

ويجيب الشيخ على ما أثاره القاضي عياض من حيلولة الجبـال أو السحاب دون الرؤية بأن هذا التعليل يصح في بعض الأقطار دون جميعها . ولكن لا يجوز عقلا أن ينشق ولا يرى في شيء منها (٢) .

ومعنى هذا أن الرواية متى وقعت في بعض الأقطار استلزم نقل التواتر ذلك .

٦ ، ٧ — صرف الله جميع أهل الأرض غير أهل مكة وما حولها عن رؤيته ، ووقوع ذلك مقدار لحظة هي مدرك البصر

والقرطبي هو الذي أبدى الأول في مناقشته والخطابي أبـدى الثاني منهما ويجيب الشيخ على الثاني فيقول : فهذا الأحتمال هو الذي يمكن أن يعقل به أحتمال عدم رؤية أهل الأقطار له حتى أهل مـكة ، وكذا من كان في منى . واذا أضيف إليه أحتمال وقوع الرؤية في آخر الليل يزداد قـوة .

وقد يكون كل من الأحتمالين معقولا اذا أعتمدنا في المسألة ظاهر حديث ابن مسعود المسند المتصل في الصحيحين ، وما وافقه من أن

---

(١) المصدر السابق ٣٠/٣٦٩ .

(٢) المصدر السابق م ٣٠ ص ٣٦٢ .

انشقاقه لم يكن اجابة لاقتراح المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية تدل على صدق دعواه ، ولا يعقل على رواية أنس المرسلة فى الصحيحين وما فى معناها فى غيرهما كما تقدم من أن ذلك كان آية مقترحة ، لأن الله تعالى اذا أراد أن يؤيد رسوله صلى الله عليه وسلم بآية كونية عظيمة كهذه تكون حجه له على الناس ، فانه لايجعلها كطرفه عين يراها أفراد قليلون فى آخر الليل ، وقدران الكرى على أجفانهم ؛ بحيث يعذرون فى اتهام أبصارهم بهذه ، كما ورد فى بعض الروايات أنهم قالوا ذلك ، بل يجعلها آية مبصرة كناقة صالح لا يمكن الشـك ولا المراء فيهـا .

وقول القرطبى : أن الله صرف عن رؤيتها أبصار جميع الخلق الذين كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلتئذ وكذا بعض سفار المكيين على رواية شاذة فهو من غرائب الاحتمالات [1] .

٨ ـ وقوع ذلك فى بلدة كان عامة أهلها الكفار يومئذ ممن يعتقدون بأنها سحر ويجتهدون فى أطفاء نور الله

وجوابه : أنه لو صح هذا مع طلبهم اياه ليكون آية على صـدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، وأن الله تعالى أجابهم الى طلبهم ، فجعل انشقاق القمر آية كما هو نص حديث أنس فى الصحيحين وغيره فى غيرهما لعذب الله أمته أو قومه باستئصالهم على حسـب القاعـدة الصحيحة الثابتة بالنص القطعى . أو لعذب من رأوها وكذبوا بها على

(1) المصدر السابق ٢٧٢/٣٠ وانما كان هذا الاحتمال غريبا ، لأن صرف من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وكذا بعض سفار المكيين عن رؤيتها . يفرغ آية عظيمة كهذه من مدلولها ، ويوقع من رأى فى البلبلة اذا سمع انكار هؤلاء الذين معه وغيرهم للرؤية .

رأى الخطابى ومن وافقه • ولكن لم ينقل أن الله تعالى عذب أحـدا منهم عقب ذلك التكذيب ، بل نقل خلافه • وأن منهم من مات بعـد ذلك • ومنهم من قتل ببدر بعد بضع سنين • ومنهم من آمن بعـد اصراره على التكذيب بعد رؤيتها بضع عشرة سنة كالنضر بن الحارث من مسلمة الفتح الذين شهدوا حنينا ، وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم مائة بعير تأليفا له • وقيل أنه أخ له اسمه نضير بالتصغير (١) •

٩ — وهو أنه لم ينقل الينا عن أهل الأرض أنهم رصـدوا القمر فى تلك الليلـة فلم يـروه انشـق

وجواب الشيخ عليه : أن رؤية انشقاقه لا يتوقف على رصده ، لأن من شأنه أن يراه كل ناظر إليه ، وأن الذين ينظرون إليه فى ليالى تمامه كثيرون وألحق الشيخ بهذه المناقشة جوابا عن سؤال مشابه: وهو قولهم ان الحجـة فيمن أثبت لا فيمن يوجـد عنـه صريـح النفى فقال فى جوابه عن هذا : أنه ليس فى موضع النزاع ، لأن الواقع أنه وجد مثبت فقط ، ولكنه يدعى شيئا لو صح لرآه من لا يحصى من أهل الأقطار المختلفة ، ونقل عنهم بالتواتر • واذ لم يحصل هذا فيكون خبره غير مقبول كماتقدم تقريره من علماء الأصول والمنطق فى الخبر الذى يقطع بعدم صحته (دع كونه معارضا بآيات القرآن المحكمة كما يأتى قريبا)•

قال الشيخ : وقد بالغ القاضى عياض فى الأعتماد على هذا الجواب أو الدفع فجعل نقل النفى للشىء بالخـبر المتـواتر المفيـد للعـلم القطعى (٢) مرجوحا يرد بما يعارضه من اثباته بخبر الواحد الذى لا يفيد

(١) مجلة المنار ٣٠ ص ٣٦٨ .

(٢) معنى هذا أننا نصدقه يقينا لوقوع خبره بالتواتر ولا يكون فى هذا حجة لمعارضة خبر الواحد له وهذا تناقض واضح .

الظن عندهم الا بشروط منها : ألا يكون مخالفا لسنة الله فى الوجود ونظام العالم • وألا يكون مما تتوفر الدواعى على نقلــه بالتــواتر • وألا يكون معارضا بنص قطعى كآيات القرآن الصريحه فى عدم أعطاء رسوله صلى الله عليه وسلم آية باقتراح الكفار (١) •

وقد أورد الحافظ بن حجر بعد تفسير الآيه : اقتربت الســاعة وانشق القمر — أن البيقى نقل فى أوائل البعث والنشور عن الحليمى أن من الناس من يقول : ان المراد بقوله تعالى : « وانشق القمر » أى سينشق ، قال الحليمى : فان كان كذلك ، فقد وقع فى عصرنا ، فشاهدت الهلال ببخارى فى الليلة الثالثة منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا فصار فى شكل أترجه الى أن غاب ، قال : وأخبرنى بعض من أثق به أنه شاهد ذلك فى ليلــة أخــرى •

وانتقد الحافظ ابن حجر البيهقى فى ذلك فقال : ولقد عجبت من البيهقى كيف أقر هذا مع ايراده حديث ابن مسعود المصرح بأن المراد بقوله تعالى : (وانشق القمر) أن ذلك وقع فى زمن النبى صلى اللــه عليه وسلم • فانه ساقه هكذا من طريق ابن مسعود فى هذه الآية :

(اقتربت الساعة وانشق القمر) قال : لقد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم ساق حديث ابن مسعود : لقد مضت آية الدخان والروم والبطشة وانشقاق القمر (٢) •

---

(١) المصدر السابق م ٣٠ ص ٣٦١ •

(٢) فتح البــارى ١٨٦/٨ •

وذكر الشيخ محمد رشيد : أن الحافظ المزى نقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه رأى فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه أنه بنى ليلة انشق القمر .

ثم قال الشيخ رشـــيد : وأذكــر أننى رأيت فى بعض الكتب أو الصحف أن هذا رؤى فى بلاد الصين .

وعلق الشيخ على ما أورده الحافظ المزى ونقله البيهقى : بأننـــا نصدق ما ذكره الحليمى عن نفسه وعمن يثق به . ونجزم أنهما تخيلا فخالا . أو عرض لبصرهما ما صور لهما ذلك . ومن العلل العارضـــة للبصر أو الدائمة ما يصور لها الواحد اثنين وهذا معروف مشهور .

كما علق على ما نقله المزى عن ابن تيمية وما قرأه هو فى بعض الكتب فقال : ولكن مثل هذا الخبر الغريب عن مسافر مجهول لا يعده أحد من أهل العلم حجة فى مسألة علمية ولو لم تكن كمسألتنا ، لعدم الثقة بعدالته . ولأنه يروى ما لو صح لوقف عليه المسلمون الفاتحون للهند ولجعلوا لذلك البناء شأنا يشتهر به ويزار . ولدون خبره فى كتب التاريخ . ولم يوجد شيء من ذلك . على أنه لو وجد بهذا الابهام والاجمال لما كان حجة فى موضوعنا ، لجواز أن يكون سببه أسطورة أو أشاعة حدثت عند الذين بنوه وربما كانوا من الوثنيين [1] .

تلك هى مناقشات مستفيضه فى مسألتنا ، أجراها الشيخ محمـــد رشيد لما أبداه الحفاظ الذين مر ذكرهم فى أشكال عدم تواتر أحاديث انشقاق القمر لأن الأصل هو تواتر هذه الأحاديث .

---

(1) مجلة المنـــار م ٣٠ ص ٣٦٢ .

وهى مناقشات تتسم بالعمق والشمول وسعة الفكر الذى لا تفوته شاردة ولا واردة فيما هو بصددة من مناقشة الأمر الذى جعله يلم بحساب التقويم الفلكى زمن انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين ليبين أن ذلك كان يصادف فصل الصيف ليساعده هذا فى تبيان الحق من انتشار الناس فى العراء ، مما يجعلهم متمكنين من رؤية القمر وما يعرض له من انشقاق .

وقد سار فى هذا على أصولهم فى البحث ، فتحرى موضع النزاع ليرد إليه كل مناقشة تبتعد عنه (١) مع تحكيم قواعدهم فى أصول الحديث كلما استدعى الموقف ذلك (٢) .

وخلاصة هذه المناقشة هو ترجيح رواية ابن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين وغيرهما على رواية أنس المرسلة فيهما أيضا . وهى الرواية التى أوضحت أن ذلك كان باقتراح المشركين آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . لما ثبت بالدليل القطعى من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط الآيات المقترحة (٣) .

« الأشـــكال الفلكـــى »

وهو الأشكال الذى نود باثارته أن نبين مرتكز الشيخ فى المناقشة وهل يصدر فيها عن مذهب فلسفى كما يراه بعضهم ؟ أو يصدر عن تقليد للمبتدعة الموافقين لمخالفى الملة فى رأى آخر ؟

---

(١) انظر المناقشة رقم ٩ .
(٢) انظر مناقشة لما نقله الحافظ المزى عن ابن تيميه
(٣) انظر المناقشة رقم ٦ ، ٧ .

وقد سبق لنا بيان مناقشة الحافظ بن حجر للفلاسفة والمبتدعة الذين ينكرون قابلية الآيات العلوية للخرق والالتئام (١) .

قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها ، لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره آخر أمره (٢) .

فأين موقف الشيخ محمد رشيد من هذا ؟ وأبادر إلى إثبات جواب الشيخ عن هذا توضيحا لموقفه حيث يقول : أجاب الحافظ بأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء . أقول : وهذا حق لا ينكره مؤمن بالله . ومسألة عدم قبول الأفلاك للخرق والالتئام . من أوهام فلاسفة اليونان ، وقد كشفها وأبطلها علم الهيئة الحديث .

ولكن لا يشك عاقل من المؤمنين وغيرهم أن خلقه تعالى للسموات وأجرامها في غاية الابداع والنظام ، لا تفاوت فيه ولا خلل ، وأن سنته تعالى في الخلق لا تتبدل ولا تتحول ، فلا يصدق خبر وقوع تغير فيها الا بخبر قطعي ثابت مثل ثبوتها وثباتها كآيات الرسل التي أخبر الله تعالى بها ومن دونها آيات أرضية لا يتضمن وقوعها مايتضمنه انشقاق القمر . ورجوع الشمس بعد غروبها من مخالفة نظام الكون العام . ومعارضة قوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » (٣) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته) . متفق

---

(١) انظر مبحث راى الحافظ فى عدم التواتر ، وانظر فتح البارى ٨/١٨٤
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦/٦٦٨ .
(٣) الرحمن الآيه ٥ .

عليه وذلك كنبع الماء من بين أصابعه ، فمثل هذا يقبل فى خبره ماصح • وان لم يتواتر ويصير قطعيا • ونحن إنما نذكر مثل هذه الدقائق لغرض شرعى صحيح سنذكره بعد (١) •

فالشيخ ليس على مذهب الفلاسفة والمبتدعة الذين انكروا ذلك وإنما يناقش فيه لما قام عنده من دليل قطعى بآيات القرآن الكريم بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط الآيات المقترحة كما سيأتى •••

وبهذا نحدد رأى الشيخ وموقفه فى هذا الموضوع ، وهو أنه يصدر فى المناقشة عن مبدأ شرعى هو الدفاع عن كتاب الله وتنقية السنة المطهرة مما قد يعلق بها من شوائب • وهو بهذا يبتعد عن موقف الفلاسفة الذين يحكمون قواعد عقلية غير مأمونة ، بقدر ما يبتعد عن المبتدعين الذين يحكمون أهواءهم ويجعلونها أصلا يحمل عليه غيره من نصوص شرعية • ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله • وسيأتى مزيد توضيح لذلك والله أعلم •

« الأشكال الأصولى الأعظم »

وهو أهم عناصر هذا المبحث ، بل لقد قام المبحث عليه وبسببه ، وهو الى جانب هذه الأهمية يلقى كثيرا من الضوء على منهج الشيخ وطريقته فى أبحاث السنة التى يجب أن تبحث قريبا من أضواء القرآن الكريم وآياته ذات الصلة بموضوع البحث فى السنة •

وليس هذا لأن السنة لا تستقل بالتشريع • بل لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يقول ما يخالف القرآن الكريم • أما

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٦٣ •

استقلال السنة بالتشريع فقد بحثه العلماء ومحصوه وقرروه • وألمنا به فى غير هذا الموضـــوع •

ومن هذا المنطلق يسير الشيخ محمد رشيد فى بيان الاشـــكال فيقول : قد ثبت بآيات القرآن المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة ، أن آية الله تعالى وحجته على صحة نبوة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم التى تحدى بها الكفار ، ولم يحتج عليهم بغيرها هى كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من الخلق • وثبت بالحديث الصحيح الصريح أيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما من الأنبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر • وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحـــاه اللـــه الى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » (1) (وانما كان) تفيد الحصر • وقد تأولوه بأنه لما كان القرآن أعظم معجزاته وأدومها كان غيره منها كأنه غير موجود • ولا حاجة الى هذا التأويل اذا اشترط فى المعجزة التحدى • فانه صلى الله عليه وسلم لم يتحد العرب ولا غيرهم الا بالقـــرآن •

وثبت بالآيات المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة أن الكفار طالبوا النبى صلى الله عليه وسلم بآية من الآيات الكونية التى أوتى مثلها الرسل على الابهام • وأنهم اقترحوا عليه آيات معينة أيضا فلم يجابوا الى طلبهم • وفى بعض هذه الآيات ما يـــدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب هو وأصحابه أن يؤيده الله بآية مما اقترحوا لعلهم يؤمنون ، وأن الله تعالى لم يؤته ذلك بل بين له فى بعض تلك الأحوال أن طلبهم

(1) متفق عليه وهو فى مختصر صحيح مسلم رقم ١٩ وفى مســـلم (٩٣/٩٢/١) •

الآيات إنما يقصدون به التعجيز • وانهم لو أعطوها لا يؤمنون وأن سنته قد مضت بأن ينزل عذاب الاستئصال بكل قوم اقترحوا آية على رسولهم ولم يؤمنوا باجابتهم الى ذلك • وأمره فى أقوال أخرى بأن يخبرهم بأن الآيات عند الله وبيده وحده ، وأنه هو بشر لا يستطيع شيئا مما لا يستطيعه البشر ، الا أن الله تعالى أوحى إليـه ما أمره أن يبلغه للناس من البينات والهدى والإيمان ، وصرح فى بعضـها أن آيته الكتاب العزيز المشتمل على آيات كثيرة فى آية الله الكبرى • وصرح فى بعض آخر ببعض تلك الآيات فيه (١) •

والآيات فى ذلك : (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) (٢) • (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) (٣) • (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب (٤) • (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) (٥) •

(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) (٦) •

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٦٣/٣٦٤ •
(٢) يونس الآية ٢٠ •
(٣) الرعـد الآية ٧ •
(٤) الرعـد الآية ٢٧ •
(٥) طه الآية ١٣٣ — أى أخبار كتب الأنبياء فى القرآن وهى أحدى معجزاته •
(٦) العنكبوت الآيتان ٥٠ — ٥١ •

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) (١) • (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) (٢) •

(وان كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون • وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٣) •

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون • ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) (٤) •

هذا استعراض للآيات القرآنية الكريمة فى هذا الموضوع • وهى الآيات التى بحث فى ضوئها الشيخ حديث أنس : أن أهل مكة طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر •

---

(١) الانعام الآية ٨ .

(٢) الاسراء الآية ٥٩ .

(٣) الأنعام الآية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ وفى هذه الآيات تسلية له عن اعراضهم وتيئيس من اعطاء الآيه الكونية المقترحة .

(٤) الأنعام الآيات ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ وفى هذا تيئيس لأصحابه صلى الله عليه وسلم من ايمانهم اذا أوتوا آية .

روى ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » الآية بسنده إلى محمد بن كعب القرظى قال : كلم رسول الله عليه وسلم قريشا ، فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا بشىء من الآيات حتى نصدقك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أى شىء تحبون أن آتيكم به ؟ قالوا : تجعل لنا الصفا ذهباً ، فقال لهم : فان فعلت تصدقونى ؟ قالوا : نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعون ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو • فجاءه جبريل عليه السـلام • فقال : لك ما شئت • ان شئت أصبح ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال : بل يتوب تائبهم ، فأنزل الله : (وأقسموا) الى قوله : يجهلون (١) •

وروى عند تفسير قوله تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) (٢) بسنده عن السدى : (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) يقول : لجاءهم العذاب •

وروى أيضا بسنده عن قتادة • (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون) — يقول : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا •

وعن مجاهد فى قوله تعالى : (ولو أنزل عليه ملك) فى صورته (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) لقامت الساعة •

وعن عكرمة : (لقضى الأمر) قال : لقامت الساعة (٣) •

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ٣١٢/٧ ط ٣ •
(٢) جامع البيان ١٥١/٧ •
(٣) جامع البيان ١٥١/٧ •

وقال ابن كثير فى قوله تعالى : (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون) أى لو نزلت الملائكة على ما هم عليه ، لجاءهم العذاب (١) .

وقال ابن جرير فى قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٢) يقول : ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية ، لا يعلمون ما عليهم فى الآية ـ إن نزلها ـ من البلاء ولا يدرون ما وجه ترك انزال ذلك عليك، ولو علموا السبب الذى من أجله لم أنزلها عليك ، لم يقولوا ذلك ولم يسألوا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣) .

وقال ابن كثير فيها : يقول تعالى مخبرا عن المشركين ، أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه ، أى خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ، وما يتعنتون كقولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الآيات . قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أى هو تعالى قادر على ذلك . ولكن حكمته تعالى تقتضى تأخير ذلك ، لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ولم يؤمنوا ، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة ، كما قال تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالآيات الا تخويفا) (٤) .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى : (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) (٥) : ان سنتى فى خلقى أنى اذا آتيتهم ما سألوا ، فان آمنوا والا عاجلتهم

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٩ مطبعة دار الأندلس ــ بيروت .
(٢) الانعام الآية ٣٧ .
(٣) جامع البيان ٧/١٨٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠ .
(٥) يونس الآية ٢٠ .

بالعقوبة . ولهذا لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أعطائهم ما سألوا فان آمنوا والا عذبوا ، وبين أنظارهم أختار انظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم . ولهذا قال تعالى ارشادا لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى الجواب عما سألوا : (فقل إنما الغيب لله) أى الأمر كله لله وهو يعلم العـــواقب فى الأمـــور . (فانتظروا إنى معكم من المنتظرين) أى أن كنتم لا تؤمنـــون حتى تشاهدوا ما سألتم ، فانتظروا حكم الله فى وفيكم . هذا مع أنهم شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم الى القمر ليلة ابداره فانشق اثنين فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا وما لم يسألوا (١) .

وفى كلام ابن كثير هنا تناقض واضح ، فهو فى أوله يفيد : أن العقوبة تحل بمن أجيبوا الى طلبهم اذا لم يؤمنوا برسلهم سنة الله فى خلقـــه .

وقد أورد ابن كثير حديث أنس عند تفسير أول سورة القمر وسكت عليه هناك بل هو أول ما أورده فى المسألة (٢) .

وهذا الذى جعل الشيخ محمد رشيد يعلق على هذا بقوله : ومن غريب الذهول أن الحافظ بن كثير لم يعرض لهذه المسألة فى تفســـير أول سورة القمر . بل أورد حديث أنس وسكت عليه . ولكنه أشـــار إليها فى تفسير بعض الآيات الصريحة فى عدم اجابة الكفار الى ما كانوا يقترحونه على النبى صلى الله عليه وسلم من المجىء بآية أى آية . أو بآية معينة ، كآية يونس السابقة (٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٩٣/٣ ط دار الأندلس بيروت .
(٢) انظر المصـــدر الســـابق ٤٦٩/٦ .
(٣) مجلة المنـــار م ٣٠ ص ٣٦٨ .

وقال البغوى فى هذه الآية : (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التى سألها كفار قريش (الا أن كذب بها الأولون) فأهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم ، لأن من شأننا فى الأمم اذا سألوا الآيات ، ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم • وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة فى العذاب فقال تعالى : (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) (١) •

ونذكر بعد هذا ما أورده الشيخ محمد رشيد رضا ، واستشكل به حديث أنس رضى الله عنه من آيات القرآن الكريم التى سبقت قال رحمه الله : بعد التذكير بهذه الآيات المحكمة القطعية • كيف يمكننا أخذ رواية أنس بن مالك رضى الله عنه فى الصحيحين بالقبول ، فنصدق أن المشركين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر ، ولم يدع غيره من رواة الحديث فى الصحيحين هذه الدعوى مع العلم بأن روايته له مرسلة ، لأنه أنصارى كان عند الهجرة ابن عشر سنين وعند انشقاق القمر ابن خمس سنين فى المدينة ، ولا يعلم أحد الا الله ممن سمع هذا الخبر • وأحتمال سماعه له من ابن مسعود بعيد ، لأنه لم يأت فى شىء من الروايات الصحيحة عن ابن مسعود أن المشركين اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما • ولم يصح ذلك عن أحد ممن رووا هذا الحديث عنه •

وإنما روى نحوه أبو نعيم فى الحلية ببعض أسانيده الواهية عن ابن عباس رضى الله عنه وروى عنه ما يعارضه ، وهو أن الذين طلبوا

(١) القمر آية ٤٦ .

من النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ليؤمنوا فأراهم انشقاق القمر هم بعض اليهود ، وهى رواية شاذة على شدة ضعفها لم يقبلها أحد من العلماء الذين يقبلون الأحاديث الضعيفة فى الفضائل والدلائل لمعارضتها للأولى ولأن مكة لم يكن فيها اليهود • وسورة القمر مكية بالإجماع (١) •

وعبارة الحافظ بن حجر فى حديث أنس هى : ولم أر فى شىء من طرقه أن ذلك كان عقب سؤال المشركين الا فى حديث أنس فلعله سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم • ثم وجدت فى بعض طرق حديث ابن عباس بيان صورة السؤال وهو وان كان لم يدرك القصة لكن فى بعض طرقه ما يشعر بأنه حمل الحديث عن ابن مسعود •

كما سأذكره • فأخرج أبو نعيم فى الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام ، والعاصى بن وائل ، والأسود ابن المطلب ، والنضر بن الحارث ونظراؤهم ، فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، فسأل ربه فانشق (٢)•

وليس فيما ساقه الحافظ عن أبى نعيم مايدل على أنه حمل الحديث عن ابن مسعود الأمر الذى جعل الشيخ رشيد يعلق بقوله : والحافظ حجة فى النقل ، ضعيف فى ايراد الاحتمالات وتوجيهها فى الغالب ، ولا سيما الاحتمالات المؤيدة لما يراه صحيحا أو حسنا فى نفسه كالفضائل والمناقب ، وما يعد من دلائل النبوة منها أولى (٣) •

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٦٥/٣٦٦ •
(٢) فتح البارى ١٨/٨ •
(٣) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٦٦ •

والذى يرجع الى مرويات ابن مسـعود فى الصحيحين وغيرهما فى أحاديث انشقاق القمر لا يجد فيها أو فى أحدها أن انشقاق القمر كان اجابة لطلب الكفار آية من النبى صلى الله عليه وسلم ، عدا عن مخالفة ذلك لنصوص القرآن • الأمر الذى جعل الشيخ محمد رشيد يقول : فكيف نلصق به إحتمال تحديث ابن عباس بذلك فى رواية لم تصح عن ابن عباس • مع أن رواية ابن عباس فى الصحيحين مرسلة يحتمل أن يكون سمعها من بعض التابعين (١) •

هذه خلاصة هذا الإشكال فى حديث أنس رضى الله عنه الـذى يفيد أن انشقاق القمر كان آية مقترحة من الكفار ، خلافا لما يقتضيه ماذكرنا من آيات القرآن الكريم • ولم يعن أحد من العلماء ببيان هذا الأشكال والجواب عنه سوى الشيخ محمد رشيد فيما نعلم (٢) •

وقد حكى الحافظ بن حجر : أن الخطابى أبدى حكمة بالغة فى كون المعجزات المحمدية ، لم يبلغ شىء منها مبلغ التواتر الذى لا نزاع فيه الا القرآن (٣) •

وملخص ما قاله الخطابى : أن المعجزة الحسية لو تواترت لأعقبها هلاك من لم يؤمن للاشتراك فى إدراكها بالحس •

وما قاله الخطابى فيه نظر • والا فبأى شىء كان إدراك انشقاق القمر اذا لم يكن ذلك قد حصل بالبصر ؟

---

(١) المصدر السابق ٣٠ ص ٣٦٦ .
(٢) انظر مجلة المنـار م ٣٠ ص ٣٦٧ .
(٣) سبق فى مبحث رد دعوى التواتر بمناقشة الأسانيد وانظر فتح البارى ١٨٥/٨ .

وقد قال الخطابى ذلك ليدفع به استشكاله بعدم نزول العذاب بهم بعد رؤية انشقاق القمر لعدم إيمانهم .

ولهذا عقب الشيخ محمد رشيد على قول الخطابى بقوله : وهو زعم مخالف للحس (١) .

وهذا حق . لأن ادراك الانشقاق لا يكون الا بالبصر وهو أحد طرق المدركات بالحواس — وليس التواتر داخلا فى ماهية الحس حتى يمكن نفى الحس بنفى التواتر .

وقد مر فى مبحث استشكال الرواية بعــدم تواترها ، ومناقشة ما أجاب به الحفاظ فى ذلك : أن اجابة القرطبى بأنه يحتمل أن اللــه صرف جميع أهــل الأرض غير أهل مكة وما حولها عن الرؤية واجابة الخطابى باحتمال وقوع ذلك مقدار لحظة هى مدرك البصر (٢) وصرف الأبصار عن الرؤية وهمــا الاحتمالان المقولان اذا اعتمدنا ظــاهر حديث ابن مسعود المســند المتصل فى الصحيحين ، وما وافقه من أن الانشقاق لم يكن اجابة لاقتراح المشركين على النبى صلى اللــه عليه وسلم أن يريهم آية تــدل على صــدق دعواه ولا يعقل على رواية أنس المرسلة فى الصحيحين وما فى معناها فى غيرهما كما تقدم من أن ذلك كان آية مقترحة ، لأن الله تعالى اذا أراد أن يؤيد رسوله صلى الله عليه وسلم بآية كونية عظيمة كهذه تكون له حجة على الناس فانه لايجعلها كطرفة عين كما سبق بيانه .

فحديث ابن مسعود وما فى معناه هو الفيصل فى المسألة . وهو الذى لاتتوارد عليه مثل هذه المناقشات التى أثارها العلماء هنا حول

---

(١) مجلة المنــار ٣٠ ص ٣٦٨ .

(٢) انظر المناقشة رقمى ٦ ، ٧ فى ذلك .

حديث أنس الذى لم يشهد ذلك ، لأنه كان ابن خمس سنين فى المدينة وهذا إنما وقع بمكة قبل الهجرة بخمس سنين .

ان آية انشقاق القمر عظيمة ، ولكنها صغيرة أمام معجزته صلى الله عليه وسلم الكبرى وهى القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وحرص بعض العلماء على القول بتواتر انشقاق القمر وادعاء الإجماع على ذلك وتجريح المخالف فى ذلك ، ورميه بالابتــداع والمروق مــن الدين ، إنما هو من اعتقادهم فى هذه المعجزة الحسية ، وحب تأكيد إثباتها للنبى صلى الله عليه وسلم .

ولو علموا أنها تتضاءل وتصغر أمام معجزة القرآن الكريم معجزة المعجزات لما كان منهم كل هذا الحرص .

وليس هذا نفيا لوقوع الانشقاق . وانما هو نفى لما ورد من أن المشركين طلبوه من النبى صلى الله عليه وسلم فوقع آية له ومعجزة على صدقه مما يتعارض مع بعض آيات القرآن الكريم التى أفادت بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعط الآيات المقترحة .

وتقدم أن حديث ابن مسعود فى الانشقاق لا يفيد هذا المعنى الذى أفاده حديث أنس وهو الذى لم يرد عليه شىء من هذه المناقشات .

ونثبت بعد هذا الحكم الذى أورده الشيخ فيمن قبل الروايات التى ناقشها أوردها لقيام الدليل عنده بضدها قال رحمة الله : الذى نقرره فيها أن من قبل تلك الروايات فى أن القمر قد انشق ، ومن لم يقبلها لعدم اقتناعه بتلك الأجوبة عن تلك الاشكالات سواء فى كون كل منهما لم يرد شيئا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا مما صح من حديثه (1) .

---

(1) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٧٠ .

أما ما ذكره العلامة العينى فى عمدة القارى من أن فى الباب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه تعالى قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم (١) ولم يذكر مصدره ولا خرجه ولم أجده فى فتح البارى ولا فى ارشاد السارى ولا فى شرح الكرمانى من شروح البخارى •

ولهذا علق الشيخ محمد رشيد بقوله : انهم ذكروا اسمه كرم الله وجهه فى رواته • ولكننا لم نر أحدا منهم ولا من غيرهم ذكر لفظه ولا ذكر من أخرجه لنراجعه فى كتابه ان كان من الكتب المشهورة المتداولة • ولكننا رأينا فى شرح الشفاء لملا على القارى عند ذكر المتن لعلى فى رواته ما نصه : قال الدلجى : لا يعرف مخرجه (٢) •

(١) عمدة القارى ٥٧٨/٧ •
(٢) مجلة المنار ٣٠ ص ٣٧١ •

مناقشة متون أحاديث انشقاق القمر

أختلفت متون أحاديث انشقاق القمر فى ثلاث نقاط ألم بهـا الحافظ بن حجر وأجاب عنها ، وناقشه الشيخ محمد رشيد فى بعض أجوبته ، ونورد أولا توفيق الحافظ فى مواضع الأختلاف بين الفاظ هذه الأحاديث ، ثم نعقب بمناقشة الشيخ فى هذا فنقول :

١ ـ ما ورد من الأختلاف فى حديث انس رضى الله عنه عنـد البخارى ومسلم فعند البخارى من طريق قتادة : أن أهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهمـا (١) •

وعند مسلم من طريق قتادة أيضا عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشـقاق القمر مرتين (٢) •

قال الحافظ بن حجر : وهو فى مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين أيضا وكذلك اخرجه الامامان أحمد وإسحاق فى مسنديهما عن عبد الرزاق وقد اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين • قال البيهقى : قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه مرتين (٣)•

---

(١) فتح البـارى ١٨٢/٨ •
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٦٩/٦ •
(٣) دلائل النبوة للبيهقى ط ١ ت عبد الرحمن محمد ٤٥/٤ والثلاثة هم سعيد بن أبى عروية وشيبان ومعمر •

وقال ابن حجر : لكن أختلف عن كل منهم فى هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو احفظهم ولم يقع فى شىء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين وإنما فيه فرقتين بالراء أو اللام وكذا فى حديث ابن عمر فلقتين وفى حديث جبير بن مطعم فرقتين وفى لفظ عنه فانشق وفى رواية عن ابن عباس عند أبى نعيم فى الدلائل : فصار قمرين وفى لفظ شقتين وعند الطبرانى من حديثه : حتى رأوا شقيه • قال الحافظ : ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين (١) •

قال الألوسى : وقع فى نظم السيرة للحافظ العراقى ما هو نص فى وقوع الانشقاق مرتين وظاهر فى أنه مجمع على وقوعه كذلك حيث قال : وانشق مرتين بالإجمـاع •

وكأن مستند الأول ما أخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقى فى الدلائل من طريق مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود قال : رأيت القمر منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم • وأما الإجماع فغير مسلم (٢) •

قال الحافظ بن حجر يمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد مع أن فى نقل الإجماع فى نفس الانشقاق نظر(٣) •

ونقل الألوسى عن ابن حجر قوله : ولعل قائل مرتين أراد فرقتين وهذا الذى لايتجه غيره جمعا بين الروايات (٤) •

---

(١) فتح البـارى ١٨٤/٨ •
(٢) روح المعانى ٧٤/٧٣/٢٧ •
(٣) فتح البـارى ١٨٢/٨ •
(٤) روح المعـانى ٧٤/٢٧ •

قال الألوسى : ولا يخفى أن هذا التأويل مع بعده لا يتسنى فى خبر ابن مسعود المذكور آنفا ، لمكان شقتين وهى بمعنى فرقتين ومرتين معا ، والذى عندى فى تأويل ذاك أن مرتين فى كلام ابن مسعود قيد للرؤية ، وتعددها لا يقتضى تعدد الانشقاق بأن يكون رآه منشقا فصرف نظره عنه ، ثم أعاده فرآه كذلك لم يتغير ، ففيه اشارة الى أنها رؤية لا شبهة فيها (١) .

وجمع ابن القيم بين اللفظين فقال : المرات يراد بها الأفعال تارة، والاعيان أخرى ، والأول أكثر ومن الثانى : انشق القمر مرتين ، وقد خفى على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين . وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فانه لم يقع إلا مرة واحدة وقد قال العماد بن كثير فى الرواية التى فيها مرتين نظر ولعل قائلها أراد فرقتين (٢) .

هذا أول أختلاف فى متون هذه الأحاديث ، وهو أهون خلاف فى الموضوع وجواب الألوسى فيه واضح ، ولا يشوبه شىء لهذا لم يعلق عليه الشيخ محمد رشيد لظهوره والاكتفاء به .

٢ — فى رواية ابن مسعود رضى الله عنه عند البخارى قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم بمنى ... الخ وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله : انشق بمكة .

قال الحافظ : والجمع بين قول ابن مسعود تارة بمنى وتارة بمكة، اما باعتبار التعدد ان ثبت ، وإما بالحمل على أنه كان بمنى ، ومن

---

(١) المصدر السابق ٧٤/٢٧ .

(٢) فتح البارى ١٨٢/٨ .

قال : كان بمكة لا ينافيه ، لأن من كان بمنى كان بمكة من غير عكس ، وأن الرواية التى فيها بمنى قال فيها : ونحن بمنى ، والرواية التى فيها بمكة لم يقل فيها ونحن وإنما قال « انشق القمر بمكة » يعنى أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة وبهذا يندفع دعوى الداودى أن بين الخبرين تضادا .

ويؤيد هذا أيضا ما وقع فى غير هذه الرواية عند ابن مردويه عن ابن مسعود قال : (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل ان نصير الى المدينة فوضح ان مراده بذكر مكة الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة ويجوز ان ذلك وقع وهم ليلتئذ بمنى (١) .

وقد أبدى الشيخ محمد رشيد فى مناقشته هنا ، أن لفظ قبل الهجرة لا يقال الا اذا كان ذلك قبيل الهجرة .

وتعقب الحافظ فى قوله السابق الذى استظهر به على القول بأن الانشقاق وقع وهم بمنى ، من أن ابن مسعود لم يقل فى رواية مكة « ونحن بمكة » وفى رواية منى قال : « ونحن بمنى » بأن هذا إنما يصح فى رواية الصحيح التى كان يشرحها وقد ذهل عما ذكره هو قبل ذلك فى شرحه من رواية ابن مردويه عنه وفيها أنه قال : « ونحن بمكة » على أن لفظ « نحن » لاينقض ما ذكره من التأويل ، وإنما يبعده أن المتبادر من قوله « قبل أن نصير الى المدينة » أنه كان بالقرب من الهجرة والمنقول أنه كان قبلها بخمس سنين كما ذكره الحافظ وغيره (٢) .

---

(١) فتح البارى ١٨٣/٨ .

(٢) انظر فتح البارى ١٨٣/٨ ومجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٥ .

٣ ــ أسند البخارى قول ابن مسعود « انشق القمر بمكه من رواية ابراهيم عن أبى معمر ثم قال : وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبى نجيح عن أبى معمر عن عبد الله • وذكر الحافظ فى شرحه أن هذه الطريق وصلها عبد الرزاق فى مصنفه والبيهقى من طـريقه فى دلائل النبوة بلفظ : رأيت القمر منشقا شقتين شقه على أبى قبيس وشقه على السويداء • قال الحافظ : والسويداء بالمهملة والتصـغير ناحية خارج مكة عندها جبال (١) •

وفى الصحيحين والترمذى وغيرهم عنه : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه وفى رواية أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردوية وأبى نعيم عنه : رأيت القمر على الجبل وقد انشـق فأبصرت الجبل من بين فرجتى القمر • وفى رواية ابن مردويه وأبى نعيم فى الدلائل من طريق علقمة عنه : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أشهدوا وفى حديث ابن عمر عند مسلم والترمذى وغيرهما من طريق مجاهد وقد تقدم : أنشق فرقتين فرقة من وراء الجبل وفرقة دونه والحافظ شك فى صحة هذه الرواية عنه كما تقـدم •

وفى حديث جبير بن مطعم : حتى صار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل •

وفى حديث أنس فى الصحيحين وابن جرير ر وتقدم ــ فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما •

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٣/٨ •

وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم أن ذلك كان ليلة أربع عشرة قال : فانشق القمر نصفين ، نصفا على الصفا ، ونصفا على المروة (١) .

قال الشيخ محمد رشيد بعد جمع ما تقدم : فهذه بضعة ألفاظ يخالف بعضها بعضا وقد تكلف الحافظ في الفتح الجمع بينها فقال : يحتمل أن يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على مكان مرتفع بحيث رأى طرف جبل أبي قبيس ، ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى الى مكة فرآه كذلك وفيه بعد . والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كان قرب غروبه ، ويؤيد ذلك اسنادهم الرؤية الى جهة الجبل ويحتمل أن يكون الانشقاق وقع في أول طلوعه فان في بعض الروايات ان ذلك كان ليلة البدر ، او التعبير بأبي قبيس من تعبير بعض الرواة لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقا إحدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوي الاخر : رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين ، لأنه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلا صدق أنه بينها وأي جبل آخر كان من جهة يمينه أو يساره صدق أنها عليه أيضا (٢) .

قال الشيخ محمد رشيد بعد ايراد ما تقدم عن الحافظ : وفي هذا الجمع ضعف من جهات أغربها دعوى احتمال رؤية أبي قبيس من منى في الليل ، وناهيك بغرابة هذا القول في حال طلوع البدر من الشرق ومكة جهة الغرب من منى (٣) ؟ ثم ماذا نفعل بسائر الروايات .

---

(١) مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٥/٢٦٦ .
(٢) فتح الباري ١٨٢/١٨٣/٨ وانظر مجلة المنار م ٣٠ ص ٢٦٦ .
(٣) لان الذي ينظر الى القمر وقتئذ يكون أبو قبيس خلفه جهة الغرب فلا يتأتى ان يكون فلقة القمر فوقه .

أبو قبيس هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها وهى من جهة منى ، ويقابلة قعيقعان من غربيها وحراء هو الجبل الذى يرى فى داخل مكة ويسمى الان جبل النور ، وفيه الغار الذى كان يتعبد به النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الجهة الشمالية من مكة على يسار الذاهب منها الى منى فعرفات ، يبعد عن الطريق زهاء ميل ويبلغ إرتفاعه زهاء مائتى متر ولا يرى من منى ورواية أبى نعيم عن ابن مسعود « رأيت جبل حراء من بين فلقتى القمر » .

وأما السويداء فلا يعلم مكانها من تفسير الحافظ لها وفى معجم البلدان وكتب اللغة أنها موضع تابع للمدينة وفى المعجم أنهـا على بعد ليلتين منها ومنى أعلى من مكة والمسافة بينهما ثلاثة أميال [1] .

قال الشيخ محمد رشيد : وجملة القول أن الروايات الواردة فى كون القمر انشق وهم فى مكة لا تتفق مع الروايات المصرحـة بأنهم كانوا فى منى لان كل ماذكر فى بعضها من التفصيل والتبيان للجبلين اللذين ابهما فى البعض الآخر يفيد أنه لا يمكن أن يراهما من كان فى منى ، فقول الداودى بتناقض الروايتين ظـاهر ، وما اعتمـده الحافظ من الجمع بينهما مردود ولذلك لجأ بعضهم إلى تعدد الانشقاق وقد أبى الحافظ قبوله على أغماضة وتساهله فى الجمع بين الروايات المتعارضة الأن مدار إثباته على النقل ولم ينقل الا فى رواية ضعيفه فيها لفظ مرتين ، وقالوا : ان صوابه شقتين أو فرقتين وفاقا لسائر الروايـات .

---

(1) نص ما فى معجم البلدان : السويداء تصغير سوداء ـ موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . والسويداء بلدة فى ديار مصر ـ قريب حراق بينهما وبين بلاد الروم والسويداء قرية بحوران من نواحى دمشق معجم البلدان ٣/٢٨٦ ط بيروت وانظر المنار م ٣٠ ص ٢٦٦/٢٦٧ .

هذا تعليق الشيخ على محاولة الحافظ الجمع هنا والذى يتــأمل صنيع الحافظ فى الجمع يراه مترددا يبدى الرأى ثم يستبعده ويبدى الرأي ونقيضه • ويتمحل فى ذلك كقــوله فى رؤية أبى قبيس مــن منى : يحتمل أن يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على مكان مرتفع بحيث رأى طرف جبل أبى قبيس ، ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى إلى مكة فرآه كذلك وفيه بعد (١)•

الى آخر ما أورده من الاحتمالات المتعارضة حتى قال بعد محاولة الجمع هذه : وسيأتى فى تفسير سورة القمر من وجه آخر عن مجاهد بلفظ آخر وهو قوله : « انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهدوا ، أشهدوا » ، وليس فيه تعيين مكان (٢) •

وتعقيب الحافظ بهذه العبارة على محاولات الجمع التى أوردها تفيد بأنه يستشعر الضعف فى هذه الوجوه فى الجمع ، الأمــر الذى جعل الشيخ محمد رشيد يعبر عنه بأنه ضعيف كما ســبق مع ترجيح ما رآه الداودى بأن بين الخبرين تضادا •

والذى أراه هنا أن أصل الانشقاق حاصل برواية ابن مســعود المسندة الصحيحة وان التفاصيل الأخــرى التى حفت بالرواية ســيما رواية أنس رضى الله عنه المرسلة والتى تفيد ان الانشقاق وقع آية معجزاة طلبها كفار قريش ، ليســت ثابتــه ويرد عليهــا كثــير مــن المناقشات كما مــر •

وهذه الخلاصة هى التى يلمح إليها الحافظ بن حجر ، ويصرح بها الشيخ محمد رشيد فى هذا الموضوع والله أعلم •

(١) فتح البــارى ١٨٣/٨ •
(٢) فتح البــارى ١٨٤/٨ •

كان حديث أنس رضى الله عنه فى انشقاق القمر سببا فى اتجاه المفسرين نحوه فى تفسير آية « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ونسوق بعض ما قالوه فيها متجهين به نحو هذا الحديث ثم نعقب بترجيح الشيخ محمد رشيد فى ذلك .

قال ابن جرير الطبرى (١) فى الآية (وانشق القمر) يقول جل ثناؤه وانفلق القمر وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر آية حجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوته ، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا ، وقالوا : هذا سحر مستمر سحرنا محمد فقال جل ثناؤه : « وان يــروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » ثم ساق الأحاديث التى سبق الالمام بها ومنها حديث أنس رضى الله عنــه (٢) .

وقال ابن كثير (٣) قوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هذا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك فى الأحــاديث المتواتره بالاسانيد الصحيحة وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : « خمس قد مضين ، الروم والدخان واللزام والبطشه والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أى انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وإنه كان إحدى المعجزات الباهرات .

(١) هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى توفى سنة ٣١٠ هـ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٧/٥٠ ط ١٣٢٩ هـ .
(٣) هو ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

ثم ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك وأولها حديث أنس رضى الله عنه : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم ... [1] .

وقال الإمام الفخر الرازى فى الآية « اقتربت الساعة وانشق القمر » وهو حق لأن القمر انشق والمفسرون بأسرهم على أن المراد ان القمر انشق ، وحصل فيه الانشقاق ودلت الأخبار على حديث الانشقاق وفى الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة وقالوا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة ، فسأل ربه فشقه ومضى .

وقال بعض المفسرين : المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له [2] .

وقال أبو السعود [3] فى الآية : « اقتربت الساعة وانشق القمر » روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما : انفلق القمر فلقتين فلقة ذهبت، وفلقة بقيت ، وقال ابن مسعود : رأيت حراء بين فلقتى القمر . وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فانه ناطق بأنه قد وقع ، وأنهم قد شاهدوه [4] .

وقال القرطبى فى الآية (وانشق القمر) أى وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة (اقتربت الساعة وقد انشق القمر) بزيادة قد ، وعلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦١ ط ٤ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
(٢) التفسير الكبير ج ٢٨/٢٩ ط ٢ التزام عبد الرحمن محمد .
(٣) هو قاضى القضاه ابو السعود بن محمد العمادي الحنفي ٩٠٠ - ٩٨٢ هـ .
(٤) تفسير ابى السعود ٥/٢٣٢ الناشر مكتبة الرياض الحديثه .

هذا الجمهور من العلماء ثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضى اللـه عنهم .

وعن أنس قال : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت : اقتربت الساعة وانشق القمر — الى قوله — سـحر مستمر .

وقال قوم : لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر . اى اقتربت قيـام الساعة وانشقاق القمر ، وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره وكذا قال القشيرى ، وذكر الماوردى : أن هذا قول الجمهور وقال : لأنه اذا انشق ما بقى أحد الا رآه . لانه آية والناس فى الآيات سواء . وقال الحسن : اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية وقيل : « وانشق القمر » وضح الأمر وظهر والعرب تضربه مثلا فيما وضح .

وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه فى أثنائهـا كما يسمى الصبح فلقا ، لانفلاق الظلمة عنه .

وقوله تعالى : (وان يروا آية يعرضوا) هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر قال ابن عباس : أجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين ، نصف على أبى قبيس ، ونصف على قعيقعان ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان فعلت تؤمنوا . قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا ، فانشق

القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يافلان يافلان ، أشهدوا (١) .

وقال الالوسى فى الآية (اقتربت الساعة) اى قربت جدا (وانشق القمر) انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين • وذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين • فقد صح من رواية الشيخين وابن جرير عن أنس أن أهل مكة سألوه عليه الصلاة والسلام أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما •

قال : والأحاديث الصحيحة فى الانشقاق كثيرة وأختلف فى تواتره فقيل : هو غير متواتر • وفى شرح المواقف الشريفى ، أنه متواتر وهو الذى أختاره العلامة السبكى •

ثم ناقش الألوسى الوجوه اللغوية التى تميل بالآية الى جانب المجاز مؤيدا الاستعمال الحقيقى فى الانشقاق مع مناقشة بعض الروايات التى تفيد وقوع الانشقاق مرتين مما ألممنا به فى مبحث أختلاف متون هذه الأحاديث (٢) •

ونورد بعد هذا مارجحه مفسر فى هذا العصر من الاتجاه فى تفسير الآية نحو المجاز قال فى تفسير المراغى : (اقتربت الساعة) أى دنت الساعة التى تقوم فيها القيامة ، وقرب أنتهاء الدنيا • وهذا كقوله (أتى أمر الله ••) وقوله (اقترب للناس حسابهم) •

---

(١) الجامع لاحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى ١٢٦/١٢٥/١٧ •

(٢) انظر روح المعانى ج ٧٤/٧٣/٢٧ •

(وانشق القمر) أى وسينشق القمر ، وينفصل بعضه عن بعض حين يختل نظام هذا العالم وتبدل الأرض غير الأرض ، ونحو قوله : (اذا السماء انشقت) وقوله : (اذا الشمس كورت واذا النجوم أنكدرت) وكثير غيرها من الآيات الدالة على الاحداث الكبرى التى تكون حين خراب العالم وقرب قيام الساعة .

ويرى جمع من المفسرين أن هذا حدث قد حصل ، وان القمر صار فرقتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، فقد صح من رواية الشيخين وابن جرير عن أنس ، أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فرقة على الجبل ، وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا) ، وجاء عنه أيضا (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا سحر ابن أبى كبشة . فقال رجل : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس فجاء السفار — فأخبروهم بذلك فقالوا : رأيناه . فأنزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) .

والذى يدل على أن هذا أخبار عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماض أمور :

١ — أن الأخبار بالانشقاق أتى أثر الكلام على قرب مجىء الساعة . والظاهر تجانس الخبرين ، وأنهما خبران عن مستقبل لا عن ماضى .

٢ — أن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التى لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم . ولبلغ حدا

لا يمكن لاحد ان ينكره وصار من المحسوسات التى لا تدفع ولصار من المعجزات التى لا يسع مسلما ولاغيره إنكارها .

٣ - ما ادعى أحد من المسلمين الا من شذ أن هذه معجزة بلغت حد التواتر ، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا بل كانوا لا يعدون كثرة .

٤ - أن حذيفة بن اليمان . وهو ذلكم الصحابى الجليل خطيب الناس يوم الجمعة فى المدائن حين فتح الله فارس فقال : ألا أن الله تبارك وتعالى يقول : (اقتربت الساعة وانشق القمر) الا وان الساعة قد اقتربت ألا وأن القمر قد انشق ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق ألا وأن اليوم المضمار وغدا السباق ، الا وأن الغاية النار . والسابق من سبق الى الجنة . فهذا الكلام من حذيفة فى معرض مجىء الساعة وتوقع أحداثها لا فى كلام عن أحداث قد حصلت تأييدا للرسول وإثباتا لنبوته . لأن ذلك كان فى معرض العظة والاعتبار [1] .

ترجيح الشيخ محمد رشيد فى تفسير الآية :

بعد ما سبق بيانه من إتجاه جمهور المفسرين نحو حديث أنس وما فى معناه فى تفسير الآية ، وترجيحهم وقوع الانشقاق زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين معجزة له صلى الله عليه وسلم وآية على إثبات نبوته . نذكر ما رجحه الشيخ محمد رشيد هنا فى تفسير الآية لما لهذا التفسير والترجيح من صلة بموضوع مناقشة أحاديث انشقاق القمر .

---

(١) تفسير المراغى ط ٢ ج ٧٨/٧٦/٢٧ .

وإذا تبين أن الآية ليست نصا فى وقوع الانشقاق بالفعل زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما هو رأى بعض المفسرين الذين حملوا الانشقاق على الوقوع فى المستقبل قرب قيام الساعة فقد انحسم الجانب المهم من المناقشة فى حديث أنس رضى الله عنه لانهم أعتمدوا فى تصحيحه على هذه الآية التى تحمل معنى الانشقاق كما نراه فى صنيع المفسرين من محدثين وغيرهم فى تفسير آية سورة القمر .

وقد رجح الشيخ محمد رشيد القول بحمل الآية على معنى مجازى تساعد اللغة عليه فقال : اذا أنت رجعت الى لغة القرآن فى معاجمها لتفهم الآية منها دون هذه الروايات وجدت فى لسان العرب ما نصه « وانشق الصبح ، وشق الصبح يشق شقا اذا طلع » وفى الحديث « فلما شق الفجران أمرنا باقامة الصلاة » يقال : شق الفجر وانشق ، إذا طلع فكأنه شق موضع طلوعه وخرج منه وانشق البرق وتشقق انفلق وشقيقة البرق عقيقته وهو ما استطار منه فى الأفق وانتشر (١) .

فعلى هذا يقال : انشق القمر بمعنى طلع وانتشر نوره ، ويكون فى الآية بمعنى ظهر الحق ، ووضح كالقمر يشق الظلام وبطلوعه ليلة البدر وقال الراغب فى مفردات القرآن : (وانشق القمر) قيل انشقاقه زمن النبى عليه السلام وقيل هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة وقيل معناه وضح الأمر (٢) وهذا الأخير هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق ، لأن صيرورة القمر شقتين منفصلتين لا دخل لهما فى انذار المشركين الذى هو موضوع السورة ولم يسبق

---

(١) انظر لسان العرب ١٢/٤٨ والنهاية ٢/٢٥٠ .
(٢) مفردات القرآن ٢/٢٢٩ .

أن عد من آيات الساعة كانشقاق السماء وانفطار الكواكب فلم يبق إلا أنه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن .

والقول بأن معناه أنه سينشق عند قيام الساعة مروى عن الحسن البصرى وعن عطاء من التابعين (١) ، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضى فى القرآن كثير جدا فى أخبار الساعة والآخرة وغيرهما (٢) .

وهناك وجه ثالث أشار إليه الشيخ محمد رشيد واستبعده وهو ما ورد فى حديث أخرجه الطبرانى وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) الى قوله (مستمر) فهذه رواية ثالثة حملها بعضهم على انشقاق القمر وهو بعيد .

وانما استبعد الشيخ ذلك لعدم مساعدة اللغة عليه فالعرب لا تطلق على الكسف انشقاق ولا يقولون : انشق القمر أى كسف ، وكذلك لم يرد أن علماء الفلك يسمون كسوف القمر بانشقاقه .

وقد رجح الألوسى تفسير الآية بالمعنى الحقيقى شأنه فى ذلك شأن جمهور المفسرين ورد الوجوه اللغوية أو بعضها . وناقشه الشيخ محمد رشيد فى ذلك ونورد عبارة الألوسى أولا ثم نعقب عليها بمناقشة الشيخ .

قال الألوسى : وزعم بعضهم أن انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه وهذا كما يسمى الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه ، وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما فى قول النابغة :

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٢٦ ، وروح المعانى ٢٧/٧٤ .
(٢) انظر مجلة المنار م ٣٠ ص ٨٤/٣٧٣ .

فلمـا أديـروا ولهم دوى   دعانا عند شق الصبح داعى

وزعم آخر أن معنى انشق القمر : وضح الأمر وظهر وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ، ولا يلتفت إليه ، ولا أظن الداعى إليهما عند من يقر بالساعة التى هى أعظم من الانشقاق ويعترف بالعقائد الاسلامية التى وقع عليها الاتفاق سوى عدم ثبوت الأخبار فى وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده ، ومنشأ ذلك القصور التام ، والتمسك بشبه هى على طرف التمام • ومع هذا لا يكفر المنكر بناء على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصا فيه والاخراج من الدين أمر عظيم ، فيحتاط فيه ما لا يحتاط فى غيره والله تعالى الموفق (١) •

وناقشه الشيخ فقال : وقد فاته قول أهل اللغة : انشق البرق وانشق الصبح بمعنى طلع وبمعنى استطار نوره وانتشر فى الأفق ، ومثله القمر فى ذلك فما أنكره وسماه مزاعم هو من نصوص اللغة ، وما صرفه عنها الا اغتراره بالروايات فى كون الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا إليها • ومنشأ ذلك غفلته عن كون الحـديث فى ذلك مرسلا شاذا عن مدلس وكونه معارضا بنصوص القرآن القطعية وما يؤيدها من الأحاديث المسندة المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى كون آيته التى جعلها الله تعالى حجة نبوته ، وأمره بالتحدى بها فى جملتها تارة ، وبعشر سور مثله ، وبسورة من مثله ، وبالاحتجاج ببعض ما اشتملت عليه تارات أخرى هى القرآن وحده ، وما كان يرجو بهذا ، أن يكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة إلا لأن هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر وأقهر من كل آيات الأنبياء إجمالا وتفصيلا (٢) •

(١) انظر روح المعانى ٢٧/٧٣/٧٤ •

(٢) مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٧٣/٣٧٤ •

هذا وقد استظهر الألوسى كغيره من المفسرين ــ بأن قوله تعالى : (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) حجة على أن المراد بالآية انشقاق القمر • ورد عليه الشيخ محمد رشيد فقال : لو كان كذلك لقال : فأعرضوا وقالوا سحر مستمر • وأما الشرط فللاستقبال أو لبيان الشأن ، ولا علاقة بين انشقاق القمر ودعوى النبوة فيكون آية عليها ولفظ الآية يطلق فى القرآن على كل ما يــدل على وجــود الله ووحدانيته فى ربوبيته وألوهيته وقدرته ورحمته وحكمته وعلى ما يؤيد به رسله وأكثر ما يذكر فيه الأعراض عن الآيات فى القرآن ، يراد به هذه الدلائل ، أو آيات القرآن كقوله تعالى : (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله فى النوع الثانى : (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنهــا معرضين) •

وأما قولهم (سحر مستمر) فأول ما قالوه فى القــرآن وهــو ما حكاه عنهم فى سورة المدثر (ان هذا إلا سحر يؤثر) وهى ثالثة سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن الفاتحة أول ما نزل وفى معناها آية سبأ (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين) وآية الزخرف (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) •

وأنك لترى أوائل سورة الأنبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون • ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون الســحر وأنتم تبصرون) •

هذه خلاصة مناقشة الشيخ هنا • وهى مناقشة يتم فيها استعراض الأوجه المحتملة من قول بحمل اللفظ على حقيقته فيكون انشقاق القمر بمعنى انفلاقه الى شقتين كما هو رأى وترجيح جمهور المفسرين ، أو ميل باللفظ جهة المجاز سواء فى ذلك حمله على الاستقبال أو بمعنى طلوع القمر وشقه حجب الظلام أو بمعنى وضوح الأمر وظهوره أو بالمعنى البعيد الذى أخرجه الطبرانى وهو كسوف القمر •

وترجيح الشيخ لمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القــرآن فى تأويل الآية لا يتعارض مع مدلولات اللغة ، ومثله ورد به الاستعمال فى السنة كما سبق •

وقد قال بالمجاز فى الآية غيره كالحسن وعطاء وغيرهما كما تقدم •

والذى آراه بعد هذا البيان لاقوال المفسرين فى الآية ، أن ترجيح جانب المجاز من قبل الشيخ محمد رشيد فى الآية إنما هو للابتعاد بها عن تأييد معنى حديث أنس رضى الله عنه •

ولا يحتاج الأمر إلى هذا • فالآية ليست نصاً فيمــا يشــير إليه حديث أنس رضى الله عنه سواء قلنا فى تأويلها بالحقيقة أو بالمجاز بمعنى سينشق أو بمعنى وضوح الأمر وظهوره بآيات القرآن الكريم •

أما أنها ليست نصا فيما يشير إليه حديث أنس رضى الله عنه أو دليلا عليه فى حال حمل الآية على المجاز فواضح وأما فى حال حملها على الحقيقة ، وأن الانشقاق هو انقسام القمر الى فلقتين ، فذلــك لا يعنى أن ذلك كان بطلب مشركى مكة ، وهو الأمر الذى يحمله حديث أنس رضى الله عنه ، وهو زائد على مفهوم الآية ، وهى لاتتضمنه •

وحمل الآية على الحقيقة هو الموافق لحديث ابن مسعود المسند فى الصحيحين وغيرهما •

ومادامت الآية ليست نصا فى معنى حديث أنس المرسل فأجتهاد الشيخ محمد رشيد فى البعد بها عن المعنى الحقيقى الى المعنى المجازى ليس فى محـــله •

وما أتى به من حجج لاتساعده فى تأييد مدعاه ، لأنه لاقرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقى الا اذا قلنا بأن الآية تحمل معنى حديث أنس رضى الله عنه فتكون معارضة بمعنى الآيات السابقة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط الآيات المعترضة •

وحيث خلت الآية من هذا المعنى فلا قرينة تمنع من ارادة المعنى الحقيقى فيها وهو الموافق لحديث ابن مسعود رضى الله عنه وقـــد علمت أنه لاترد عليه هذه المناقشات التى سلفت •

وقول الشيخ محمد رشيد : أن صيرورة القمر شقتين لا دخل لها فى انذار المشركين الذى هو موضوع السورة ، هذا القول لايقبل لان حدوث ما لا يمكن لبشر الإتيان به من انشقاق القمـــر ، أكبر أنذار للمشركين المعاندين وأنه بتأييد الله له يمكن أن ينزل بهم من العقاب ما لا يمكنهم دفعه فكيف لا يكون انشقاق القمر انذارا لهم ؟ لقد كان العرب يفرقون من انذار آيات القرآن لهم ، وهى كلمات نظمت من جنس ما يتكلمون به ، أفلا يفرقون من انشقاق القمر ؟ •

حين انتدبت قريش عتبه بن ربيعة ليكلم النبى صلى الله عليه وسلم قرأ عليه آيات من سورة فصلت الى قوله تعالى « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فقال عتبة حسبك وأمسك بفيه وناشده بالرحم أن يكف ورجع إلى أهله ولم يخرج الى قريش وأحتبس عنهم خشية أن ينزل العذاب [1] •

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٩٠/٩١ ط ٤ مطبعة الاستقامة •

فاذا فهموا الانذار من الكلمة ، أفلا يفهمونه من انشقاق القمر ؟ هو انذار شديد لهم .

وأما قوله فى الآية « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » إنه لو كان كذلك لقال : فأعرضوا وقالوا : « سحر مستمر » أقول : ان التعبير بالمضارع فيه من البلاغة والفصاحة ما ليس فى الماضى لأنه لستحضار للصورة التى هم عليها ويستمر أمرهم فيها فليس فيه دليل على ما يريد الشيخ .

وبهذا يظهر أنه لاقرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقى وهو المتبادر الذى لا يعدل عنه الا بها .

وقد أشار القرآن الكريم الى أن المشركين اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم ببعض الآيات ولكنا اذا نظرنا فى تلك الآيات التى أقترحوها لم نجد من بينهما انشقاق القمــر ، على أن الآيات القرآنية التى عددت مقترحاتهم لم تفد أنهم أجيبوا الى شئ مما أقترحوه قال تعالى : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » (١).

---

(١) الاسراء الآيات من ٩٠/٩٣ .

خلاصة أحاديث انشقاق القمر

بعد هذه المناقشات المستفيضة لأحاديث انشقاق القمر عقد الشيخ محمد رشيد فصلا بين فيه خلاصة ذلك فقال :

وخلاصة القول فى أحاديث انشقاق القمـر :

١ ــ أنها آحادية لا متواترة .

٢ ــ أنها متعارضة مختلفة لا متفقة مؤتلفة .

٣ ــ أنه ليس فيها حديث مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم كالأحاديث الناطقة بخصائصه .

٤ ــ وأنه ليس فى الصحيحين منها الا حديث واحد مسند الى من صرح بأنه رأى ذلك وفيه من الاختلاف ما أشرنا إليه فى محله ولكن ليس فيه أن انشقاقه كان بطلب من كفار مكة .

٥ ــ وأن حديث أنس الذى صرح فيه بذلك مرسل والأصل فى المرسل أنه من المردود غير المقبول ، على ما فيه من التفصيل المشهور ، وروايته عندهما كلها عن قتادة بالعنعنة ، الا لفظ البخارى « عن قتادة عن أنس أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر » وقتادة كان على فضله وسعة حفظه مدلسا فيحتمل أن يكون سمع هذا الخبر عن أنس ممن لا يوثق به ، وكلمة حدثهم ليست فى قوة حدثنا وحدثنى وسمعته وما فى معناهن ، وكما يحتمل أن يكون قتادة رواه عن أنس بواسطة يحتمل أن يكون أنس سمعه ممن لا يوثق به من التابعين أيضا .

٦ — وأنه على ذلك معارض بنص القرآن وسنة الله فى الرسل وأقوامهم والحديث المرفوع المتفق عليه فى حصر آية نبوته فى القرآن كما تقــدم •

وغرضنا من هذا أن مادلت عليه الدلائل القطعية من الآيات الكثيرة والحديث المتفق عليه ، فى حصر آية نبوته فى الوحى الذى أوحاه الله تعالى اليه وهو القرآن لا تقتضى الطعن فى صدق أنس ، ولا فى صدق قتادة لما ذكرنا من الاحتمال • وهى مقدمة على مضمون حديثهما على كل حال ، بل لو وجد فيها حديث صحيح السند مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم لكانت مقدمة عليه عنــد عــدم إمكان الجمــع بينهــا وبينــه •

واذا لم يصح هذا الحديث الذى انفرد به أنس (رضى الله عنه) فى مراسيله على تقدير سماع قتادة منه فسواء عندنا أصح غيره مما رووه فى انشقاق القمر أم لا •

فان غرضنا الأول من هذا البحث كله أنه لا يوجد فيها حــديث صحيح مخالف للقرآن • لا لأجل المحاماة عن القرآن فان القرآن فوق كل شىء وكل ما خالفه فهو باطل قطعا •

وإنما غرضنا الدفاع عن أنس فقتادة ثم عمن روى عنهما ما ذكر وسكت عليه ، ولا يهمنا بعد هذا أمر من قبل الرواية وأحتج بهــا وجعلها من دلائل النبوة لغفلتهم عن هذه الحقائق القطعية (١) •

ومع هذه الشدة فى النقد ، والصراحة فيه ، فانه يلاحظ على قوله فى رقم (٣) أنه ليس فيها حديث مرفوع إلى النبى صلى الله عليه

(١) انظر مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٧١/٣٧٢ •

وسلم كالأحاديث الناطقة بخصائصه تلك الكامة فيها غلو وبعد عن الصواب فحديث ابن مسعود رضى الله عنه المتفق عليه فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أشهدوا (١) وهذا من لفظه صلى الله عليه وسلم وناطق بمطالبتهم برؤية انشقاق القمر ليشهدوا له به أو ليقروا بذلك فى مواجهة المنكرين المعاندين من غير المؤمنين وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، لم يقع لغيره مثله من الأنبياء • وإلا فما معنى خصائصه التى أختص بها صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن هذا منها ؟

وعلى كل حال فهذه الملاحظة لا تغير فى إتجاه هذه الخلاصة لأنها تنصب فى أساسها على حديث أنس المرسل ، لا على حديث ابن مسعود رضى الله عنهما لأنه خارج من دائرة هذا البحث لعدم معارضته بشىء من القرآن الكريم كحديث أنس •

وإنما كانت الحدة فى البحث والشدة فى النقد سببا فى ابداء هذه الملاحظة التى لا محل لها هنا لعدم دخولها فى إطار المناقشة التى ترسم النتيجة فى هذه الخلاصة •

خاتمة وتعقيب

وفى هذه الخاتمة نبين لماذا استقصى الشيخ هنا وأطال حتى كاد يصل الى الخطأ فيما هو بصدده ؟ ونترك الاجابة له عن هذا السؤال ليقول : أننا نختم هذا البحث بتنبيه قراء المنار لأمر عظيم الخطر والشأن وهو أن العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونيه حسية جعلت حجة على كفار مكة عندما اقترحوها ،

(١) فتح البارى ١٨٣/٨ .

وتمحلوا فى الأجوبة عن الاعتراضات العقلية الأصولية عليها ، فجاؤا بما لا يقبله العاقل المستقل ، إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية وتفنيد منكريها ، لان العوام يفهمون من إعجازها مالا يفهمون من إعجاز القرآن وقد تغير الحال فى هذا الزمان الذى كثر فيه استقلال الفكر ، ورفض التقليد فى أكثر المتعلمين ، فصارت هذه الروايات تعد طعنا فى علم المسلمين وعلمائهم ويخشى أن تعد طعنا فى الاسلام نفسه .

والحق أنها ليست من أصول الاسلام ولا من فروعه ، فأصول العقائد الاسلامية لا تثبت الا بدليل قطعى وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين والدليل القطعى اما عقلى وأما نقلى ، والنقلى هو النص القطعى الدلالة عن الله ورسوله ، والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيرورة القمر فلقتين منفصلة أحدهما عن الأخرى كما أعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخرهم الألوسى — آخرهم الشيخ أحمد مصطفى المراغى الذى رجح المجاز فى الآية على الحقيقة كما سبق — وقد بينا نحن أن دلالتها على ماذكر مرجوحة فما كانت لتخطر على بال أحد ، لولا تلك الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه وسائر الروايات ليس فيها شىء يصلح لتفسير الآية به ألا من وجه بعيد لا يعد نصا ولا ظاهرا فيه . وهو عد أنشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتبع للآيات فى انشقاق السماء وانفطار الكواكب أو الدخول فى عموم الثانى ، اذ لم يذكر القمر فى آيات الساعة الا فى قوله تعالى : (فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) (1) .

(1) انظر مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٧٥ .

تعقيب فى الثقــة بالروايات

بعد هذا البحث الذى أورده الشيخ محمد رشـــيد فى تمحيص حديث قتادة عن أنس رضى الله عنه ، وما قد يقع فى النفس مـــن زعزعة الثقة بالرواية أقول : ان من يلج هذا الباب مستكملا اسباب البحث فيه من علم بالسنة ووقوف على كتب الرجال ، وفهم الأصـــولهم فى النقد ، مع حسن نية فى الأخذ والرد ، الأمر الذى هو عماد كل عمل دينى ، لاخشية منه ولا خوف من تناوله لابحاث السنة لأنها من أكثر العلوم الاسلامية عملا فيها النقد ، وصانها البحث والتنقيب من الافتئات عليها ، او التصدى لشموخها على مر الأزمان والأجيال •

ولان الشيخ رحمه الله يدخل على السنة من بابها ، فانه لا شك يضيف الى عنصر النقد فيها بعدا جديدا ينسجم مع متطلبات العصر ، الذى يمكن أن نسمية عصر الصناعة الفكرية الى جانب كـــونه عصر الصناعة التى جابت الفضاء وبلغت الكواكب •

وأعنى بالصناعة الفكرية تلك الأبحاث والمواضيع الفكـــرية التى تتضافر عليها المدارس والعلماء مكثفين جهودهم وموجهين عزائمهم لتمضى قدما فى سبيل الوصول الى جديد فى الفكر والدين والأدب والسياسة والاقتصاد وغير ذلك مما لم يستطع الباحثون فرادى تحقيقه أو الوصول إليه •

وليست هذه دعوة الى مجاراتهم ومساندتهم فيما يهدفون إليه سواء كان صالحا أو طالحا ، بل هى دعوة الى التسلح بسلاح العصر لنرد كيد الباغى ونكبح جماح المعتدى على مقدساتنا وحرماتنا •

ولن نستطيع ذلك إلا اذا أمعنا النظر ، وأخلصنا النية ودققنا فيما يفتح الشبهات أو يثير الظنون حول السنة وسائر فـروع العلـوم الاسـلامية .

ومن هنا أورد ما قاله الشيخ حول الثقة فى الرواية بعد هـذه المناقشات المتلاحقة فى موضوع إنشقاق القمر .

قال الشيخ رحمة الله : قد يحيك فى صدور بعض الناس بعـد ما تقدم مسألة الثقة بالروايات وعدم الثقة بها ، يقول بعض الناس : اذا بطلت الثقة بهذه الروايات فى هذه المسألة على كثرتها ، بطلت الثقة بسائر روايات كتب السنة فى غيرها ؟

ونقول لهـذا القـائل :

أولا : ان تحقيق الحق بالدليل هو مقدم فى الاسلام على توثيق الرواة وتقليد العلمـاء .

ثانيا : ان كثرة هذه الروايات الى قلة يعد ما علمت من إضـطراب أسانيدها ومتونها وعللها ورب حديث واحد مروى من طـريق واحد أقوى دلالة منها ، كحديث « إنما الأعمال بالنيات » مثلا ، فجملة القول : ان عدم الثقة بها لا يقتضى عدم الثقة بغيرها ، وإنما يقتضى أن فى كل ما عدا القرآن من الكتب مسائل تحتـاج الى التمحيص مصداقا لقوله تعالى « ولو كان من عند غير اللـه لوجدوا فيه أختلافا كثيرا » .

ثالثا : أن جملة الروايات إنما تدل على أن بعض الصحابة وبعض الكفار رأوا القمر قد انشق فصار فرقتين فى لحظة من الزمان ، ولا ضرر فى تصديق ذلك مهما يكن سببه وإنما الضرر أن يجعلوه آية مقترحة جعلها الله حجة على صحة نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يجب على كل مسلم أو كافر يريد الاسلام ان يؤمن بذلك (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) (1) .

(1) انظر مجلة المنار م ٣٠ ص ٣٧٦ .

الفصل الثاني

(جـانب المتـن)

ويتضـمن هـذا الجانب ما يلي :

(أ) جهـده في جمـع الروايـات وتحريرها .

(ب) جهده في فهم الروايات ووضـعها في موضـعها واسـتنباط دلالاتهـا .

(جـ) جهـده في التوفيق بين النصوص .

ـ نبدأ بجهده في جمع الروايات وتحريرها فنقول :

« جهـده في جمـع الروايات وتحريرها »

أن جهده في هذا الجانب ينم عن شخصية علمية رحبة الآفاق ، تبحث وتستقصي وتمحص .

ومن المعلوم أن نتابع الروايات في الموضوع الواحد أمر معهود في كتب السنة وأحيانا ما تتطابق ألفاظها ، وأحيانا تتباين بالزيـادة أو النقص أو تغيير بعض الكلمات .

ولعل هذا سبب من أسباب أختلاف الفقهاء في الفروع بخاصـة وغيرها بعامة .

والامام محمد رشيد رضـا وهو ينزع نزع الأخذ من الكتاب والسنة ـ مع احترامه للائمة ومذاهبهم ـ لا يقف موقف التقليد بالأخذ برواية

واحدة تطابق ما يذهب إليه الآخذ من رأى . وإنما يتابع كل الروايات ويسير معها ويعمل فيها فكرة حتى ينتهى به الأمر الى الصواب ولو خالف فى ذلك ما كان يذهب إليه من رأى أو يسير عليه من عمل .

وعالم هذا شأنه مع نفسه فما بالك به مع غيره اذا خالف رأيهم الصواب أو عدل عن الحق ؟

ونترك الاجابة الى ما بعد البيان لتكون الحجة أوضح والقول أتم ويتناول جهدنا هنا أمرين :

(أ) جمع الروايات واستقصائها .

(ب) الموازنة والمقارنة بينهما لمعرفة مدلولاتها والأخذ بالحق فيها .

أولا : (أ) جمع واستقصاء الروايات :

والمرويات التى جمعها هنا تتناول موضوعا له أهميته ، لأنها فيما حرم الله وأحل من الطعام فى الآية الكريمة « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميته أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به » الآية (١) .

وقد أدلى فيها بدلوه ثلاثة من أئمة هذا الفن هما الحافظ بن حجر العسقلانى والمحقق المجتهد الامام الشوكانى وابن حزم ونتابعه فى ايراد النصوص أولا ثم نتبع ذلك ببيان موقف الحافظ بن حجر والامام الشوكانى منها ثم نعقب ببيان موقف الشيخ محمد رشيد فيها .

وتلك هى النصوص التى أوردها (٢) :

---

(١) الأنعام ١٤٥ .

(٢) وانظر فى هذا ايضا الدر المنثور ٣/٥٠/٥٢ ، وتفسير المنار ج ٨ عدد ٣٨ ص ١٣٤/١٣١ .

١ ـ أخرج عبد بن حميد عن طاوس قال : بأن أهل الجاهلية كانـوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء فنزلت : (قل لا أجد) الآية .

٢ ـ وأخرج عبد بن حميد وأبو داود وابن أبى حاتم وأبو الشيـخ وابن مردوية والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : كان أهـل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا . فبعث الله نبيه ، وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو منه . ثم تلا هذه الآية : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) .

٣ ـ وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية وقرأ (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) فقال : ما خـلا هذا فهو حلال .

٤ ـ وأخرج البخاري وأبو داود وابن المنذر والنحاس وأبو الشيخ عن عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن زيد : أنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر فقال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر والغفارى عندنا بالبصرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس وقرأ : (قل لا أجد فيما أوحى للى محرما) الآية .

٥ ـ وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ليس من الدواب شيء حرام الا ما حرم الله فى كتابه (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) الآيـة .

٦ ـ وأخرج سعيد بن منصور وأبو داود وابن أبى حاتم وابن مردوية عن ابن عمر أنه سئل عن أكل القنفذ فقرا (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) الآيـة .

فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة يقول : ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : خبيث من الخبائث • فقال ابن عمر : أن كان النبى صلى الله عليه وسلم قاله • فهو كما قال •

٧ — وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والنحاس وأبو الشيخ وابن مردوية عن عائشة أنها كانت اذا سئلت عن كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير تلت : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) الآية •

٨ — وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وابن المنذر وابن أبى حـاتم والطبرانى وابن مردوية عن ابن عباس أن شاة لسودة بنت زمعة ماتت فقالت : يا رسول الله : ماتت فلانه — تعنى الشـاة — قال : « فلولا أخذتم مسكها » قالت : يا رسول الله : أنأخذ مسك شاة قد ماتت ؟ فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) وإنكم لاتطعمونه وإنما تدبغونه حتى تنتفعون به • فأرسلت إليها فساختها ثم دبغته ، فأتخذت منه قربة حتى تخرقت عنـدها •

٩ — وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميته) الى آخر الآية وقال : أنما حرم من الميته ما يؤكل منها وهو اللحم ، فأما الجلد والقد والسن والعظم والشعر والصوف فهو حـلال •

١٠ — وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية اذا ذبحوا أو دجوا الدابة وأخذوا الـدم فأكلوه ، قالوا هو دم مسفوح •

١١ — وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن حاتم عن قتاده قال : حرم من الدم ما كان مسفوحا • فأما لحم يخالطه الدم فلا بأس به•

١٢ — وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله : « أو دما مسفوحا » قال — المسفوح الذى يهراق ، ولا بأس بما كان فى العروق منها •

١٣ — وأخرج ابن أبى شبيه وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال له : أكل الطحال ؟ قال : نعم • قال : ان عامتها دم • قال : أنما حــرم الله الــدم المســفوح •

١٤ — وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن أبى مجلز فى الدم يكون فى مذبح الشاه أو الدم يكون على أعالى القدر ؟ قال : لا بأس ، إنما نهى عن الدم المسفوح •

١٥ — وأخرج أبو للشيخ وابن مردوية عن ابن عمرو عائشــة قالا : لا بأس يأكل كل ذى شىء الا ما ذكر الله فى هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) الآية •

١٦ — وأخرج أبو الشيخ عن الشعبى أنه سئل عن لحم الفيل والأسد — فقال (قل لا أجد فيما أوحى الى) الآية •

١٧ — وأخرج ابن أبى شيبة وأبو الشيخ عن ابن الحنفية أنه سئل عن أكل الجريث(١) فقال : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) الآية•

١٨ — وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس أنه سئل عن ثمن الكلب والذئب والهر وأشباه ذلك فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) (٢) •

---

(١) نوع من السمك يسمى فى مصر بالثعبان وفى بلاد اخرى الانفليس.
(٢) المائدة آية ١٠١ .

كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون أشياء فلا يحرمونها وأن الله أنزل كتابا فأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما • وأنزل فى كتابه (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه ألا أن يكون ميته أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) •

١٩ ــ وأخرج ابن أبى شيبه والبخارى ومسلم والنسائى عن أبى ثعلبة قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية •

٢٠ ــ وأخرج ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم والنسائى عن ابن عمر قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر •

٢١ ــ وأخرج ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جاء فقال : أكلت الحمر • ثم جاءه جاء فقال : أفنيت الحمر فأمر مناديا فنادى فى الناس : (ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فأنها رجس ، فأكفئت القدور وأنها لتفور باللحم •

٢٢ ــ وأخرج مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى ثعلبة الخشنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى عن كل ذى ناب من السباع ، وكل ذى مخلب من الطير •

٢٣ ــ وأخرج ابن أبى شيبه والترمذى وحسنه عن جابر قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر الحمر الأنسية ولحوم البغال وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير والمجثمة والحمار الأنسى •

٢٤ — وأخرج ابن أبى شيبه والترمذى وحسنه عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم يوم خيبر كل ذى ناب من السباع وحرم المجثمة والخلسة والنهبة (١) .

٢٥ — وأخرج أبو داود والترمذى وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهرة وأكل ثمنها .

٢٦ — وأخرج أبو داود عن عبد الله بن شبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحم الضب .

٢٧ — وأخرج مالك والشافعى وابن أبى شيبة والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عمر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضب فقال : « لست آكله ولا أحرمه » .

٢٨ — وأخرج مالك والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ميمونة (وهى خالته) فأتى بضب محنوذ (٢) فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال بعض النسوة : أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد أن يأكل فقالوا هو ضب يا رسول الله فرفع يده فقلت : أحرام هو يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه « قال خالد فاجتررته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر .

(١) المجثمة بوزن المعظمة : ما ينصب من الحيوان فيرمى ويقتل . وينهى عنه لأنه تعذيب والخلسه : الفريسة تختلس من الذئب أو غيره فتموت فى يد مختلسها قبل التذكية والنهبة بالضم ما ينهب من الغنائم .
(٢) مشوى بالحجارة المحماة .

هذه جملة أحاديث جمعها (١) الشيخ – رحمه الله – فى موضوع الحصر تأييدا أو مخالفة فى الآية وهى قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميته أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فأنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم (٢) .

ويتناول البحث هنا مايلى :

(أ) صنيع البخارى رضى الله عنه فى ترجمته لهذه الأحاديث

(ب) ما رجحه الحافظ فى الفتح والعلامة الشوكانى فى نيـل الأوطـار وابن حزم فى المحلى .

(ج) ما رجحه رشيد فى هذا البـاب .

(أ) صنيع البخارى فى ترجمته لهذه الأحاديث :

ترجم الإمام البخارى رضى الله عنه لهذه الأحاديث بقوله بـاب لحوم الخيل (٣) .

وذكر فى الباب حديثين أولهما حدثنا الحميدى حدثنا (سفيان بن عيينه) – حدثنا هشـام عن فاطمة (بنت المنذر زوجة هشام وابنة عمه) عن أسماء قالت : نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلنـاه .

والثانى : حدثنا مسدد ، حدثنا حماد بن عمرو ، عن محمد بن على ، عن جابر بن عبد الله قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص فى لحوم الخيل .

---

(١) انظر تفسير المنار ص ١٣١ – ١٣٤ جـ ٨ عدد ٣٨ ط الهيئـة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الأنعـــام .

(٣) ٥/١٢/٦٩ فتح البـارى .

ويتضح من الترجمة وايراده للحديثين فى إباحة لحم الخيل أن البخارى رضى الله عنه يرى إباحة لحوم الخيل •

ولذلك قال الحافظ [1] : وقد نقل الحل بعض التابعين عن الصحابة من غير استثناء أحد ، فأخرج ابن أبى شيبه بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عطاء — لم يزل سلفك يأكلونه • قال ابن خديج • قلت له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم •

وانتقد الحافظ ما رواه ابن أبى شيبة وعبد الرازق عن ابن عباس مما يفيد القول بكراهتها بدليل استدلال ابن عباس رضى اللـه عنه بقوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما » • الآيـة على إباحة الحمر الأهلية • فان هذا ان صح مستمسكا لحل الحمر صلح للخيل ولا فرق • ورجـح رواية الإباحة عن ابن عبـاس على رواية الكراهة عندهما لضعف السند فى روايتهما •

وترجم الإمام البخـارى للباب بعده فقال بـاب لحـوم الحمر الانسية [2] وساق ثمانية أحاديث بعضها يحل وبعضها يحرم •

ونسوق منها حديثين متعارضين لتوضيح أن البخارى رضى الله عنه توقف فى ايراد الحكم هنا لتعارض الأدلة كما قاله ابن المنير •

أما ما حكاه الحافظ وعزاه لابن المنير وانتقده من توقف البخارى فى ايراد الحكم فى الباب الذى قبله « وهو باب لحوم الخيل » • فان الأمر فى هذا الباب لا يحتاج الى توقف اذ لم يورد فيه البخارى غير ما يدل على الإباحة كما تقدم •

---

(1) فتح البارى ٧٠/١٢ •
(2) فتح البارى ٧٤/١٢ •

ولعل التوقف الذى هنا إنما هو فى باب لحوم الحمر الأنسيه حيث ورد فيه ما يدل على الإباحة والحرمة • فأولى أن تجعل كلمة ابن المنير هنا لا فى الباب الذى قبله • وبذا لا نحتاج الى استدراك الحافظ •

والحديثان هما :

١ ـ قال البخارى رضى الله عنه : حدثنا سليمان بن حرب : حدثنا حماد ، عن عمرو ـ عن محمد بن على ، عن جابر بن عبد الله قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص فى لحوم الخيل (١) •

٢ ـ قال الإمام البخارى رضى الله عنه : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان قال عمرو : قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن حمر الأهلية فقال : قد كان يقول ذاك الحكم بن عمرو الغفارى عندنا بالبصرة ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس وقرأ : قل لا أجد فيما أوحي الى محرما (٢) •

(ب) ترجيح الحافظ والشوكانى نصوص التحريم :

وقد رجح الحافظ فى الفتح نصوص التحريم على نصوص الإباحة ورد على استدلال ابن عباس رضى الله عنه بالآية على الإباحة فقال : والاستدلال بها للحل إنما يتم فيما لم يأت فيه نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بتحريمه • وقد تواردت الأخبار بذلك • والتنصيص على التحريم مقدم على عموم التحليل وعلى القياس •

---

(١) فتح البارى ١٢/٧٥ •
(٢) فتح البارى ١٢/٧٦ •

وأجاب على علل المحتجين بالآية فى حديث ابن عباس من قولهم بأن النهى وقع خشية أن تذهب حمولة الناس لقلة الظهر ، أو لأنها لم تخمس أو لأنها كانت تأكل العذرة أو لأنها كانت انتهبت بحديث أنس رضى الله عنه الذى جاء فيه « فأنها رجس وكذا الأمر بغسل الأناء فى حديث سلمة قال القرطبى : قوله : فأنها رجس ظاهر فى عود الضمير على الحمر ، لأنها المتحدث عنها المأمور باكفائها من القدرور وغسلها . وهذا حكم المتنجس فيستفاد منه تحريم أكلها . وهو دال على تحريمها لعينها لا لمعنى خـــارج .

قال والتعليل بخشية قلة الظهر أجاب عنه الطحاوى بالمعارضـــة بالخيـــل ففى حديث جابر (1) النهى عن الحمر والاذن فى الخيـــل مقرونا . فلو كانت العلة لأجل الحمولة لكانت الخيل أولى بالمنع لقلتها عندهم وعزتها وشـــدة حاجتهم إليها .

وآية الأنعام مكية . وخبر التحريم متأخر جدا فهو مقدم . ونص الآية خبر عن الحكم الموجود عند نزولها . فانه يومئذ لم يكن نزل فى تحريم المأكول الا ما ذكر فيها . وليس فيها ما يمنع أن ينزل بعد ذلك غـــير ما فيهـــا .

وقد نزل بعدها فى المدينة أحكام بتحريم أشياء غير ما ذكر فيها كالخمر فى آية المائدة . وفيها أيضا تحريم ما أهل لغـــير اللـــه به والمنخنقة الخ وكتحريم السباع والحشرات .

قال النووى : قال بتحريم الحمر الأهلية أكثر العلماء من الصحابة فمن بعدهم . ولم يوجد عن أحد الصحابة فى ذلك خلافا لهم الا عن ابن عباس . وعند المالكية ثلاث روايات ثالثها الكراهة (2) .

---

(1) ورد فى الصفحة السابعة .

(2) فتح البـــارى ١٢/٧٧ .

وتبع الشوكانى (1) ابن حجر فأورد أحاديث عن أبى ثعلبة الخشنى وعن البراء بن عازب وعن ابن عمر وعن ابن أبى أوفى وعن زاهر الأسلمى وغيرهم فى النهى عن لحوم الحمر الأهلية .

ثم أورد حديث ابن عباس الذى يرويه عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن زيد يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحمر الأهلية قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس وقرأ : « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما » الآية وقد سبقت روايته عن الإمام البخارى .

وأورد نقولا فى ذلك عن الحافظ فى تأييد التحريم وتضعيف نصوص الإباحة بما لا يخرج عما ذكرناه عن الحافظ فى ذلك (2) .

ترجيح ابن حزم فى المسألة :

ذكر ابن حزم أنه نقل تحريم الحمر الأهلية عن النبى صلى الله عليه وسلم عن طريق تسعة من الصحابة بأسانيد كالشمس ، فهو نقل متواتر لا يسع أحد خلافه . ثم قال : فان ذكر ذاكر أن ابن عباس أباحها ، قلنا : لا حجة فى أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف وابن عباس قد أخبر أنه متوقف فيها . فقد روى البخارى عنه أنه قال : لا أدرى أنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان حمولة الناس ، فكره أن تذهب حمولتهم ، أو حرم فى يوم خيبر لحم الحمر الأهلية (3) .

---

(1) نيل الأوطار ٨/٢٨١ ط دار الجيل — بيروت .
(2) ٨/٢٨٣ .
(3) انظر فتح البارى ١٢/١٧ فى الرواية عن ابن عباس بالتردد .

وان ذكروا أن عائشة رضى الله عنها أحلتها ، واحتجت بقـوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما ... » قلنا لم يبلغها التحريم، ولو بلغها لقالت به ، كما فعلت فى الغراب ، فقد حرمته مع أنه ليس مذكوراً فى الآية (١) .

أقول : قال الحافظ تعقيبا على رواية تردد ابن عباس . وهـذا التردد أصح من الخبر الذى جاء عنه بالجزم بالعلة المذكورة ولم يذكر الحافظ علة ترجيح رواية التردد على روايـة الجـزم وكلاهما فى الصحيح .

(ج) ترجيح الشيخ رشيد فى ذلك نصوص الاباحة :

لخص الشيخ ما قاله الحافظ فى المسألة ثم قال : وعلم منه أن عمدة الجازمين بالتحريم حديث أنس المعلل له بأنها رجس .

ونقول : ان هذا التعليل هو الراجح المختار عندنا ، ولكنه بمعنى حديث غالب بن أبحر قال : أصابتنا سنة فلم يكن فى مالى ما أطعم أهلى الا سمان حمر . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أنك حرمت لحوم الحمر الأهلية ، وقد أصابتنا سنة قال : « أطعم أهلك من سمين حمرك فانما حرمتها من أجل جوال القرية (٢) . قال الحافظ فى الفتح : اسناده ضعيف والمتن شاذ مخالف الأحاديث الصحيحة .

فهذا الحديث بمعنى حديث أنس لا بالمعنى الذى رووه وجعلوه شـاذا بمخالفته اذ فسروا وصفهـا بالرجس بأنها نجسـة العـين

---

(١) المحلى لابن حزم ج ٧/٤٠٦/٤٠٧ (المطبعة الكستلية) .

(٢) رواه ابو داود فى سننه ٢/٣٢١ والجوال يعنى الجلالة التى تاكل العـذرة .

كالخنزير بالمعنى الفقهى النجاسة وهو ما يجب غسله شرعاً ، ويمنع صحة الصلاة اذا كان فى بدن المصلى أو ثوبه .

فحديث غالب بن أبجر يفسر كونها رجسا بأنها كانت فى خيبر تأكل العذرة وغيرها من النجاسات . وبذلك فسر بعض المدققين كالبيضاوى كون الخنزير رجسا أيضا ولكن الخنزير ملازم للاقذار دائم التغذى منها . وأما الحمر فانما كان ذلك أمرا عارضا لها كما يعرض لغيرها من الدواجن كالدجـــاج .

فجوال من قوله صلى الله عليه وسلم : إنما حرمتها من أجـــل جوال القرية « جمع جاله كهوام جمع هامة ودواب جمع دابة . وهى الجلالة التى تأكل العذرة فيخبث لحمها وقد صح النهى عنها . وفسره الشافعية وغيرهم بتحريمها تحريما عارضا مؤقتا ، أى مادام لحمها ولبنها متغيرا من النجاسة بالنتن وتغير الرائحة . وهذا هو العمدة كما جزم به النووى فى الروضة تبعا للرافعى .

وقيل : هى ما كان أكثر علفها نجسا . فحديث أنس (١) شاهد يقوى حديث غالب بن أبجر لأنه بمعناه لا معارض له ، فيجعل شاذا بمخالفته اياه . فلا يضره لضطرابه سنده مع عدم الطعن برجاله .

وحديث أم نصير المحاربية يقوى ، ما ذكرناه ، بتعليله حل لحوم الحمر بكونها تأكل الكلأ وورق الشجر . أى لا النجاسة . فالحديثان

---

(١) هو ما رواه الامام البخارى قال : حدثنا محمد بن سلام : اخبرنا عبد الوهاب الثقفى ، عن أيوب ، عن محمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فقال : أكلت الحمر . ثم جاءه جاء فقال : أكلت الحمر ثم جاءه جاء فقال : أفنيت الحمر ، فأمر مناديا فى الناس : ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فانها رجس فأكفئت القدور وانها تفور باللحم . فتح البارى ١٤/٧٦ .

متفقان فى المعنى مع حديث أنس الذى هو عمدة القائلين بتحـريم الحمر •

وأنما يجمع بين هذه الأحاديث وبين الآية بل الآيات القطعيـة اللفظ والدلالة على الإباحة بأن التحريم كان عارضا مؤقتا ، فيقتصر على وجود العلة فى كل زمان ومكان ويباح فى سائر الأحوال ، على الأصل ومقتضى النص القطعى •

وهذا لا يمنع صحة تعليل بعض الصحابة إياه بقلة الظهر أى ما يحمل عليه فأنه كان سبب النهى فى حديث أنس وتلاه قوله : فانها رجس • وما قيل من معارضته بحل الخيل مردود بأن المراد بالحاجة الى الحمل هى المتاع من الغنائم وغيرها ولم تكن الخيل تستعمل لهذا أو لا تفى به • وقد صرحوا بأنها كانت عزيزة وقتئذ •

ولو كانت الحمير نجسة العين شرعا ، اورد ذلك صريحا من أول الاسلام • وتوفرت دواعى نقله ، وتواتر العمل بمقتضاه •

واكفاء القدور وغسلها لو لم يكن للرجس العارض من أكلها للعذرة لتعين أن يكون لمحض النظافة — كما يفعل جميع الناس فى جميع القدور التى يطبخون فيها لحوم الأنعـام وغيرها من الطيبات فانهم يغسلونها بعد فراغهـا •

أما قول الحافظ بأن الآية مكية بينت ما كان محرما وقت نزولها • وليس فيها ما يمنع تحريم غيره بعدها • كتحـريم الخمر والمنخنقة والموقودة الخ • فهو غفلة وقع فيها كثير من الحفاظ والمفسرين والفقهاء وجل من لا ينسى ولا يخطى •

الآية أكدتها آية مكية بعدها فى سورة النحل (١) وآية مدنية فى سورة البقرة (٢) وتحريم الخمر ليس زائدا على مفهوم الآية — لأن الآية فى الأطعمة والأغذية • وبهذا يرد على من أورد على الحصر أكل النجاسات والسموم • فان هذه ليست أطعمة فتدخل فى عموم الآية وكذلك الخمر •

والمنخنقة وما عطف عليها فى آية المائدة من الميتة • وأما تحريم السباع والحشرات فليس فى القرآن • وماورد فى السنة منه فهو موضوع البحث كالحمر الانسية (٣) ومن غرائب السهو ذكر الحافظ أن ما أهل به لغير الله مما حرم بعدها وهو فيها •

وقد أورد الامام الفخر الرازى (٤) عند تفسير وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (٥) المسألة فقال : بعد ايراد بعض مسائلها وشرح مقرراتها : « اذا ثبت هذا فنقول : قوله تعالى « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر يفيد تخصيص هذه الحرمة بهم » (باليهود) من وجهين : الأول ان قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا) كذا وكذا يفيد الحصر فى اللغة • والثانى أنه لو كانت هذه الحرمة ثابتة فى حق الكل لم يبق لقوله : وعلى الذين هادوا حرمنا فائدة • فثبت أن تحريم السباع ، وذوى المخلب من الطير مختص باليهود ، فوجب أن لا تكون

---

(١) هى قوله تعالى : انما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ١١٥ .

(٢) هى قوله تعالى : انما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ١٧٣ .

(٣) انظر تفسير المنار جـ ٨ عدد ٣٨ ص ١٣٦ — ١٣٨ .

(٤) التفسير الكبير ٢٢٣/١٣ ط المطبعة البهيه المصرية ١٩٣٨ .

(٥) الأنعــام ١٤٦ .

محرمة على المسلمين ، فصارت هذه الآية دالة على (اباحة) (١) هذه الحيوانات على المسلمين • وعند هذا نقول : ماروى أنه صلى اللـه عليه وسلم حرم كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيـور ضعيف ، لأنه خبر واحد على خلاف كتاب الله تعالى — فوجب أن لا يكون مقبولا • وعلى هذا التقدير يقوى قول مالك فى هذه المسألة •

وتعقبه الشيخ محمد رشيد رحمه الله فقال : ان تضعيفه الحديث مع صحة روايته فى الصحيحين (٢) وغيرهما إنما هو من جهة المتن ، وقد قالوا : ان من علامة وضع الحديث مخالفته للقرآن وكل ما هو قطعى • وهذا أنما يصار إليه اذا تعذر الجمع بين الحـديث الظنى والقرآن القطعى • وقد جمعنا بينهما بحمل النهى على الكراهة فى حال الأختيار ، وهو مذهب مالك (٣) رضى الله عنه •

ورغم أن اتجاه الرازى فى الآية وفى تضعيف الحديث يؤيد ما يريد الشيخ تقريره فى هذه المسألة الا أنه لم يرتض مسلك الرازى فى تضعيف الحديث لأنه ثابت فى الصحيحين وقام بتوجيه المسألة وجمع بين الآية والحديث بما يحفظ للصحيح مكانته وللآية حكمها الذى تـدل عليـه •

ولم يبتعد فى ذلك عن مسلك المحدثين ومنهم الامام مالك رضى الله عنه كما فعل الامام الرازى فى التوجيه مبتعدا عن أصول المحدثين •

فالنهى عن كل ذى ناب •••• « الكراهة لا للتحريم » • على أن هذا الحديث كان غير معروف عند علماء الحديث فى الحجاز • ولو حرم

---

(١) ليست فى الأصل والسياق يقتضيها •
(٢) انظر فتح البـارى ١٢/٧٥ •
(٣) تفسير المنـار جـ ٨ عدد ٣٨ ص ١٥٠ — ١٥١ •

تحريما قطعيا فى غزوة مشهورة لنقل بالتواتر • ففى الصحيحين من رواية ابن شهاب الزهرى أنه لم يسمع هذا النهى فى الحجاز ، حتى اذا جاء الشام سمعه من أبى ادريس الخولانى • وفى بعض طرقه مالك وأورد نص الحديث من طريق مالك هنا — قال الامام البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب عن أبى ادريس الخولانى عن أبى ثعلبة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع (١) •

وفى رواية ابن عيينة فى الطب أيضا عن الزهرى قال : ولم أسمعه حتى أتيت الشام ولمسلم من رواية يونس عن الزهرى : ولم أسمع ذلك من علمائنا بالحجاز حتى حدثنى أبو ادريس وكان من فقهاء أهل الشام •

ويكفى فى هذا أن الحديث الذى أقتصر عليه الامام البخارى فى الباب روى من طريق مالك الذى يقول بالكراهة » فى أشهر الروايات عنه (٢) •

والظاهر أن سبب حمله النهى على الكراهة الآيات واستباحة أهل المدينة لأكل السباع اذ كان يحتج بعملهم فى مثل هذا •

وقد ناقش الشيخ رشيد رحمه الله الأحاديث التى صرحت بالتحريم فقال : أما حديث أبى هريرة الذى انفرد به مسلم بلفظ « فأكله حرام » فيحتمل أنه من الرواية بالمعنى أى أنه فهم من النهى التحريم فعبر به• وهذا كثير فى أحاديثه لكثرة مراسيله •

---

(١) فتح البارى ١٢/٧٨ •
(٢) انظر المصدر السابق •

ومما يعل به الحديث بعض الفقهاء أن يكون راويه فقيها ومذهبه مخالف لروايته فالحنفيه يرون أنه لو لم يكن يرى أن الحديث لا يحتج به لما خالفه وناهيك بمثل الامام مالك فى علم الحديث وفقهه وهو من رواته •

وحديث جابر والعرباض المصرحان بالتحريم ليسا صحيحين ، وانما حسنا لموافقتهما الأحاديث الصحيحين ولا سيما حديث أبى هريرة • على أنهما قالا : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا • فالظاهر أنه تعبير عما فهما من كون النهى للتحريم فليس له قوة المرفوع •

وقد علم من سائر الروايات الواردة فيما نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر أن الصحابة قد أختلفوا فى هذا النهى فذهب بعضهم الى أنه عارض مؤقت وفهم آخرون أنه قطعى فالمسألة خلافية [1] •

قال الحافظ : قال الترمذى : العمل على هذا عند أهل العلم • وعن بعضهم أنه لا يحرم ، وحكى ابن وهب وابن عبد الحكم عن مالك كالجمهور • وقال ابن العربى : المشهور عنه الكراهة • وقال ابن عبد البر : أختلف فيه على ابن عباس وعائشة • وجابر عن ابن عمر من وجه ضعيف وهو قول الشعبى وسعيد بن جبير (يعنى عدم التحريم) وأحتجوا بعموم (قل لا أجد) والجواب أنها مكية وحديث التحريم بعد الهجرة [2] •

---

(1) تفسير المنار جـ ٨ عدد ٣٨ ص ١٣٨ •

(2) المصدر السابق عدد ٣٨ ص ١٣٨ وانظر عارضة الأحوذى ٢٧٢/٦ •

وعن بعضهم أن آية الانعام خاصة ببهيمة الانعام ، لأنه تقدم قبلها حكاية عن الجاهلية ، أنهم كانوا يحرمون أشياء من الأرواح الثمانية بآرائهم فنزلت الآية (قل لا أجد فيما أوحى الي محرما) أى من المذكورات الا الميته والدم المسفوح • ولا يرد كون لحم الخنزير ذكر معها ، لأنها قرنت به علة تحريمه وهو كونه نجسا (١) •

وزاد امام الحرمين أغرابا فنقل عن الشافعى أنه يقول بخصوص السبب اذا وردت مثل هذه القصة • لأنه لم يجعل الآية حاصرة لما يحرم من المأكولات مع ورود صيغة العموم فيها • وذلك أنها وردت فى الكفـــار الذين يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ويحرمون كثيرا مما أباحه الشرع ، فكان الغرض من الآية ، ابانه حالهم ، وأنهم يضادون الحق فكأنه قيل : لاحرام الا من (ما) حالتموه مبالغة فى الرد عليهم •

وحكى القرطبى عن قوم : أن آية الأنعام المذكورة نزلت فى حجة الوداع فتكون ناسخه ، ورد بأنها مكية كما صرح به كثير من العلماء ويؤيده ما تقدم قبلها من الآيات من الـــرد على مشركى العـــرب فى تحريمهم ما حرموه من الأنعام ، وتخصيصهم بعض ذلك بآلهتهم الى غير ذلك مما سبق الرد عليهم • وذلك كله قبل الهجرة الى المدينة (٢) •

وقد أجاب على هذه الاحتمالات الشيخ رحمه الله فقال : بعد أن وصفها بالسقوط على جلالة قائليها الذين يقلدون ويتركون العام بالكتاب والسنة بالاستقلال والانصاف ، بزعم أن مشايخهم وأئمتهم أحاطوا

---

(١) تفسير المنار جـ ٨ عدد ٣٨ ص ١٣٩ •

(٢) انظر المصـــدر السابق •

بكل شيء عاما حتى فيما خالفهم فيه أمثالهم من المجتهدين ومن فوقهم من الصحابة والتابعين •

قال : ولسنا نسقطه بنظريات أجتهادية من عند أنفسنا ، وأنما نسقطه بما غفلوا عنه من كتاب الله تعالى عند البحث فى تأييد مذهبهم والاحتجاج له — وذلك أظهر مواضع العبرة — وهو ما أشرنا إليه من أن آية الأنعام قد تقرر مضمون الحصر فيها فى آية النحل المكية (١٦ — ١١٥) وآية البقرة المدنية بالاجماع • والخطاب فى هذه للمؤمنين حتما • فلا يصح فيها شىء من التأويلات التى نقلها الحافظ آنفا على علاتها • ولعله لولا نصر المذهب لما نسى الحافظ هذا عند النقل ، ولا تأييد الفخر الرازى للحصر فيها ورده على الجمهور (١) — وهذا نص آية سورة البقرة والآية التى قبلها فى خطاب المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم أياه تعبدون • إنما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) (٢) •

فلفظ إنما يفيد الحصر ، ولا يأتى فيه شىء من التأويلات التى تكلفوها فى آية الأنعام التى نحن بصدد تفسيرها • حتى جعلوا العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، على عكس القاعدة الأصولية المشهور التى يؤيد جريانها فى الآية تفسير ابن عباس وغيره من علماء الصحابة (٣) •

---

(١) يعنى الحصر فى الآية (وعلى الذين هادوا حرمنا) التى سبقت .
(٢) البقرة ١٧٢ — ١٧٣ •
(٣) تفسير المنار ج ٨ ص ١٣٩ .

احتجـــاج لا يتم

وقد أورد الامام الفخر الرازى فى تقرير ما ذهب إليه من أن الحصر فى الآية هو الحكم المستقر فى الشريعة من أولها الى آخرها ما نصه : ومن السؤالات الضعيفة أن كثيرا من الفقهاء خصصوا عموم الآية بما نقل أنه عليه الصلاة والسلام قال : (ما استخبثه العرب فهو حرام) وقد علم أن الذى يستخبثه العرب فهو غير مضبوط ، فسيد العرب بل سيد العالمين محمد صلوات الله عليه لما رآهم يأكلون الضب قال : يعافه طبعى • ثم أن هذا الاستقذار ما صار سببا لتحريم الضب وأما سائر العرب فمنهم من لا يستقذر شيئا ، وقد يختلفون فى بعض الأشياء فيستقذرها قوم ويستطيبها آخرون • فعلمنا أن أمر الاستقذار غير مضبوط • بل هو مختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، فكيف يجوز نسخ هذا النص القاطع بهذا الأمر الذى ليس له ضابط معين ولا قانون معلوم (١) •

هذه قضية أثارها الامام الرازى • وقد أجتهد فى الرد معتمدا على أن النبى صلى الله عليه وسلم عافت نفسه أكل الضب ولم يحرمه لهذا السبب • فهو يعارض الحديث بالحديث ، ولا يضع جوابا لهما ، بل ينتقل منه الى الاستدلال العقلى على قضيته بأن تحكيم الطبع فى إثبات الحل أو الحرمة يختلف من شخص لآخر • فلا ضابط يحدد المسألة ، فلا يجوز نسخ الآية بهذا الأمر الذى ليس له ضابط • وإنما أثبت هذا النص للامام الرازى ومناقشته له ، وأثبت مناقشة الشيخ رشيد فى نفس المسألة لأبين مدى قرب كل منهما أو بعده من السنة مع الاحاطة فى المناقشة والالمام بالنصوص •

---

(١) انظر التفسير الكبير ط ١ ٣/٢٢٢ المطبعة البهية المصريه •

وقد ناقش الشيخ رشيد رحمه الله الموضوع فقال : أن الحديث الذى ذكره الرازى فى تحريم ما استخبثته العرب لا أصل له (١) .

وذلك جواب محدث يعمل القواعد الحديثية ليلقى الضوء على تعارض حديثين أحدهما يثبت تحريم ما تعافه النفس والآخر لا يثبت تحريمها . وهى القضية التى أثارها الامام الرازى ولم يذكر لها جوابا .

أما الشيخ رشيد رحمه الله فان أجابته تمضى على قواعد المحدثين لأن الحديث غير ثابت فلا يعارض ما هو ثابت فى الصحيح .

ولذلك لم يلتفت فى مناقشته الجواب العقلى الذى أورده الامام الرازى فعدم ثبوت الحديث يغنى عن المناقشة .

ولأنه عالم يقدم النصوص أورد فى المناقشة نصا يتصل بالمعنى فقال : لم يبق لأصحاب هذا القول مستند الا مفهوم الأمر بأكل الطيبات واحلالها . وقوله تعالى فى اليهود الذين يؤمنون بالنبى عليه الصلاة والسلام : ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (٢) .

أما الأول فهو مفهوم مخالفة منع الاحتجاج به الحنفية وبعض الشافعية مطلقا . وبمفهوم الصفة منه كالطيبات هنا آخرون من المالكية والشافعية وبعض أئمة اللغة كالاخفش وابن فارس وابن جنى .

---

(١) لم أجده فى شىء من كتب السنه المعتمدة وقد أورده الرازى ولم يذكر له سندا ولم ينسبه الى مصدر معروف . أنظر المصدر السابق .

(٢) الأعراف ١٥٧ .

واشترط المحتجون به شروطا لا تتحقق هنا ، أقواها ألا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم . وقد عارضته هنا الآيات القطعية . على أن كل ما أباحه الشرع يجب أن يكون من الطيبات .

وأما الثانى : فمعناه : يحل لهم الطيبات التى كانت حرمت عليهم عقوبة لهم على ظلمهم . ويحرم عليهم الخبائث فقط . وهى ما كانوا يستحلونه من أكل أموال الناس بالباطل بالربا وغيره وما كان خبيثا من الطعام كلحم الخنزير كما تقدم لنا .

وهذا هو المروى عن ابن عباس فى تفسيرها . والخبيث يطلق على المحرم وعلى القبيح والردىء ، وبهذا فسر قوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) (١) وكل محرم خبيث وما كل خبيث بمحرم ، فقد صح فى الحديث تسمية الثوم والبصل بالشجرتين الخبيثتين وأكلهما مباح بالنص والاجماع . وفى الحديث اطلاق كلمة خبيث على مهر البغى وثمن الكلب وكسب الحجام . وهذا الأخير مكروه لا محرم (٢) .

فقد أشتملت مناقشته رحمه الله هنا على ما يلى :

١ ــ رد الحديث لأنه لا أصل له فلا تعارض .

٢ ــ مناقشة الآيات التى أباحت الطيبات لأن مفهوم مخالفتها يحرم الخبائث كقوله تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما فى الإرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدوا مبين » (٣). وما يحمل هذا المعنى من الآيات الكريمة . والجواب على ذلك .

---

(١) البقــرة ٢٦٧ .
(٢) تفسير المنار جـ ٨ ص ١٤٦ عدد ٣٨ .
(٣) البقــرة ١٦٨ .

٣ ـ مناقشة الآية الكريمة « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث»
وبيان المراد بالخبيث هنا مع ايراد نصوص للسنة التى أطلق فيها
اللفظ على المكروه والمباح أيضا .

تلك هى أسس المناقشة التى بنى عليها قوله بتهافت كل ماورد
على الحصر فى الآية هنـا .

وهى مناقشة تقوم على أسس نقلية متينة ، لا تتلمس مساندة
حوار عقلى لها كما فعل الامام الرازى ، لأن مالها من أساس ، لا يستطيع
العقل وحده محاورته أورده مهما بلغ هذا العقل . بل تعتمد الصحيح
من النصوص التى لا تعارض القواعد العلمية المعروفة لدى علمـاء
الحديث . مع إحاطة تامة بالمذاهب الفقهيـة وأصـولها . وتدقق فى
الاستشهاد على الاستعمال اللغوى للألفاظ بآيات الكتاب والسنة .

كما أن مناقشة الامام الرازى للنص هنا أحدثت تعارضا بين نصين
فى نظر القارىء على حين أنه لا تعارض لعدم صحة الحديث الذى دار
النقاش حوله كما بين ذلك الشيخ رشيد ـ رحمه الله فى مناقشته .

ان هذا الدين عام لكل زمان ومكان . وهذا العموم فيه أوجب أن
تتسع أحكامه وتتعمق ليجد فيها المؤمن ما يرفع عنه العنت ويزيل عنه
المشقة فى كل زمان ومكان أيضا .

ونترك الأمر هنا لطبع يحل أو يحرم ، أو لرأى يشرع ويتحكم هو
العنت المرفوع عن المؤمنين قال تعالى : « وأعلموا أن فيكم رسول الله
لـو يطيعـكم فى كثـير من الأمـر لـعنتم » (١) وإنمـا هو نص
واتبـاع . وفى النص ما يغنى ، وفى الاتبـاع النـور والهـداية .

(١) الحجـرات ٧ .

ولهذا يزيد الشيخ رشيد الامر بيانا فيقول : ولتذكروا أن هذا التشدد فى التحريم يضيق على أكثر الناس وهم الفقراء والمعوزين لأمر معيشتهم والتوسع فى أصل الاباحة ينفعهم ولا يضر غيرهم من المترفين والموسرين . كما يراعى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الزبير قال : سألت جابرا عن الضب فقال : لا تطعموه وقذره وقال : قال عمر بن الخطاب ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يحرمه ، ان الله ينفع به غير واحد ، وإنما طعام عامة الرعاء منه ، ولو كان عندى طعمته (١) .

(احـــتراز ضرورى)

اذا ثبت أن الحكم هو ما أفادته الآية ، وأن ما يعارضها من الأحاديث الصحيحة فى النهى عن الطعام غير الأنواع الأربعـــة التى حصرت الآية محرمات الطعام فيها ، فالنهى أما الكراهة وإما مؤقت لعلة عارضة كما تقدم فى لحم الحمير وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا ثبت هذا فلابد أن نحترز عن أمر خطير قد ينشأ فى الذهن من رد حكم السنة فى هذه القضية أو تأويله .

ولا أوضح من عبارة الشيخ رشيد رحمه الله هنا حيث يقول : وليس مراد من رد تلك الأحاديث بآية الانعام من الصحابة وغيرهم أنه لا يقبل تحريم ما حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن

---

(١) تفسير المنار ج ٨ عدد ٣٨ ص ١٤٧ وانظره فى صحيح مسلم تحت رقم ١٩٥٠/٣/١٥٤٥ تحقيق فؤاد عبد الباقى ط دار احياء التراث العربى .

منصوصا فى القرآن بل معناه أنه لا يمكن أن يحرم صلى الله عايه وسلم شيئا جاء نص القرآن المؤكد بحله • واعتبر هذا بما أخرجه أحمد وأبو داود عن عيسى ابن نميله الغزارى عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر فسئل عن أكل القنفذ فتلا هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة يقول : ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « خبيثه من الخبائث » فقال ابن عمر : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو ، كما قال : « فقوله : ان كان ، مشعر بشكه فيه ، وأنه لن فرض أنه قاله وجب قبوله لأن الله أمر باتباعه • ولكن بمعنى أنه خبيث غير محرم كالثوم والبصل ، على أن الحديث ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر فى بلوغ المرام (١) •

فالسنة متى ثبتت ولم يكن لها ما يعارضها وتحدد مدلولها على الأصول التى يعرفها العلماء وجب قبولها والعمل بها لمن يؤمن بالله واليــوم الآخر •

ويجدر أن أبين هنا زيف ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله (٢) فهو معنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع أو بلغ الغاية فى الضعف •

---

(١) انظر تفسير المنار جـ ٨ عدد ٣٨ ص ١٤٣ والحديث قال فيــه البيهقى لم يرو الا من ضعيف وقال الخطابى ليس أسناده بذلك وله طرق . سبل السلام ط الحلبى ٤/٧٧ •

(٢) انظر الرسالة ط ١ مصطفى الحلبى بمصر بتحقيق الشيخ احمــد شــاكر ص ٢٢٤ •

والصحيح هنا ما رواه الامام الشافعى حيث قال : أخبرنا سفيان عن سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله سمع عبيد الله بن أبى رافع يحدث عن أبيه أن رسول الله قال : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه — فيقول: لا أدرى ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه (١) .

قال ابن القيم : فى قوله تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » (٢) أجمع الناس على أن الرد الى الله سبحانه هو الرد الى كتابه . والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه فى حياته والى سنته بعد وفاته (٣) .

ثم عقد ابن القيم بعد ذلك فصلا طويلا بعنوان : السنة واجبة الاتباع ولو زائدة على ما فى القرآن وعد من ذلك حديث : لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ، وتوريث بنت الابن السدس مع البنت ، واستبراء المسبية بحيضة ، ومن قتل قتيلا فله سلبه ، وقضاؤه صلى الله عليه وسلم بأن أعيان بنى الأبوين يتوارثون دون بنى العلات الى أن قال ولو تتبعنا هذا لطال جدا (٤) .

---

(١) الرسالة ط ١ بتحقيق الشيخ شاكر ط مصطفى الحلبى ص ٨٨ قال المحقق : رواه ابو داود ٤/٣٢٩ وابن ماجه (٦ والترمذى ٢/١١٠/١١١) ط بولاق وقال الترمذى حسن وفى بعض النسخ حسن صحيح ورواه الحاكم ١/١٠٨/١٠٩ وقال : وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه احمد فى المسند ٦/٨ باسناد صحيح ليست له علة .

(٢) النساء ٥٩ .

(٣) اعلام الموقعين ١/٤٩ ط ١ مطبعة السعادة ت محيى الدين عبد الحميد .

(٤) المصدر السابق ٢/٢٨٩ .

وزيادة فى الاستظهار على هذا بنص ما تقدم من آيات القرآن الكريم نورد ما أورده الشيخ رحمه الله من نصوص السنة قال : أما السنة فكحديث أبى الدرداء المرفوع عند البزار وقال سنده صالح والحاكم وصححه : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً وتلا (وما كان ربك نسيا) (١) .

وحديث أبى ثعلبه الخشنى عند الدارقطنى مرفوعا : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها « حسنه الحافظ أبو بكر السمعانى فى أماليه والنووى فى الأربعين » (٢) .

وخلاصة الأمر أن آية الأنعام محكمة لم يطرأ عليها نسخ أو تخصيص ، وهى أصل الشريعة فيما يحل ويحرم من الطعام كما فهمها حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنه وغيره من علماء الصحابة ، وأنها مؤيدة بآية النحل فى قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » (٣) وبآية مدنية فى سورة البقرة (٤).

وأن ماورد من الحديث فى النهى عن غير ذلك يحمل على الكراهة كما هو مذهب الامام مالك فى أشهر الروايات عنه .

---

(١) مريم ٦٤ .
(٢) تفسير المنار ج ٨ عدد ٣٨ ص ١٤٩ .
(٣) الآية ١١٥ .
(٤) الآية ١٧٣ .

وأن مبحث الشيخ هذا يوضح مدى قربه من النص قرآنا وسنة وأهتدائه الى الصــواب فى أقامة الحجة ودفع الشبهة ، لســعة علمه وأطــلاعه .

وساعده على ذلك اخــلاص النية الذى هو أساس الفلاح فى دين الله . هــذا الى تجرد من الهــوى أو الميل لمذهب أو رأي الأمر الذى كثيرا ما يكون سببا في البعد عن الصواب والله أعلم .

الفصل الثالث

(جهده فى فهم الروايات ووضعها فى موضعها

الامام محمد رشيد رحمه الله ــ عالم عايش القرآن الكريم دراسة وتأملا وذابت فيه نفسه فتشبعت بروح القرآن الكريم • وهو فى مدارسته ملتزم كل الالتزام باللغة التى نزل بها هذا الكتاب وكان على فقــه واســع بها •

ومن هذين المنطلقين كان جهده فى فهم نصوص الأحاديث فهمـا لا يتعارض مع القرآن الكريم ــ ولا يتعارض مع أساليب اللغة •

وينتهى به فهمه الى وضع النص فى موضعه الذى ينبغى أن يكون فيه لا يتعداه لاستخراج دلالته والوقوف على معناه • ليصبح مفهوم النص منهجا علميا ودليلا قويا على القضية التى يستدل به عليها • فيما هو بصدد البحث فيه والاستدلال عليه •

وهو فى هذا مستقل الفكر لا يقلد اذا أدى به التقليد الى الخطأ بل يعمل فكره ويستوفى جهده فى أستكمال موضوعه ليصل الى الحق فيما هو بصدد البحث فيه والاستدلال عليه •

وساعده ذهن صاف ، وفكر مستنير ، وقلب ملىء بالاخلاص على أصابة الحق وسداد الرأى •

ولم يشغله عن الحق تعصب لمذهب أو أنتصار لأحد لأن الحق عنده فوق المذاهب وأربابها اذا لم يكن الحق فى جانبها •

ومن هنا انتقد مفسرين كبيرين ورد ماذهبا إليه من الاستشــهاد بحديث لاتتراءى ناراهما • لدى تفسير قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » (١) •

وهذان المفسران هما الزمخشرى والبيضاوى ، اللذان فسرا الولاية بالمؤاخاة والمصافاة وحسن المعاشرة •

ويحسن أن نثبت عبارة كل منهما بهذا الصدد لتوضيح فهم كل منهما لمعنى الولاية فى الآية مع التعقيب بتفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى الذى ارتضاه الشيخ محمد رشيد مع بيان وجهه نظره ومناقشته لهمـا •

وعبـارة الزمخشرى (٢) :

« لا تتخـذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخـونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين » ، ثم علل النهى بقوله : « بعضهم أولياء بعض » أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحـاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر ، فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ؟

« ومن يتولهم منكم فانه » من جملتهم وحكمه حكمهم ، وهـذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتتراءى ناراهما •

وعبارة البيضاوى (٣) فى تفسير النهى عن اتخاذهم أوليـاء :

---

(١) المـائدة ٥١ •

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجه التأويل ٦١٩/١ مصطفى الحلبى •

(٣) انظر حاشية الشهاب على تفسير البيضـاوى ٢٥٢/٣ هـ دار صادر بيروت •

فلا تعتمدوا عليهم ، ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب (بعضهم أولياء بعض) ايماء الى علة النهى ، أى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا ، لاتحادهم فى الدين وأجتماعهم على مضادتكم « ومن يتولهم منكم فانه منهم » أى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم. وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « لاتتراءى ناراهما » .

وواضح أن البيضاوى تبع الزمخشرى فى هذا ونقل عنه الا أن عبارة الزمخشرى جمعت بين الخطأ والصواب فالصواب منها قوله : لاتتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم والخطأ ما تدل عليه العبارة بعد ذلك مع الخطأ فى الاستشهاد هنا بالحديث عند كل منهما .

ولم تشر عبارة البيضاوى الى الصواب الا بالتلميح لا بالتصريح وهو قوله : فلا تعتمدوا عليهم ، والاعتماد عليهم يكون بالاستنصار بهم وبغيره وهذا ما جعل الشيخ رشيد يعلق بقوله : فاستحقت عبارة البيضاوى من اللوم فوق ما تستحقه عبارة الزمخشرى (١) .

والحق فى ذلك هو ما ذهب إليه شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى حيث قال والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : ان الله تعالى ذكر نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله . وأخبر أنه من أتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله فانه منهم فى التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين . وإن الله ورسوله منه بريئان (٢) .

---

(١) تفسير المنار ٦/٣٥٣ .

(٢) تفسير الطبرى ٥/٢٧٦ ط ٣ مصطفى الحلبى ١٩٦٨ .

فالولاية التى نهى الله عنها هى ولاية النصرة والمحالفة على أهل الايمان على ما ذهب إليه شيخ المفسرين لا ولاية المساكنة والمعاشرة وحسن المعاملة التى يشير إليها كل من الزمخشرى والبيضاوى فيمـا ذهبا إليـــه من تفسير الآية .

ويشكل فى تفسير الآية ويزيد الأمر التباسا الاســتشهاد بحيث « لاتتراءى ناراهما » فى تفسيرها .

لان معناه اذا أوقد كل منهما نارا قد تلمح أحداها من جانب الاخرى الأمر الذى يتعارض مع نصوص الكتاب والسنة .

وهذا ماحدا بالشيخ محمد رشيد — رحمه الله — الى انتقاد وضع الحديث هنا من تفسير الآية وعقب على وضع الزمخشرى والبيضاوى له هنا بأن كلاهما قليل البضاعة فى الحديث .

ويتوجه نقده لفهمهما من جانبين :

الأول : أن الحديث ورد فى وجوب الهجرة من أرض المشركين الى النبى صلى الله عليه وسلم لنصرته ، وليس فيه ما يوجب الهجـرة من أرض اليهود والنصارى .

الثانى : أن الحديث فى أصح رواياته مرســل . والاحتجـاج بالمرســل فيه الخلاف المشهور فى علم الأصول .

قال رحمه الله : حديث لاتتراءى ناراهما ، رواه أهل السنن ، أما أبو داود فرواه من حديث جرير بن عبد الله ، وذكر أن جماعة لم يذكروا جريرا أى رووه مرسلا . وهو الذى اقتصر عليه النســائى ، وأخرجه

الترمذى مرسلا • وقال : وهذا أصح • ونقل عن البخارى تصحيح المرسل • ولكنه لم يخرجه في صحيحه ، ولا هو على شرطه •

ولفظ الحديث : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود • فأسرع فيهم القتل • فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم • فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين • قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال : لاتتراءى ناراهما » فجعل لهم نصف الدية وهم مسلمون «لأنهم أعانوا على أنفسهم وأسقطوا نصف حقهم باقامتهم بين المشركين المحاربين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وشدد فى مثل هذه الاقامة التى يترتب عليها القعود عن نصر الله ورسوله والله تعالى يقول : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » •

فنفى تعالى ولاية المسلمين غير المهاجرين اذ كانت الهجرة واجبة فالأن ينفى ولاية اليهود والنصارى — وقد كانوا محاربين — أولى •

فذكر هذا الحديث فى تفسير هذه الآية لا يصح وضعه فى الموضع الذى وضعه الزمخشرى والبيضاوى • وانما يناسبه ما قلنا آنفا (١) •

فالحديث لا يدل اذا صح الاحتياج به على عدم معاشرة الكتابى والاقامة معه وان كان ذا ذمة أو عهد لا خوف من الاقامة معه ولا خطر

---

(١) تفسير المنار ١٥٠/٦ وانظر سنن ابى داود وحاشية عون المعبود ٣٤٨/٢/٣٤٩ بمعنى تصحيح البخارى للمرسل اى قال بأن الحديث مرسل لا متصل •

وقد كان اليهود يقيمون مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع الصحابه فى المدينة يعاملونهم بالمساواة التامة •

وعاتب على رضى الله عنه عمر ، لأنه خاطبه بكنيته فى خصومة بينه وبين يهــودى على أن الحديث ورد فى المشركين لا فى أهــل الكتاب وقد أبيح لنا طعام أهل الكتاب والتزويج منهم دون المشركين وهو تعالى يقول فى حكمة الزوجية وسرها « وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) •

أن تقصى الرواية والاتيان بها كاملة مع الدراية بدرجتها وحسن الفهم لمدلولها أساس يرتكز عليه من يشتغل بالسنة ليؤدى به هذا الى وضع النص فى موضعه لا يتعداه ولا يتجاوزه •

وهذا هو ما فعله الشيخ رحمه الله ، فأهتدى بهذا الى الاستدراك على الزمخشرى والبيضاوى استشادهما بالحديث فى غير موضــعه ، فالتبس عليهما فهم الآية والوصول الى الصواب فيها •

والصولب فيها هو أن الولاية هى ولاية النصرة ومخالفة الأعداء كما ذهب إليه شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى • لا ولاية النصرة والمساكنه والمعاشرة كما تشير اليه عبارة الزمخشرى والبيضاوى على أختلاف تعبير كل منهما عن ذلك فجمعا بين الخطــأ والصــواب فى عبارتهما وان الحديث « لاتتراءى ناراهما » ليس هذا موضعه كمــا بين الشيخ رحمه الله — لأنه فى النهى عن الإقامة بين أظهر المشركين حين كانت الهجرة واجبة لنصرة الله ورسوله • وليس لأهل الكتب —

(١) الروم الآيــة ٢١ •

اذا كانوا مسالمين غير محاربين ــ صلة بهذا المعنى • لأن الحديث مرسل فى أصح رواياته والاحتجاج بالمرسل فيه الخلاف المعروف فى علم الاصول •

ونكتفى بهذا النموذج ــ ومثله كثير فى تفسير المنار لمن أراد الاستزاده ــ لما فيه من دلالة واضحة على جهد فى تقصى الرواية كاملة مع الدراية بدرجتها وحسن فهمه وتوجيهه لمدلولها فهما اعانه على تقرير وجه الحق والصواب وهو شاهد على دعوانا والله أعلم •

الفصل الرابع

(جهده فى التوفيق بين النصوص)

قضية التوفيق بين النصوص قضية شـغلت الفكر الاسـلامى قديما وحديثا ومازالت ولأمر ما أنزل الله كتابه ، وجعل منه المحكم والمتشابه ، وأمر برد المتشابه الى المحكم •

وكذلك كانت سنة نبيه صلى اللـه عليه وسلم منها المحـكم ومنها المتشابه ، والحكم فيه رده الى المحكم كما هو الحـكم فى متشـابه القرآن الكريم •

وقد يعرض بعد هذا من الشبه ما يجعل بعض النصوص تعارض البعض الآخر في الظاهر ، فاذا لم يكن هناك نسخ طرأ على المتقدم منها او أختلاف فى الحكم لسبب كأن يكون أحد النصين عزيمة والآخر رخصة أو يكون الحكم مختلفا بسبب تغير الحـال من الاختيـار الى الاضطرار ، أو يكون أحد النصين مقيدا بزمن محدد •••• فأن الأمر يحتاج الى فكر وأعما ذهن مع معرفة بالنصوص وإحاطة بمدلولاتها لرد المتشابه الى المحكم وحمل المطلق على المقيـد ، وترجيح أحـد النصين على الآخـر •

ومن هؤلاء الذين ضربوا بسهم فى هذا المضمار شيخنا رحمـه الله فهو من الافراد الذين منحهم الله من فضله الأمر الذى يحتـاج الى مزيد من التأمل لنقف عليه •

ويتناول جهده هنا أمرين :

(أ) جهده فى التوفيق بين نصوص الكتاب والسنة .

(ب) جهده فى التوفيق بين نصوص السنة بعضها مع بعض .

ونبدأ بالاول وهو جهده فى التوفيق بين الكتاب والسـنة .

ونسوق لهذا نموذجا فى التوفيق بين قوله تعالى : فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (١) .

وبين ماورد من الأحاديث فى قتال الترك والحبشه ومنها :

« اتركوا الترك ما تركوكم . فان أول من يسـلب أمتى ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء » (٢) .

وحديث : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فانه لا يستخرج كنز الكعبة الا ذو السويقتين من الحبشه .

والأول من الحديثين رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والصغير عن عبد الله بن مسعود . قال الهيثمى : فيه مروان بن سالم متروك وقال : فيه عثمان بن يحيى القرقساوى لم أعرفه . وبقية رجـاله رجـال الصحيح .

وقال السمهورى انما هو فى سند الكبير أما الأوسط والصغير فاسنادهما حسن ورجالهما موثقون .

وقد اقتصر السيوطى (٣) على عزوه للطبرانى فى الكبير ، ممـا جعل العلامة المناوى يقول فى : تعقبه : وبه يعرف أن اقتصار المؤلف على العزو للكبير غير جيد .

---

(١) التـوبة ٥ .
(٢) قنطوراء جارية ابراهيم أو زوجه ومنها الترك والديلم .
(٣) فى الجامع الصغير .

وكيفما كان لم يصب ابن الجوزى حيث حكم بوضعه • وقد جمع الضياء فيه جزءا (١) •

وحديث الحبشة رواه أبو داود والحاكم فى الفتن ، وكذا البيهقى عن ابن عمرو بن العاص وصححه السيوطى اغترارا بتصحيح الحاكم وهو وهم : فقد أعله الحافظ عبد الحق بأن فيه زهير بن محمد شيخ أبى داود — كان سىء الحفظ لا يحتج بحديثه (٢) •

وقد تردد العلماء فى حكم الآية هل هو من المحكم او المنسوخ •

وهل وقع النسخ لها بالقرآن أم السنة ؟

روى ابن جرير الطبرى قال : حدثنا أحمد بن اسحاق قال : حدثنا أبو أحمد قال : حدثنا سفيان عن جوديبر عن الضحاك : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء (٣) •

قال : حدثنا سفيان عن السدى مثله •

وقال آخرون بل نسخ قوله : فاقتلوا المشركين قوله : فاما منا بعد واما فداء •

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عبده بن سليمان ، عن ابن أبى عروبة عن قتادة حتى لذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق (٤) نسخها قوله : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (٥) •

---

(١) انظر فيض القدير — دار المعرفة بيروت ١١٧/١ •
(٢) المصدر السابق ١١٨/١ •
(٣ — ٤) محمد ٤ —٥ •
(٥) التوبة ٤ وانظر فى ذلك تفسير الطبرى ١٤٠/١٤ ت محمد شاكر ط دار المعارف بمصر •

وهذا وبعد ايراد هذين الرأيين رجح ابن جرير الطبرى عـدم وقوع النسخ فى الآية • قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال : ليس ذلك بمنسوخ • وقد دللنا على أن معنى النسخ • هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره •

ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال ، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ، ولا على وجه المن عليهم •

فاذا كان ذلك كذلك ، وكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم • وذلك من يوم بدر كان معلومـا أن معنى الآيـة : فاقتلوا المشركـين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المن او الفداء ، واحصروهم • واذا كان معناه ، صح ما قلنا فى ذلك دون غيره (١) •

هذا عن نسخ الآية بالقرآن فأما عن نسخها بالسنة فقد أختلفوا فى ذلك أيضا فقال بعضهم وعزاه الألوسى للجمهور : ان الآية تـدل بعمومها على جواز قتال الترك والحبشة كأنه قيل : اقتلوا الـكفار مطلقـا (٢) •

وتوضيحا لهذه العبارة قال الشيخ محمد رشيد : يعنون أنها ناسخه او مخصصة لحديث « اتركوا الترك ••• الخ الحديث » •

والصواب أن لفظه أو مخصصة حشو يبهم المعنى ولا يوضحه ، لأن الآية عامة والحديث خاص فلا معنى لتخصيص الخاص بالعـام

---

(١) تفسير الطبرى ١٤/١٤٠ •
(٢) تفسير روح المعانى ٣/٢٧٣ ط المطبعة الكبرى الميرية سنه ١٣٠١هـ.

لأن العكس هو الذى يقع • فكان ينبغى أن يوضح العبـارة وهى : فاقتلوا المشركين مطلقا • بقوله يعنون • أنها ناسخة لحديث كذا (١) •

فالآية ناسخة للحديث فيما ذهب إليه الجمهور •

وذهب الخطابى الى أن الآية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصا لعموم الآية •

وقال الطيبى : فيحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضـعف الاسلام • والخلاصة أن الآية اما أن تكون ناسخة للحديث أو يكون الحديث مخصصا لعموم الآية •

ويجمع الشيخ رحمه الله — بين الآية والحديث فيقول : قد غفل هؤلاء الذين حاولوا الجمع بين الحديث والآية عن كـون الآية فى مشركى العرب الذين لا عهد لهم والذين نبذت عهودهم وضرب لهم موعد الأربعة الأشهر ، والحبشة نصارى من أهل الكتاب نزل فيهم قوله تعالى : « ولتجـدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالـوا انا نصارى » (٢) ومن المجمع عليه التفرقة بين المشركين وأهل الكتاب ، والترك كانوا وثنيين عند نزول هذه الآيات كمشركى العرب • ولكنهم لا يدخلون فى عموم الآية •

ثم إن الأمر بترك قتال الترك والحبشة جاء تحـذيرا من بدئهم بالقتال ، لما علم النبى صلى الله عليه وسلم أن خطرا على العـرب وبلادهم سيقع منهم • والأمر بقتال مشركى العرب فى هذه الآيـات مبنى على كونهم هم الذين بدأوا المسلمين ونكثوا عهودهم قال تعالى :

---

(١) انظر تفسير المنار جـ ١٠ عدد ٥١ ص ١٥٠ •
(٢) التـوبة ٨٢ •

(ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة) (1) وعلى كون قتلهم كافة جزاء بالمثل كما قال : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (2) فكيف يدخل وثنيوا الترك ونصارى الحبشة فى عموم هؤلاء المشركين الموصوفين بما ذكر حتى يحتاج الى الجمع بين الآية والأحاديث المذكورة (3) .

فلا تعارض بين الآية والأحاديث هنا وبالتالى لاحاجة الى الجمع بينهما . وقد سبق تقرير الصواب فى أن الآية محكمه غير منسوخه كما ذهب إليه ورجحه ابن جرير الطبرى .

وتلميح الشيخ رشيد رحمه الله الى سبب تحذير النبى صلى الله عليه وسلم من حرب الترك والحبشة وعدم بدئهم بالقتال لما فى ذلك من الخطر عليهم هو الذى ينسجم مع أدب الاسلام وحكمه فى قتال المشركين . ولذلك عقب رحمه الله على هذه الاقوال ومحاولة الجمع فقال : ولولا أن هؤلاء المفسرين وشراح الأحاديث ينظرون فى كتاب الله وحديث رسوله من وراء حجب المذاهب الفقهية لما وقعوا فى أمثال هذه الأغلاط الواضحة (4) .

---

(1) التوبة ١٣ .
(2) التوبة ٣٦ .
(3) تفسير المنار ج ١٠ عدد ٥١ ص ١٥١ .
(4) انظر تفسير المنار ج١٠ عدد ٥١ ص ١٥١ .

(التوفيــق بين نصــوص السـنة)

والتوفيق هنا أهم من أن يكون بين نص من نصوص السنة وآخر يعارضه أو بين نص من هذه النصوص وواقع عملى يعارض هــذا النص ٠

ونسوق النموذج التــالى لتوضيح ذلك وهو نموذج يجمــع بين الأمــرين :

روى الامام مسلم بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال : ان الله زوى لى الأرض ــ فرأيت مشارقها ومغاربها ٠ وان أمتى ســيبلغ ملــكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والأبيض (١) وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة (٢) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (٣) وان ربى قال : يا محمد ، انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ٠ وأنى اعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يســتبيح بيضتهم ٠ ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ٠ ويسبى بعضهم بعضا (٤) ٠

وروى مسلم بسنده عن عامر بن سعيد عن بيــه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية ٠ حتى اذا مــر

---

(١) اى الذهب والفضة والمراد كنزى كسرى وقيصر ٠
(٢) اى بقحط يعمهم ٠
(٣) اى جماعتهم وأصلهم اى عدوا يستأصلهم ٠
(٤) ، (٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٨/١٧١، ١٧٢ ٠

بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا • ثم أنصرف الينا فقال : سألت ربى ثلاث فأعطانى اثنين ومنعنى واحدة • سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها • وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم • فمنعنيها (١) •

وأورد ابن كثير جملة من الأحاديث (٢) منها قال الامام أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدى عن مالك عن عبد الله بن عبد الله ابن جابر بن عتيق عن جابر بن عتيق أنه قال : جاءنا عبد الله ابن عمر فى قرية بنى معاوية (قرية من قرى الأنصار) فقال لى : هل تدرى أين صلى رسول الله صلى عليه وسلم فى مسجدكم ؟ فقلت نعم : فأشرت الى ناحية منه • فقال : هل تدرى ما الثلاث التى دعاهن فيه ؟ فقلت : نعم • فقال : أخبرنى بهن • فقلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم • ولا يهلكهم بالسنين — فأعطيهما • ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها •

قال : صدقت • فلايزال الهرج (٣) الى يوم القيامة • ليس هو فى شىء من الكتب والسنة واسناده جيد قوى ولله الحمد والمنة •

وذلك عند تفسير قوله تعالى « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (٤) •

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧١/٨/١٧٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٤٢/٢ ط دار احياء التراث العربى — بيروت ١٩٦٩ .

(٣) اى القتل .

(٤) الانعام ٦٥ .

وقد استشكل العلماء هذه الأحاديث بما ورد من الأحاديث المتعددة والطرق المختلفة فى اثبات وقوع الخسف والمسخ والقذف فى هذه الأمة كالحديث الصحيح الذى رواه الامام أحمد بسنده عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى خسف ومسخ وقذف (1) •

وأمثل ما أجابوا به عنها هو : أن ما دعا به النبى صلى الله عليه وسلم إنما هو عدم هلاك أمته كلها بما ذكر ، كما هلكت عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم • ووقوع شىء من ذلك فى بعض الأمة ، لا ينافى استجابة الدعاء فان منه الموت غرقا أو جوعا وقد وقع الكثير حتما •

وهنا استشكل الشيخ رحمه الله بما وقع من تسلط أعداء هـذه الأمة عليها الأمر الذى وردت الأحاديث الصحيحة بما ينافيه كما فى حديث ثوبان الذى تقدم فيه وأن لا أسلط عليهم عدوا من سـوى أنفسـهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها •

وهذا الذى وقع من تسليط أعداء الأمة عليها ينافى استجابة الله لنبيه ، فقد استولى أعداء الاسـلام على بلاد المسلمين •

وأجـاب الشيخ عن هذا الاستشكال بقوله :

ان الله تعالى لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يسـتبيح بيضتهم ماداموا متمسكين بعروة الايمان ، وقائمين بحقوقه • ومنها

---

(1) مسند احمد ٤١/١٠ ت الشيخ احمد شاكر وقال اسناده صحيح •

الأسباب التى وعدهم الله تعالى النصر ماداموا متمسكين بها .
وقد بينها لهم فى كتابه (1) .

والخلاصة هنا أن التعارض الظاهرى فى نصوص السنة تسهل الاجابة فيه بفهم النصين فهما يزيل الالتباس مع معرفة سنن الله فى بلوغ النصر الذى يمنحه لعباده اذا هم سلكوا سبيله ، وعرفوا طريقه كما اهتدى الشيخ رحمه الله الى هذه السنة فى رفع التعارض بين الحديث والواقع العلمى فى الحياة والله أعلم .

---

(1) أنظر تفسير المنار جـ ٧ ص ٤١٣ .

(خاتمـــة البحث)

تثبت فيما يلى نتائج هذا البحث ، ليكون مختصرا لما اشتمل عليه الكتاب ، وعجالة يقف عليها من لايفى وقته للاطلاع •

وأول ما يوصل إليه البحث ، هو الحاجة المستمرة الى زيادة الابحاث فى السنة وكثرة تناول مسائلها ودواوينها ، والاطلاع على ما يكتبه أعداؤها لزغزعة قلوب العامة •

وبث الشكوك حول رواة السنة وحفاظها • ومقابلة هذه الأهداف منهم بدارسة ما عندنا دراسة مستفيضه تكشف عن تضليل هؤلاء ، وترد سهامهم التى يوجهونها الى السنة فى نحورهم •

وقد تبين أن أعداء السنة لاسند لهم فى محـــاربتها ، ســـوى التحريف فى النصوص وسوء الفهم لمدلولها ، وبتر النص عن مقدمته أو خاتمته ، أو نسبته الى غير قائله اذا لزم ذلك للوصول بالنص الى ما يريدون •

وأن كوكبة كبيرة من أعـــداء السنة لمسوا فشلهم بأيديهم ومنهم كثير من المستشرقين الذين أصبحوا لا يرون فى أبحاث جولد زيهر عن السنة سوى مرحلة من البحث إنتهى وقتها وذلك بعد الاطلاع على رد بعض علماء المسلمين على مزاعمهم بأسلوب علمى لا يمكنهم جحده أو معارضته •

وقد تبين لى من خلال البحث والمحاورات التى جرت بين الشيخ محمد رشـــيد وبعض معاصريه ، أن أساليب البحث العلمى اذا تمكن فى المحاورات الحديثية ، فسوف تكون النتيجة هى الاتفاق لا الافتراق فيما يعرض من مسائل حديثية ، لأن أبحاث الحديث ومروياته وعلومه دونت تدوينا يقطع الشك ويقضى على الريب ، ولا يقع خلاف فى ذلك الا حيث تغيب بعض الأصول المرعية فى أبحاث هذا العلم .

والبحث فى هذا العلم دين ، فينبغى أن تكون هذه الأبحـــاث مصحوبة باخلاص النية ليعين الله الباحث ، ويسدد سعيه ، أما من يبحثون بقصد التشكيك وتضليل غيرهم ، فيكفيهم فشــل ســعيهم، وسوء عاقبتهم .

وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه فى تصحيح الحديث ، لا يخشاه الا من ضعفت ثقته فيما لدينا من جهودهم فى ذلك ففى باب التراجم وحدها نصف مليون ترجمة لرجال الرواية والحديث .

أن التاريخ يضعف عن تصوير حياة أفراد قلائل على مر العصور . بينما سجل علماء السنة خلال جيل أو جيلين أو ثلاثة تراجم لهــذا العدد الضخم من رواة الحديث الأمر الذى يعد مفخرة للرجال الذين قاموا بهذا العمل ، وانما أتوا بما أتوا به لأنهم عبدوا اللــه بعملهم فأعانهم ، وهيأ لهم الرشد والصواب . فلا خشية من فتح بـــاب الاجتهاد مادامت الوسائل مكتملة ، ومادام البحث يسير فى الاتجـــاه العلمى الصحيح .

لقد تبين لى أن أبحاث السنة من أكثر المواد حـــاجة للدراســـة والفهم وأعمال الفكر ، وسعة المقارنة والتدقيق ، وكلما أعملنا هـــذه

القواعد كلما زادت قناعتنا بضخامة جهود السلف فى خدمة سـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد أراد الله ألا يقطع فضله ، فأبقى لكل جيل بل لكل فرد يعيش فى هذه الحياة ما يمكنه عمله فى خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رغب فى ذلـك ، وتوجهت نفسه السـير فى هـذا الطريق •

ان تقدم الأبحاث الفكرية ، وتكاثف الجهود العلمية فى العصر الحاضر جعلت من الفكر صناعة لها أصول كالصناعات المادية ، لذا نرى بعض الجهود فى هـذه المدارس تنجح فى اخراج بعض الأعمـال الحديثية كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، وهذا العمل ينوء به جهد فرد أو أفراد ، والنجاح فيه يحتاج إلى مدارس متخصصة تتبنى مثل هذه المشروعات وتحتضنها لتؤدى عملا له أهمية فى خدمة السنة (1)•

وقد تنبه أستاذى فضيلة الدكتور / موسى شاهين لاشين لمثـل هذا العمل الجماعى فتبنى مشروع تحقيق مسند أحمد فى الدراسات العليا بكلية أصول الدين ، وأرجو أن يثمر المشروع ثمرته فى أحياء وتحقيق دواوين السنة سيما ما لم يطبع منها •

فتضافر الجهود وقيام المدارس الحديثية هو ما يقتضيه حـال العصر الذى أصبح يتقدم بسرعة هائلة • ولا يكفى أن يقوم بأبحاث

---

(1) قام بترتيب ونظم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أ . ى . ونسنك برعاية الاتحاد الاممى للمجامع العلمية وقد فهرس الكتاب لألفاظ حديث الكتب الستة ومسند احمد وسنن الدارمى وموطأ مالك ويقع الكتاب فى سبعة مجلدات ضخمة •

الحديث أفراد ذوى جهود موزعة ، بل لابد من عمل جماعى اذا أردنا أحياء تراثنا والاستفادة منه على أوسع نطاق فى مجال السنة .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والسنة النبوية هى المصدر الثانى ، فلهذا ينبغى دراسة النص الحديثى قريبا من دراسة النص القرآنى فى موضوعه لئلا يقع التخالف أو التعارض اذا درس كل منهما بعيدا عن الآخر ، وليس هذا لأن السنة لا تستقل بالتشريع . فاستقلالها بالتشريع فيما لم يأت فيه نص من القرآن ، ثابت قرره العلماء وبينوه . ولكن لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يقول ما يعارض القرآن الكريم .

وينبغى أن يدرس النص من السنة ومن القرآن الكريم فى الموضوع الواحد مع الالمام بالنسخ ، والمتقدم والمتأخر من النصين فيهما إذا كان هناك تعارض .

وقد تبين لى أن هذه المواقف التى اتخذها المبشرون والمستشرقون من السنة ونقدها ومحاولة التشكيك فيها وزعزعة قواعدها ، زادت من النشاط العلمى الحديثى لرد هذه المزاعم ، ودحض هذه المفتريات ، وبالتالى تمكنت السنة فى نفوس أهلها ، وزادوا استمساكا بها وعناية بموضوعاتها ، الأمر الذى كان من أسباب قيام هذه النهضة الحديثية فى هذا العصر ، وهذا هو رد الفعل المعاكس لحركة أعداء السنة ، فى الاتجاه ، مما حفظ السنة ورد عنها الزيغ والضلال .

(مراجــع البحث)

نثبت فيما يلى أهم المراجع التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث وقد رجعنا لأكثر من طبعة فى بعض الكتب نظرا لظروف اعداد الرسالة فى أكثر من بلــد .

١ ــ **القــرآن الــكريم .**

٢ ــ **الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة .**

للزركشى ط المجمع العلمى بدمشق .

٣ ــ **اختلاف العلماء لابن المنــذر .**

(مخطوط) بدار الكتب القطرية .

٤ ــ **أضــواء على السنة المحمدية لمحمود أبى رية .**

ط دار المعــارف .

٥ ــ **الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفســير للدكتور محمــد أبو شــهبة .**

ط مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

٦ ــ **اسعاف المبطا برجال الموطا للحافظ السيوطى .**

ط دار أحياء الكتب العربية بمصر .

٧ ــ **الاســماء والصــفات للبيهقى .**

ط دار أحيــاء التراث العربى ــ بيروت .

٨ – الاســلام والتجديد فى مصر تأليف تشارلز أدمز ترجمة عباس العقــاد .
مطبعــة الاعتمــاد .

٩ – أعــلام الموقعين لابن القيم .
ط شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١٠– الاعلام لخير الدين الزركلى .
ط ٢ ١٩٥٤ م

١١– الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى .
ط دمشق ١٣٤٩ هـ

١٢– الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى .
طبع المطبعة الشرقية ١٩٠٧ م .

١٣ – الالماع للقاضى عياض تحقيق السيد أحمد صقر .
ط دار التراث .

١٤– ألفيــة الســيوطى .

١٥– الأم للامــام الشــافعى .
ط بــولاق ١٣٢١ هـ .

١٦– الأنوار الكاشفة لعبد الرحمن المعلمى اليمانى .
ط المكتبــة السلفية .

١٧– أبو هريرة رواية الاســلام لمحمد عجاج الخطيب .
سلسلة أعــلام العــرب .

١٨– أوربا والاسلام للدكتور عبد الحليم محمود .
ط الثقافة الاســلامية .

١٩ ـ الباعث الحثيث شرح أختصار علوم الحديث للحـافظ لابن كثير تأليف الشـيخ أحمـد شـاكر .

٢٠ـ بدائع الفـوائد لابن القيم .
ط دار الكتـاب العربى ـ بيروت .

٢١ـ البداية والنهاية لابن كثير .
مطبعة السـعادة بالقـاهرة .

٢٢ـ بلوغ المـرام لابن حجر العسقلانى .
ط الحلبى .

٢٣ـ تاريخ الاستاذ الامـام لمحمـد رشيد رضـا .
ط المنـار .

٢٤ـ تاريخ بغـداد للخطيب البغدادى .
ط مصر ١٩٣١ .

٢٥ـ تـاريخ دمشـق لابن عساكر .
(مخطوط) دار الكتب المصرية التيموية رقم ١٠٤١ .

٢٦ـ تـاريخ الطبرى لابن جرير الطبرى .
ط دار المعـارف .

٢٧ـ تاريخ العرب الحديث والمعاصر للدكتور أحمد عزت وآخرين .
مطبعـة مخيمر .

٢٨ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
ط بيروت ١٩٧٢ .

٢٩ـ التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت .
ط مجمع البحوث الاسـلامية بالقـاهرة .

٣٠ـ تدريب الراوى للسيوطى .
ط ٢ دار الكتب الحديثة .
٣١ـ تحفـــة الاشراف للحافظ المزى .
ط الهنــد .
٣٢ـ تذكــرة الحفــاظ للحافظ الذهبى .
ط الهنــد .
٣٣ـ ترجمة الأستاذ الامام محمد رشــيد رضــا (مخطوط) بقلم : صديقه الاستاذ محمد عزة دروزة (محفوظ عند المؤلف) .
٣٤ـ تفسير الألوسى .
ط دار الطباعة المنيرية .
٣٥ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير .
ط دار الأندلس بيروت ط ٤ مطبعة الاستقامة .
٣٦ـ تفسير أبى الســـعود لأبى السعود محمد العمادى الحنفى .
ط مكتبة الرياض الحديثة .
٣٧ـ تفسير الطبرى لابن جرير الطبرى .
ط الحلبى ١٩٦٨ .
٣٨ـ التفسير الكبير للفخر الرازى .
ط المطبعة البهية ١٩٣٨ .
٣٩ـ تفسير المنــار لمحمد رشيد رضــا .
مطبعــة الشــعب .
٤٠ـ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى .
مطبعــة الســعادة .

٤١ـ **تقدمة الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى •**
ط الهنـــد ١٩٥٢ •

٤٢ـ **تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى •**
ط دار المعرفة ــ بيروت •

٤٣ـ **التقييد والايضاح تحقيق عبد الرحيم محمد عثمان •**
ط المكتبة السلفية بالمدينة المنوره •

٤٤ـ **تنوير الحـــالك للسيوطى •**
مطبعة دار أحياء الكتب العربية •

٤٥ـ **تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر •**
ط الهنـــد •

٤٦ـ **توجيــــه النظر للجزائرى •**
ط ١ •

٤٧ـ **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ــ جمع محمد خلف •**
مطبعة الانجلو الامريكية •

٤٨ـ **جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر •**
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة •

٤٩ـ **جامع البيـــان عن تأويل أى القرآن لصديق حســـن خان •**
ط ٣ •

٥٠ـ **الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى •**
ط دار الكتب المصرية •

٥١ـ **جمال الدين القاسمى وعصره لظافر القاسمى •**
ط دمشـــق •

٥٢ـ الجـرح والتعـديل لابن أبى حاتم الرازى .
ط الهنـد ١٣٧١ هـ .

٥٣ـ جمهرة أنساب العرب لابى محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى.
ط دار المعـارف بمصر .

٥٤ـ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لابن القرشى .
ط الهنـد ١٣٣٢ .

٥٥ـ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى .
ط دار صـادر ـ بيروت .

٥٦ـ حاضر العالم الاسلامى للأمير شكيب ارسلان ترجمة عجاج نويهض
ط دار الفكر ـ بيروت .

٥٧ـ الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبى زهو .
ط ١ .

٥٨ـ حلية الأوليـاء لابى نعيم الأصفهانى .
ط السـعادة ١٣٥١ .

٥٩ـ الدر المنثور للسـيوطى .
المطبعـة الميمنية ١٣٥١ .

٦٠ـ الديباج المذهب لابن فرحـون .
مطبعـة حجـازى ١٣٥١ .

٦١ـ رحلات الامام محمد رشيد رضا لدكتور يوسف ايبش .
المؤسسة العربية ـ بيروت .

٦٢ـ رسالة التوحيد للامام محمد عبده .
سلسلة كتـاب الهلال .

٦٣ـ الرسالة للامام الشافعى تحقيق أحمد شـــاكر .
ط مصطفى الحلبى .

٦٤ـ رشيد رضا الاديب الكاتب الدكتور أحمد الشرباصى .
مجمع البحوث الاسلامية القـــاهرة .

٦٥ـ رشيد رضا الامام المجاهد للدكتور ابراهيم العدوى .
سلسلة اعلام العـــرب .

٦٦ـ رشيد رضا الصحفى المفسر للدكتور أحمد الشرباصى .
مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

٦٧ـ الروض الباسم فى الذب عن سنة ابى القاسم لابن الوزير اليمنى.
المطبعـــة السلطية .

٦٨ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث لأحمد أمين .
مطبعة النهضة العربية .

٦٩ـ سنن أبى داود السجستانى .
ط الحلبى .

٧٠ـ سنن الدارمـــى .
ط دمشـــق ١٣٤٩ هـ .

٧١ـ سنن ابن ماك لمحمد بن يزيد بن ماجه القزوينى .
ط مصر .

٧٢ـ سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى .
دار أحيـــاء التراث العـــربى .

٧٣ـ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى .
ط مكتبة دار العروبـــة .

٧٤ــ السيد رشيد رضا او أخاء اربعين عاما •
مطبعـــة ابن زيدون بدمشـــق •

٧٥ــ سير أعلام النبـــلاء للحافظ الذهبى •
ط المعـــارف •

٧٦ــ عون المعبـــود شرح سنن أبى داود •
ط الهنـــــد •

٧٧ــ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغـــدادى •
ط بـــيروت •

٧٨ــ شروط الائمة الخمسة للخازمى تحقيق زاهد الكوثرى •
ط مكتبة عاطف •

٧٩ــ شروط الائمة الستة للمقدسى تحقيق زاهد الكوثرى •
ط مكتبة عاطف •

٨٠ــ الشفا بتعريف مسيرة المصافى للقاضى عياض •
ط دمشـــق •

٨١ــ صحيح البخـــارى •
دار أحياء التراث العـــربى •

٨٢ــ صحيح مسلم بشرح النووى •
المطبعـــة المصرية •

٨٣ــ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد البـــاقى •
ط دار أحيـــاء التراث العربى •

٨٤ــ طبقات الشـــافعية للسبكى •
ط الحسينية ١٣٢٤ •

٨٥ـ **الطبقات الكبرى لابن ســعد .**
ط ليدن وبيروت .
٨٦ـ **عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى للامام المالكى .**
دار العلم للجميــع .
٨٧ـ **علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح .**
ط ٤ دار العلم للملايين .
٨٨ـ **عمدة القارى شرح صحيح البخارى للحافظ بــدر الدين العينى .**
ط المطبعة المنيرية .
٨٩ـ **فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى .**
ط مصطفى الحلبى .
٩٠ـ **الفتح الربانى بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشـيبانى ـ أحمد عبد الرحمن البنا .**
مطبعة الاخــوان المسلمين .
٩١ـ **فتح المغيث للســخاوى .**
ط الهنــد .
٩٢ـ **فتح الملهم شرح صحيح مسلم لبشير أحمد .**
ط الهنــد ١٣٥٤ .
٩٣ـ **الفكر الدينى فى مواجهة العصر دكتور عفت محمد الشرقاوى .**
ط مكتبة الشباب .
٩٤ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوى .**
ط دار المعرفة ـ بيروت .
٩٥ـ **قاعدة فى الجرح والتعديل للامام تاج الدين السبكى .**
ط دار الوعى بحلب .

٩٦ــ قواعد الحديث لجمال الدين القاسمى ٠

٩٧ــ كتاب الضعفاء الصغير للبخارى ت : محمود ابراهيم زايد ٠
دار الوعـــى ٠

٩٨ــ كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى ت محمود ابراهيم زايد ٠
دار الوعـــى ٠

٩٩ــ الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ٠
ط الهنـــد ٠

١٠٠ــ لســـان العرب لابن منظور ٠
ط ١٣٠١ ٠

١٠١ــ لســـان الميزان لابن حجر العسقلانى ٠
ط الهنـــد ٠

١٠٢ــ المجددون فى الاسلام للشيخ عبد المتعال الصعيدى ٠
ط ٢ مكتب الآداب ٠

١٠٣ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابى بكر الهيثمى ٠
ط القدس ٠

١٠٤ــ محمد عبـــده ــ عباس العقاد ٠
سلسلة أعـــلام العـــرب ٠

١٠٥ــ مختصر صحيح مسلم للمنذرى ٠
ط الكويت ٠

١٠٦ــ المستدرك على الصحيحين للحاكم وتلخيصه للذهبى ٠
مكتبة النصر الحديثه الرياض ٠

١٠٧ــ مسند أحمد بن حنبل د · الشيخ أحمد شاكر ·
ط دار المعــارف ·

١٠٨ــ مسند أحمد بن حنبل ·
المطبعة الميمنية ·

١٠٩ــ مصنف عبــد الرازق ·
ط الهنــد ·

١١٠ــ معجم البلدان لياقوت الحموى ·
ط الســعادة ·

١١١ــ معجم المؤلفين لنــور الدين كحالة ·
ط بيروت ·

١١٢ــ معرفة السنن والآثار للبيهقى ·
ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ·

١١٣ــ مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ·
المطبعة المنيرية ·

١١٤ــ مفتاح كنوز السنة لونسنك ترجمة ف عبد الباقى ·

١١٥ــ الموافقات للامام الشاطبى ·
ط ٢ المكتبة التجارية الكبرى ·

١١٦ــ ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى ·
ط الســعادة ·

١١٧ــ مجلة الرســالة ·

١١٨ــ « الشــباب ·

١١٩ـ مجلة الشروق والغـرب .
١٢٠ـ « المجمـع .
١٢١ـ « المقتطف .
١٢٢ـ « المنـــار .
١٢٣ـ « نـــور الإســلام .
١٢٤ـ نهاية الارب للقلقشندى ط ١٩٥٩ م .
١٢٥ـ النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الأثير وبهامشه مفردات الراغب الاصفهانى .
ط المطبعة العثمانية .
١٢٦ـ نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للخضرى ط ٢ ١٩٥٥ .
١٢٧ـ نيل الأوطـــار للشـــوكانى .
دار الجبـــل بيروت .
١٢٨ـ هدى السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر العسقلانى والحلبى .
ط الحـــلبى .
١٢٩ـ هدية الالباب فى جواهر الآداب حسين الجسر .
ط . المكتب الاسلامى .

ومن مؤلفات الشيخ محمد رشيد رضا عدا ماتقدم :
أ ـ المنـــار والازهر ط المنـــار .
٢ ـ الوحى المحمدى ط المكتب الاسلامى .
٣ ـ فتـــاوى الامام محمد رشيد رضا ط بيروت .
٤ ـ الخلافة او الامامه العظمى ط المنـــار .
٥ ـ الحكمة الشرعية فى محاكمة القادرية والرفاعية ط المنـــار .

الفهرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة
الفصـل الرابـع	
مع الاستاذ الشيخ محمد محمد أبى زهـو	٢٨٢
جمع الشيخ محمد رشيد بين أحاديث النهى والاباحه فى كتابه	
الحديث ومناقشته فى ذلك	٣٠١
رأينـا فى هذه المناقشه	٣٠٤
مناقشة الشيخ محمد رشيد فى تقديم أحاديث النهـى عـن	
الكتابـة على أحاديث الاذن بها	٣٠٧
رأينـا فى هذه المناقشة	٣١٠
مناقشة الشيخ محمد رشيد فى كون الاحاديث دينا عاما كالقرآن	٣١٣
رأى فى هذه المناقشة	٣١٩
البـاب الرابـع	
اجتهـاده فى فهم السنة	٣٢٧
الفصـل الأول	
جهده فى استقصاء الاسانيد والمتون دوجوه نقـــدهما	٣٢٩
انشـقاق القمـر	٣٣٠
عرض المسألة فى القرآن والسـنة	٣٣٠
روايات الامـام البخارى	٣٣١
روايات الامام مسلم	٣٣٤
روايات الترمذى	٣٣٦
روايات الامام أحمد	٣٣٨
بعض مرويات ابن جـرير الطبرى	٣٣٩
روايات كتب السنة الاخرى	٣٤١
رأى العلماء فى هذه الاحاديث	٣٤٣

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

رقم الإيـــداع ٥٤٥٥/١٩٩٤

977-00-7137-4 I.S.B.N

مطبعة دار التاليف

٨ ، ٩ شارع يعقوب ت : ٣٥٤١٨٢٥